كرة القدم فـي الشمس والظل

إدواردو غاليانو

ترجمة صالح علماني

العنوان الأصلي للكتاب:
EDUARDO GALEANO
EL FUTBOL, A SOL Y SOMBRA

هذه الصفحات مهداة إلى أولئك الأطفال الذين التقيت بهم ذات مرة، قبل سنوات عديدة، في كاليّا دي لاكوستا. كانوا عائدين من لعب كرة القدم وهم يغنون:

ربحنا أم خسرنا،   لن تتبدل متعتنا،
متعتنا تبقى كما هي.   سواء أخسرنا أم ربحنا.

اعتراف المؤلـف

لقد رغبت مثل جميع الأرغوايين فـي أن أصبح لاعب كرة قدم. وقد كنت ألعب جيداً، كنتُ رائعاً، ولكن فـي الليل فقط، فـي أثناء نومي: أما فـي النهار فأنا أسوأ قدم متخشبة شهدتها ملاعب الأحياء فـي بلادي.

لقد مرت السنوات، ومع مرور الوقت انتهيت إلى القناعة بهويتي: فأنا مجرد متسول أطلب كرة قدم جيدة. أمضى عبر العالم حاملاً قبعتي، وأتوسل فـي الاستادات:

ـ لعبة جميلة حباً بالرب.

وعندما أرى كرة قدم جيدة، أحمد هذه المعجزة دون أن يهمني قدر فجلة من هو النادي أو البلد الذي قدم ذلك اللعب الجيد.

كـرة القـدم

تاريخ كرة لقدم هو رحلة حزينة من المتعة إلى الواجب. فكلما تحولت هذه الرياضة إلى صناعة، كان يجري استبعاد الجمال الذي يتولد من متعة اللعب لمجرد اللعب. وفـي عالم نهاية قرننا هذا، تستنكر كرة القدم الاحترافية ما هو غير مفيد، وما هو غير مفيد فـي عرفها هو كل ما لا يعود بالربح. وليس هناك أية أرباح تجنى حين يتحول الرجل، لبرهة، إلى طفل ، يلعب بالكرة مثلما يلعب الطفل بالبالون ومثلما تلعب القطة بكبة خيوط

صوفية: يصبح راقصاً يرقص بكرةٍ خفيفة مثل البالون الذي يطير فـي الهواء أو مثل كبة الصوف التي تتدحرج، لاعباً دون أن يدري أنه يلعب، ودون أن يكون هناك سبب أو توقيت أو حكم.

لقد تحول اللعب إلى استعراض، فيه قلة من الأبطال وكثرة من المشاهدين، إنها كرة قدم للنظر. وتحول هذا الاستعراض إلى واحد من أكثر الأعمال التجارية ربحاً فـي العالم، لايجري تنظيمه من أجل اللعب وإنما من أجل منع اللعب. لقد راحت تكنوقراطية الرياضة الاحترافية تفرض كرة قدم تعتمد السرعة المحضة والقوة الكبيرة، وتستبعد الفرح، وتستأصل المخيلة وتمنع الجسارة.

ومن حسن الحظ أنه مازال يظهر فـي الملاعب، حتى وإن كان ذلك فـي أحيان متباعدة، وقحٌ مستهتر يخرج على النص ويقترف حماقة القفز عن كل الفريق الخصم وعن الحكم وجمهور المنصة، لمجرد متعة الجسد المنطلق إلى مغامرة الحرية المحرمة.

اللاعـب

يركض لاهثاً على شفير الهاوية. فـي جانب تنتظره سماوات المجد، وفـي الجانب الآخر هوة الدمار.

الحي الشعبي الذي خرج منه يحسده بأسره: فاللاعب المحترف قد نجا من العمل فـي المصنع أو المكتب، إنهم يدفعون له من أجل توفير التسلية، لقد ربح اليانصيب. وبالرغم من أنه يتوجب عليه أن ينضح عرقاً مثل مرشة، دون أن يكون له الحق فـي التعب أو الخطأ، فإنه يظهر فـي الصحف وفـي التلفزيون، وتردد الإذاعات اسمه، والنساء يتنهدن من أجله، والأطفال يريدون تقليده. أما هو الذي بدأ يلعب من أجل متعة اللعب، فـي الشوارع الترابية للأحياء الهامشية، فقد صار يلعب الآن فـي الاستادات الكبرى من أجل واجب العمل، وهو مجبر على الربح أو الربح.

رجال الأعمال يشترونه، يبيعونه، يعيرونه، ويسلم هو قياده

لهم مقابل الوعد بمزيد من الشهرة ومزيد من المال. وكلما نال شهرة أكبر، وكسب أموالاً أكثر، يصبح أسيراً أكثر. إنه يخضع لانضباط عسكري صارم، ويعاني كل يوم عقوبة التدريب القاسية، ويخضع لقصف المسكنات وتسلل الكورتيزون الذي يُنسيه الألم ويزيف حقيقة حالته الصحية. وعشية المباريات المهمة يحبسونه في معسكر اعتقال حيث يقوم بأعمال شاقة، ويأكل أطعمة غبية، ويسكر بالماء وحده، وينام وحيداً.

في المهن الإنسانية الأخرى يأتي الغروب مع الشيخوخة، أما لاعب كرة القدم، فقد يشيخ وهو في الثلاثين من عمره. لأن العضلات تتعب باكراً. وعندئذ تسمع من يشير إليه قائلاً:

- هذا لا يمكنه أن يسجل هدفاً حتى في ملعب يميل نزولاً.

- هذا؟ لن يسجل هدفاً حتى ولو قيدوا له يدي حارس المرمى.

وقد يشيخ لاعب كرة القدم قبل الثلاثين إذا ما أفقدته ضربة كرة صوابه، أو إذا ما مزق سوء الحظ إحدى عضلاته، أو كسرت ركلة إحدى عظامه التي لا سبيل إلى إصلاحها. وفي يوم مشؤوم، يكتشف اللاعب أنه قد قامر بحياته وأن المال قد تبخر وتبخرت معه الشهرة أيضاً. فالشهرة سيدة محترمة مراوغة، لم تترك له حتى رسالة عزاء صغيرة.

حارس المرمى

يسمونه كذلك البواب، والغولار، وحارس الحاجز، وحارس القوس، ولكننا نستطيع أن نسميه الشهيد، الوثن، النادم، أو المهرج الذي يتلقى الصفعات. ويقولون إن المكان الذي يطأه لا ينبت فيه العشب أبداً.

إنه وحيد. محكوم عليه بمشاهدة المباراة من بعيد. ينتظر وحيداً إعدامه رمياً بالرصاص بين العوارض الثلاث. كان في السابق يرتدي الأسود، مثل الحكم. أما الآن، فلم يعد الحكم يتنكر بزي الغراب، وصار حارس المرمى يسلو وحدته بتخيلات ملونة.

إنه لا يسجل أهدافاً. بل يقف ليمنع تسجيلها. ولأن الهدف هو عيد كرة القدم: فإن مسجل الأهداف يصنع الأفراح، أما حارس المرمى، غراب البين، فـيحبطها.

يحمل على ظهره الرقم واحد. أهو الأول فـي قبض المال؟ إنه الأول فـي دفع الثمن. فحارس المرمى هو المذنب دائماً. وهو الذي يدفع الثمن حتى لو لم يكن مذنباً. فعندما يقترف أي لاعب خطأ يستوجب ضربة جزاء، يتحمل هو العقوبة: يتركونه هناك، وحيداً أمام جلاده، فـي اتساع المرمى الخاوي. وعندما يتعرض الفريق لسوء الحظ، يكون عليه هو أن يدفع الثمن تحت وابل من الكرات، ليكفر عن ذنوب الآخرين.

يمكن للاعبين الآخرين أن يخطئوا أخطاء فاحشة مرة ومرات، ولكنهم يستردون مكانتهم بعد القيام بمراوغة استعراضية، أو تمريرة بارعة، أو تسديدة صائبة: أما هو فلا يمكنه ذلك. الحشود لا تغفر لحارس المرمى. ***أقفزَ فـي الفراغ؟ أكان مثل الضفدع؟ هل أفلتت منه الكرة؟ أأصبحت اليدان الفولاذيتان حريراً؟*** بخطأ واحد فقط يدمر حارس المرمى مباراة كاملة أو يخسر بطولة، وعندئذ ينسى الجمهور فجأة كل مآثره ويحكم عليه بالتعاسة الأبدية. وتلاحقه اللعنة حتى نهاية حياته.

المعبـود

وفـي يوم ميمون تقبّل ربة الريح قدم الرجل، القدم المُذَلة المُهَانة، ومن هذه القبلة يولد المعبود فـي كرة القدم . يولد فـي مهد من القش وفـي كوخ من الصفيح ويأتي إلى الدنيا محتضناً الكرة.

إنه يعرف اللعب منذ أن يبدأ المشي. ففـي سنواته المبكرة يُبهج المراعي، يلعب ويلعب فـي مجاهل الضواحي الهامشية إلى أن يخيم الليل ولا يعود قادراً على رؤية الكرة، وفـي سنوات شبابه يطير ويُطيِّر فـي الاستادات. فنونه البهلوانية تجتذب الحشود، أحداً بعد أحدٍ من كل أسبوع، ويتنقل من فوز إلى فوز، ومن تصفـيق حماسي إلى آخر.

الكرة تبحث عنه، تتعرف عليه، تحتاج إليه. وعلى صدر قدمه تستريح وتتأرجح. إنه يُخرج منها الألق ويجعلها تتكلم، وفـي هذا الحديث بين اثنين يتحدث ملايين البكم. المجهولون المحكومون بأن يكونوا مجهولين دائماً، يمكنهم أن يشعروا بأنهم أحدٌ ما للحظة، بفعل وظرافة هذه التمريرات المعادة بدقة، هذه الطفرات التي ترسم حروف Z على العشب، هذه الأهداف بضربة الكعب أو بحركة التشيلية (دبل كيك): حين يلعب هو، يكون فـي الملعب اثنا عشر لاعباً.

- أتقول اثنـي عشر؟ قل خمسة عشر! عشرين!

الكرة تضحك مشرقة فـي الهواء. فينزلها هو، ينوّمها، يغازلها، يراقصها، وحين يرى محبوه هذه الأشياء التي لم يُرَ لها مثيل، يشفقون على أحفادهم الذين لم يولدوا بعد لأنهم لم يروها.

ولكن المعبود يبقى معبوداً لبرهة وحسب، أبدية بشرية، شيء لا يُذكر؛ فعندما تحين ساعة النحس للقدم الذهبية، يكون النجم قد أنهى رحلته من الوميض إلى الانطفاء. يكون قد تحول إلى هذا الجسد الذي يضم رقعاً أكثر من بدلة مهرج، ويصبح الأكروباتي مشلولاً، والفنان بهيمة:

- آه، ليس بحافرك!

ويتحول مصدر السعادة العامة إلى مانعة الصواعق التي تمتص غضب الجمهور:

- أيها المومياء!

فـي بعض الأحيان لا يسقط المعبود دفعة واحدة. ولكنه حين ينكسر أحياناً، يلتهم الناس فتاته.

المشـجـع

مرة كل أسبوع يهرب المشجع من بينه ويهرع إلى الإستاد.

ترفرف الرايات، تدوي النواقيس الخشبية والألعاب النارية والطبول، تهطل أمطار من الشرائط وقصاصات الورق الملونة: المدينة تختفـي، الروتين يُنسى، ولا يبقى أي شيء سوى المعبد. وفـي هذا الحيز المقدس، تعرض ألوهيتها الديانة الوحيدة التي لا

وجود لملحدين بين معتنقيها. ومع أن المشجع يستطيع مشاهدة المعجزة براحة أكبر على شاشة التلفزيون، إلا أنه يفضل أن يحج إلى هذا المكان حيث يمكنه أن يرى ملائكته بلحمهم وعظمهم وهم يتبادلون الركل ضد شياطين هذه النوبة.

المشجع هنا يلوح بالمنديل، يبتلع لعاباً، غلوب، يبتلع سماً، يأكل قبعته، يهمس بصلوات ولعنات، ثم يمزق حنجرته فجأة بهتاف مدوٍ ويقفز مثل برغوث معانقاً المجهول الذي يصرخ معلناً الهدفَ بجانبه. وعلى امتداد الصلاة الوثنية، يكون المشجعُ كثيرين. فهو يشاطر آلاف الورعين من أمثاله القناعة بأننا الأفضل، وبأن جميع الحكام مرتشين، وجميع الخصوم مخادعين.

نادراً ما يقول المشجع: «اليوم سيلعب ناديَّ». إنه يقول عادة: «اليوم سنلعب نحن». وهذا **اللاعب رقم اثني عشر** يعرف جيداً أنه هو من ينفخ رياح الحماسة التي تدفع الكرة حين تغفو، مثلما يعرف اللاعبون الأحد عشر الآخرون جيداً أن اللعب دون مشجع هو أشبه بالرقص دون موسيقى.

وعندما تنتهي المباراة، يبدأ المشجع الذي لم يتحرك من المنصة الاحتفال ب**فوزه**، *يا للأهداف التي سجلناها عليهم، يا للدرس الذي لقناهم إياه*، أو يبكي **هزيمته**، *لقد غشونا مرة أخرى، يا للحكم اللص*. وعندئذ تذهب الشمس ويذهب المشجع. تسقط الظلال على الاستاد بينما هو يفرغ من الحشود. وتشتعل هنا وهناك على المدرجات الأسمنتية بعض مواقد النيران سريعة الانطفاء، بينما تنطفئ الأنوار والأصوات. يبقى الاستاد خاوياً، ويرجع المشجع كذلك إلى وحدته، إلى **الأنا** التي كانت **نحن**: يبتعد المشجع، يتفتت، ويضيع، ويصبح يوم الأحد كئيباً مثل أربعاء رماد بعد موت الكرنفال.

المتعصب

المتعصب هو المشجع في مشفى المجانين. فنزوة رفض ما هو جلي أغرقت العقل وكل ما يشبهه، وتمضي مع التيار بقايا الغريق في هذه المياه التي تغلي، وهي هائجة على الدوام بغضب

لا هدنة فيه.
يصل المتعصب إلى الملعب ملتحفاً راية ناديه، ووجهه مطلي بألوان القميص المعبود، مسلحاً بأدوات مقعقعة وحادة، وبينما هو في الطريق يكون قد بدأ بإثارة الكثير من الصخب والشجار. وهو لا يأتي وحده مطلقاً. ففي وسط السبيكة الباسلة، أم أربع وأربعين الخطرة، يتحول الخائف إلى مخيف، والمهان إلى مهين للآخرين. القوة الكلية في يوم الأحد تخالف حياة الإذعان في بقية الأسبوع، والفراش دون رغبة، والوظيفة دون ميل أو اللاوظيفة: فيكون لدى المتعصب الكثير من الثارات حين يتحرر يوماً كل أسبوع.
إنه ينظر إلى المباراة وهو في حالة الصرع تلك، ولكنه لا يراها. فما يهمه هو المدرجات. لأن ميدان معركته في المدرجات. ومجرد وجود مشجع للنادي الآخر يشكل استفزازاً لا يمكن للمتعصب أن يتقبله. **الخير** ليس عنيفاً، ولكن **الشر** يجبره على ذلك. والعدو دائماً مذنب، ويستحق لوي عنقه. ولا يمكن للمتعصب أن يسهو، لأن العدو يترصد في كل مكان. فقد يكون ضمن المشاهدين الصامتين أيضاً، وقد تصل به الوقاحة في أي لحظة إلى إبداء رأيه بأن فريق الخصم يلعب لعباً صحيحاً، وعندئذ يحصل على ما يستحقه.

الجـول

الجول هو ذروة المتعة في كرة القدم. ومثل ذروة التهيج الجنسي، أصبح الجول يتناقص أكثر فأكثر في الحياة المعاصرة.
قبل نصف قرن كان من النادر أن تنتهي مباراة دون أهداف: O × O ، فوهان مفتوحان، تتثاوبان. أما الآن، فإن الأحد عشر لاعباً يقضون وقت المباراة كله متشبثين بالعارضة، منهمكين في منع الأهداف دون أن يتاح لهم الوقت لتسجيلها.
الحماسة التي تنفلت كلما هزت القذيفة البيضاء الشبكة، يمكن لها أن تبدو سراً غامضاً أو جنوناً، ولكن يجب أن نأخذ في الاعتبار أن المعجزات نادرة الوقوع. والهدف، حتى وإن كان

غولاً صغيراً، يتحول إلى غوووووووووووووول فـي حنجرة معلقي الإذاعة، صوت كصوت مغني الدو يخرج من الصدر ويمكنه أن يحكم على كاروسو بالبكم إلى الأبد، وعندئذ يسيطر الهذيان على الحشود وينسى الاستاد أنه من إسمنت فينفصل عن الأرض وينطلق سابحاً فـي الهواء.

الحكـم

الحكم هو متحكم فـي التعريف. إنه الطاغية البغيض الذي يمارس دكتاتوريته دون معارضة ممكنة، والجلاد المتكبر الذي يمارس سلطته المطلقة بإيماءاتِ أوبرا. الصفارة فـي فمه، ينفخ الحكم رياح القدر المحتوم ويمنح الأهداف أو يلغيها. البطاقة فـي يده، يرفع ألوان الإدانة: الأصفر لمعاقبة المذنب وإجباره على الندم، والأحمر يلقي به إلى المنفى.

حكام التماس الذين يساعدون، لكنهم لا يأمرون، ينظرون من الخارج. الحكم وحده هو من يدخل ميدان اللعب؛ وهو محق تماماً حين يرسم إشارة الصليب لدى دخوله، فور أن يطل أمام الحشود المزمجرة. فعمله يتلخص فـي جعل الآخرين يكرهونه: الجميع يكرهونه. يصفرون له على الدوام، ولا يصفقون له مطلقاً.

لا أحد يركض أكثر منه. فهو الوحيد المضطر إلى أن يجري طوال الوقت. طوال الوقت يعدو خبباً، مقصوم الظهر كالحصان، هذا الدخيل الذي يلهث دون راحة ما بين الاثنين وعشرين لاعباً؛ وكتعويض عن كل هذه التضحية، تعوي الحشود مطالبة برأسه. منذ بداية كل مباراة وحتى نهايتها، يتعرق الحكم بغزارة، فهو مضطر إلى ملاحقة الكرة التي تذهب وتجيء بين أقدام الآخرين. مما لا ريب فيه أنه يتلهف إلى اللعب معها، ولكن هذه النعمة لم تمنح إليه مطلقاً. وعندما تمس الطابة جسده، بصورة عرضية، يتذكر الجمهور كله أمه. ومع ذلك، بالرغم من أنه هناك، فـي الفسحة الخضراء المقدسة التي تكرج فيها الكرة وتطير، فإنه يتحمل الشتائم، وصفير الاستنكار، والرجم بالحجارة واللعنات.

فـي بعض الأحيان، وهي أحيان نادرة، يتوافق أحد قرارات

الحكم مع مشيئة المشجع، ولكنه لا يتمكن رغم ذلك من إثبات براءته. المهزومون يخسرون بسببه والفائزون يربحون رغماً عنه. إنه علة كل الأخطاء، وسبب كل النكبات، ولو لم يكن موجوداً لابتدعه المشجعون. وكلما كرهوه أكثر كلما ازدادت حاجتهم إليه.

خلال أكثر من قرن كان الحكم يرتدي لون الحِداد. على من؟ على نفسه. أما الآن فإنه يخفـي حداده بالألوان.

المـديـر الفـنـي

فـي السابق كان المدرب، ولم يكن أحد يوليه كبير اهتمام. ومات المدرب وهو مطبق الفم عندما لم يعد اللعب لعباً، وصارت كرة القدم بحاجة إلى تكنوقراطية النظام. عندئذ ولد المدير الفني، ومهمته منع الارتجال، ومراقبة الحرية، ورفع مردودية اللاعبين إلى حدودها القصوى بإجبارهم على التحول إلى رياضيين منضبطين.

كان المدرب يقول:

- سنلعب.

أما المدير الفني فـيقول:

- سنشتغل.

الحديث يدور الآن بالأرقام. فالرحلة من الجرأة إلى الخوف، وهي تاريخ كرة القدم فـي القرن العشرين، إنما هي الانتقال من 2-3-5 إلى 5-4-1، مروراً بـ 4-4-2. إن بإمكان أي إنسان غير متضلع أن يترجم هذا مع قليل من المساعدة. ولكن فـيما بعد، لم يعد هناك من يستطيع فهم أي شيء. لأن المدير الفني صار يطوّر صيغاً سرية غامضة مثل المفهوم القدسي ليسوع، ويضع معها خططاً تكتيكية عصية على الفهم أكثر من الثالوث المقدس.

وجرى الانتقال من السبورة القديمة إلى اللوحة الإلكترونية: فاللعبات البارزة تُرسم الآن بواسطة الكمبيوتر وتُعلّم بالفـيديو. وهذه اللعبات الكاملة التي لا تشوبها شائبة، نادراً ما تُرى فـيما بعد فـي المباريات التي ينقلها التلفزيون. بل إن التلفزيون يقنع

بعرض التشنج فـي وجه المدير الفني، ويُظهره وهو يعض قبضتيه أو يصرخ بتوجيهات ستقلب مسار المباراة رأساً على عقب إذا ما استطاع أحد أن يفهمها.

ويحاصره الصحفيون فـي المؤتمر الصحفـي بعد انتهاء المباراة. ولكن المدير الفني لا يذكر مطلقاً سر انتصاراته، مع أنه يصوغ تفسيرات باهرة لهزائمه:

ـ *التوجيهات كانت واضحة، ولكن لم يُعمل بها* ـ يقول ذلك عندما يخسر الفريق.

آلية الاستعراض تطحن كل شيء، وكل شيء لا يستمر إلا قليلاً، والمدير الفني يمكن استخدامه ثم رميه مثل أي منتج آخر من منتجات مجتمع الاستهلاك. اليوم يصرخ الجمهور به:

ـ *ألا تموت مطلقاً!*

وفـي يوم الأحد التالي يدعونه لأن يموت.

هو يظن أن كرة القدم هي علم وأن الملعب مختبر، ولكن المسؤولين والمشجعين لا يطالبونه بامتلاك عبقرية اينشتاين وبعد نظر فرويد وحسب، بل وبقدرات عذراء لورديس الاعجازية وقدرة غاندي على التحمل.

المســرح

اللاعبون يمثلون بأرجلهم فـي عرض موجه إلى جمهور من آلاف أو ملايين المتحمسين الذين يحضرونه ـ سواء على المدرجات أو فـي البيوت ـ وأرواحهم معلقة بطرف خيط. من الذي يكتب النص؟ أهو المدير الفني؟ العمل يسخر من المؤلف. فخط تطوره يساير منحى مزاج الممثلين ومهارتهم، وهو يعتمد فـي نهاية المطاف على الحظ الذي يهب، مثل الهواء، حيث يشاء. ولهذا فإن حل العقدة هو سر غامض على الدوام بالنسبة إلى النظارة والممثلين على السواء، اللهم إلا فـي حالات الرشوة أو الحتمية القدرية.

كم من المسارح يوجد فـي مسرح كرة القدم العظيم؟ كم من المشاهد يتسع لها مستطيل العشب الأخضر؟ فليس جميع اللاعبين

يقتصرون على التمثيل بأرجلهم وحدها.

هناك لاعبون بارعون في فن تعذيب الآخر: يضع اللاعب منهم قناع القديس الذي لا يستطيع قتل ذبابة، ثم يبصق على الخصم ويشتمه ويدفعه ويذر التراب في عينيه، ويوجه إليه ضربة مرفق صائبة على فكه، أو يغرس مرفقه في أضلاعه، أو يشده من شعره أو قميصه، ويدوس على قدمه وهو واقف أو يدوس على يده عندما يسقط أرضاً، ويفعل كل ذلك من وراء ظهر الحكم، بينما حكم التماس يتأمل الغيوم التي تمر في السماء.

هناك لاعبون تاريخيون في فنون ابتزاز المنافع: يضع اللاعب منهم قناع المسكين البائس إلى أن يبدو أحمق، ولكنه يكون أخرق، وعندئذ يبدأ بجني المنافع: ينفذ ضربة المخالفة، أو رمية الجزاء أو رمية التماس على بعد فراسخ عن المكان الذي حدده الحكم. وعندما يكون عليه أن يشكل حاجزاً، ينزلق من المكان المحدد، ببطء شديد، دون أن يرفع قدميه، إلى أن يضعه بساط الريح فوق اللاعب الذي سيسدد الكرة.

وهناك لاعبون لا يُعلى عليهم في إضاعة الوقت: يضع اللاعب منهم قناع الشهيد الذي صُلب للتو، وعندئذ يتدحرج محتضراً، ممسكاً بركبته أو برأسه، ويبقى مطروحاً على العشب. تمر الدقائق. ويأتي المدلك بخطوات سلحفاة، إنه اليد المباركة، بدين متعرق، تفوح منه رائحة المراهم، يأتي واضعاً منشفة حول عنقه، وحاملاً زمزمية في إحدى يديه، وفي اليد الأخرى شراب طبي مؤكد المفعول. وتمر الساعات والسنون إلى أن يأمر الحكم بإخراج هذه الجثة من الملعب. عندئذ يقفز اللاعب فجأة، بلوب، وتحدث معجزة الانبعاث.

الاختصاصيون

قبل المباراة يصوغ المراسلون أسئلتهم المربكة:

- أأنتم مستعدون للربح؟

ويحصلون على أجوبة مذهلة:

- سنبذل كل ما بوسعنا للفوز.

بعد ذلك يأخذ المعلقون الكلمة. معلقو التلفزيون يتابعون الصور التي تظهر على الشاشة، ولكنهم يعرفون جيداً أنهم لا يستطيعون منافستها. أما معلقو الإذاعة بالمقابل، فهم غير معرضين لأمراض القلب، ذلك أن معلمي الحيرة هؤلاء يركضون أكثر من اللاعبين وأكثر من الكرة نفسها، ويروون بإيقاع دواري وقائع مباراة لا تكون لها في العادة علاقة كبيرة بما يراه أحدنا في الملعب. ففي هذا الشلال من الكلام تلامس العارضةَ كرةٌ يراها أحدنا تلامس أعالي السماء، ويتعرض المرمى لخطر هدف وشيك في الوقت الذي تنسج فيه العنكبوت بهدوء شباكها من أحد قائمي المرمى إلى الآخر، وفي الوقت الذي يتثاءب فيه حارس المرمى من الضجر في مرماه.

وعندما تنتهي الجولة المتوترة في أحضان المارد الإسمنتي، يأتي دور المعلقين الرياضيين. وكان هؤلاء المعلقون قد قاطعوا نقل المباراة عدة مرات من قبل، لكي يشيروا على اللاعبين ما يتوجب عليهم عمله، ولكن اللاعبين لا يتمكنون من سماعهم لأنهم مشغولون بارتكاب المخالفات. هؤلاء المنظرون لـِ WM ضد MW، هم الشيء نفسه ولكن بالمقلوب، يستخدمون لغة تراوح فيها سعة الإطلاع العلمي ما بين الدعاية الحربية والنشوة الغنائية. وهم يتكلمون دائماً بصيغة الجمع لأن كل واحد منهم كثيرون.

الاستاد

هل دخلت يوماً إلى استاد مقفر؟ جرب ذلك. توقف في منتصف الملعب وانصت. ليس هناك ما هو فارغ أكثر من استاد فارغ. ليس هناك ما هو أكثر بُكماً من المدرجات الخاوية.

في استاد ويمبلي ما زالت تدوي ضجة مونديال 1966، الذي كسبته إنكلترا؛ ولكنك إذا أصغيت جيدا فستسمع زفرات آتية من مونديال 1953، عندما فاز الهنغاريون على المنتخب الإنكليزي. واستاد الذكرى المئوية (ثينتيناريو) في مونتيفيديو يتنهد حنيناً لأمجاد كرة القدم الأورغوايية. وما يزال استاد

ماراكانا يبكي الهزيمة البرازيلية في مونديال 1950. أما في استاد بومبونيرا في بوينس آيرس، فتدوي الطبول منذ نحو نصف قرن. ومن أعماق استاد الأزتيك في المكسيك تتردد أصداء الأناشيد الشعائرية للعبة الكرة المكسيكية القديمة. واستاد كامب نو في برشلونه يتكلم الكتلانية، وتتبادل الحديث مدرجات استاد سان ماميس في بلباو باللغة الباسكية. وفي ميلان، يهز شبح جوزيب ميازا وهو يسجل الأهداف جنبات الاستاد الذي يحمل اسمه. ونهائي مونديال 74 الذي كسبته ألمانيا، يُلعب يوماً بعد يوم، وليلة إثر ليلة في استاد ميونخ الأولمبي. أما استاد الملك فهد في العربية السعودية، ففيه منصة من الرخام والذهب ومدرجات مغطاة بالسجاد، ولكنه لا يملك ذاكرة وليس لديه ما يقوله.

الكــرة

كانت كرة الصينيين مصنوعة من الجلد ومحشوة بالقنب. والمصريون في زمن الفراعنة صنعوها من القش أو من قشور الحبوب، ولفوها بأقمشة ملونة. وكان الإغريق والرومان يستخدمون مثانة جاموس، منفوخة ومخيطة. أما أوربيو العصور الوسطى وعصر النهضة فكانوا يتنازعون فيما بينهم كرة بيضوية مملوءة بشعر أعراف الخيول. وفي أميركا كانت الكرة المشغولة من المطاط قادرة على أن تطفر متواثبة كما لم تكن أي كرة في أي مكان آخر. ويروي مؤرخو البلاط الملكي الإسباني أن هيرنان كورتيس قذف كرة مكسيكية وجعلها تطير عالياً جداً أمام عيني الإمبراطور كارلوس الزائغتين.

الكرة المطاطية التي تُنفخ بمنفاخ والمغطاة بطبقة من الجلد، ولدت في أواسط القرن الماضي، بفضل عبقرية تشارلز غوديير، وهو أمريكي شمالي من كونكتيكت. وبفضل عبقرية توسوليني، وبالبونسي، وبولو وهم ثلاثة أرجنتينيين من كوردوبا، ولدت بعد زمن طويل من ذلك لعبة الكرة دون لمسها باليد. هم من اخترعوا الإطار الداخلي المزود بصمام، والذي ينتفخ بحقنه

بالهواء، ومنذ مونديال 1938 صار بالإمكان ضرب الكرة بالرأس دون خوف من الأذى الذي كان يسببه الرباط المستخدم سابقاً فـي ربط الكرة.

وحتى منتصف هذا القرن كان لون الكرة بنيّاً. ثم أصبحت بعد ذلك بيضاء. وفـي أيامنا هذه تظهر الكرة فـي نماذج متغيرة، ولكنها ذات أشكال سوداء فوق خلفية بيضاء. وصار قطر خصرها الآن سبعين سنتمتراً وهي مكسوة بمادة البوليريتان فوق طبقة من البوليتيلين. لا ينفذ إليها الماء، ووزنها أقل من نصف كيلو غرام وتنطلق بسرعة أكبر من الكرة الجلدية القديمة التي كانت تصبح مستحيلة فـي الأيام الماطرة.

يطلقون عليها أسماء عديدة: الكرة، المكورة، النافعة، المدورة، البالون، القذيفة. لا أحد فـي البرازيل يشك فـي أنها امرأة. فالبرازيليون يقولون عنها السمينة ويسمونها الطفلة، ويمنحونها أسماء من نوع ماريكوتا، أوليونور، أو مرغريتا.

لقد قبّلها بيليه فـي استاد ماراكانا عندما سجل هدفه رقم ألف، وديستيفانو أقام لها نصباً عند مدخل بيته، وهو عبارة عن كرة من البرونز مع لوحة حجرية نقش عليها عبارة: ***شكراً أيتها العجوز***.

وهي وفية أيضاً. ففي نهائي مونديال 1930 طالب كل من المنتخبين المتنافسين اللعب بكرته الخاصة. وقد كان الحكم حكيماً مثل سليمان فقرر أن يجري اللعب فـي الشوط الأول بكرة أرجنتينية وفـي الشوط الثاني بكرة أروغوايية. فكسبت الأرجنتين الشوط الأول وكسبت الأرغواي الشوط الثاني. ولكن للكرة نذالاتها أيضاً، فهي لا تدخل أحياناً إلى المرمى لأنها تبدل رأيها وهي فـي الجو وتنحرف عن مسارها. ذلك أنها ساخطة جداً. فهي لا تطيق أن يعاملوها ركلاً بالأقدام، ولا أن يضربوها انتقاماً. إنها تطالب بأن يداعبوها برقة، أن يقبّلوها، أن يسمحوا لها بالنوم على الصدور أو الأقدام. وهي متكبرة، وربما مغترة بنفسها، ولا تنقصها المبررات لتكون كذلك: فهي تعرف جيداً أن البهجة تملأ أرواحاً كثيرة حين ترتفع بطريقة ظريفة، وأن أروحاً كثيرة تختنق بالضيق عندما تسقط بطريقة سيئة.

الأصـول

فـي كرة القدم، كما فـي كل شيء تقريباً، كان الصينيون هم الأوائل. فمنذ خمسة آلاف سنة كان البهلوانات الصينيون يُرقّصون الكرة بأقدامهم، وكان أن نُظمت أول ألعاب الكرة فـي الصين. كان المرمى فـي الوسط، وكان اللاعبون يسعون ألا تلمس الكرة الأرض، دون أن يلمسوها هم أنفسهم بأيديهم. وقد استمرت هذه العادة من سلالة إلى أخرى، كما يظهر فـي بعض النقوش التذكارية التي تعود إلى ما قبل المسيح، وكذلك فـي بعض الرسوم التالية التي تُظهر صينيي سلالة مينغ وهم يلعبون بكرة تبدو كأنها من ماركة آديداس.

ومن المعروف أن المصريين واليابانيين فـي العصور القديمة كانوا يتسلون بتبادل ركل الكرة. وعلى رخام قبر إغريقي يعود إلى ما قبل المسيح بخمسة آلاف سنة، يظهر رجل يلاعب كرة بركبته. وفـي كوميديات انتيفانيس Antifanes، هناك عبارات ذات مغزى، مثل: **كرة طويلة، تمريرة قصيرة، كرة متقدمة**... ويقال إن الإمبراطور يوليوس قيصر كان يتقن استخدام كلتا ساقيه فـي لعب الكرة وإن نيرون لم يكن ماهراً فـي اللعب: وعلى أي حال، ليس هناك من شك فـي أن الرومان كانوا يلعبون لعبة شديدة الشبه بكرة القدم حين كان المسيح وحواريوه يموتون على الصلبان.

وعلى أقدام الرومان القدماء وصلت البدعة إلى الجزر البريطانية. وبعد قرون من ذلك، وتحديداً فـي عام 1314، مهر الملك إدوارد الثاني بخاتمه وثيقة ملكية تدين هذه اللعبة الرعاعية والصاخبة، «هذه الاشتباكات حول كرات كبيرة الحجم، التي تنتج عنها شرور كثيرة لا يبيحها الرب». وكرة القدم التي كانت تسمى بهذا الاسم منذ ذلك الحين، كانت تخلف أعداداً من الضحايا. فقد كانوا يتنافسون فـي جماعات كبيرة، ولم يكن هناك تحديد لعدد اللاعبين، ولا لمدة اللعب ولا لأي شيء آخر. فقد كان شعباً بكامله يتبادل ركل الكرة ضد شعب آخر، ويدفعونها بالأقدام والقبضات نحو الهدف الذي كان فـي ذلك الحين عجلة طاحونة

قديمة. وكان اللاعبون يصطفون على امتداد عدة فراسخ، ولعدة أيام، وبتكلفة تصل إلى عدة حيوات بشرية. وقد منع الملوك هذه المباريات الدموية: ففي عام 1349، ضم الملك إدوارد الثالث كرة القدم إلى ألعاب «الحماقة التي ليست لها أي فائدة»، وهناك مراسيم ضد كرة القدم ممهورة بتوقيع هنري الرابع في عام 1410، وهنري السادس في عام 1547. ولكنهم كلما كانوا يمنعونها كان اللعب يزداد، مما يؤكد القدرة التحريضية لكل ما هو محظور.

وفي عام 1592، لجأ شكسبير في مسرحيته **كوميديا الأخطاء** إلى كرة القدم ليصوغ شكوى إحدى شخصياته:

ـ إنني أتدحرج فيما بينكم بطريقة... أتراكم اتخذتموني طابة كرة قدم؟ أنتم تركلونني إلى هناك، وهو يركلني إلى هنا. فإذا ما بقيتُ في العمل فلا بد لكم من أن تغلفوني بالجلود.

وبعد سنة من ذلك، في مسرحية **الملك لير**، كان الكونت كينت يشتم أحدهم بهذه الكلمات:

ـ أنت، يا لاعب كرة القدم الحقير!

وفي فلورنسا كانت كرة القدم تسمى *كالشو* calcio، مثلما تسمى حتى الآن في إيطاليا كلها. وكان ليوناردو دافنشي مشجعاً متحمساً، وميكيافيلي لاعباً ممارساً. وكان يشارك في اللعب فرق من 27 رجلاً، موزعين على ثلاثة خطوط، يمكنهم استخدام الأيدي والأقدام لضرب الكرة، ولبقر بطون خصومهم. وكانت الحشود تتوافد إلى المباريات التي تجري في أوسع الميادين وفوق مياه نهر آرنو المتجمدة. وبعيداً عن فلورنسا، في حدائق الفاتيكان، اعتاد البابوات كليمنت السابع، وليون التاسع، وأوربانو الثامن أن يشمروا ثيابهم لكي يلعبوا *الكالشو*.

أما في المكسيك وفي أميركا الوسطى، فكانت طابة المطاط هي شمس الطقوس المقدسة منذ حوالى ألف وخمسمئة سنة قبل المسيح، ولكن من غير المعروف متى بدأ لعب كرة القدم في أماكن كثيرة من القارة الأمريكية. فبالاستناد إلى هنود غابات الأمازون البوليفية، هناك أصول مغرقة في القدم لتقليد ركضهم وراء طابة من المطاط المصمت، لإدخالها ما بين عمودين دون

استخدام الأيدي. وفـي القرن الثامن عشر قدّم كاهن اسباني، من بعثات الجيزويت التبشيرية فـي أعالي نهر بارانا، شرحاً بهذه الطريقة لعادة قديمة من عادات هنود الغواراني: «إنهم لا يقذفون الكرة بأيديهم مثلما نفعل نحن، وإنما بالجزء العلوي من القدم العارية». وفـي المكسيك وأميركا الوسطى كان ضرب الكرة يتم بالورك أو بالعضد، بالرغم من أن رسوم تيويتهواكان وتشيتشين-إيتزا تبين أن بعض الألعاب كانت تستدعي ركل الكرة بالقدم أو بالركبة. وهناك جدارية تعود إلى ما يزيد على ألف سنة تُظهر واحداً من أجداد هوغو سانتشيز وهو يُلعب بقدمه اليسرى فـي تيبانتيتلا. وعندما ينتهي اللعب، كانت الكرة تنهي رحلتها: فالشمس قد وصلت إلى الفجر بعد أن اجتازت منطقة الموت. عندئذ، ولكي تطلع الشمس، كانت تراق الدماء. وحسب رأي بعض العارفين، كان من عادة الأزتيك التضحية بالفائزين وتقديمهم قرابين. وقبل أن يقطعوا رؤوسهم، كانوا يطلون أجسادهم بخطوط حمراء. وكان المختارون من الآلهة يقدمون دماءهم قرباناً لكي تكون الأرض خصبة والسماء سخية.

قواعد اللعبة

بعد قرون طويلة من الإنكار الرسمي، انتهى الأمر بالجزر البريطانية إلى الإقرار بوجود كرة فـي قدرها. ففـي زمن الملكة فيكتوريا لم تعد كرة القدم مجرد رذيلة جماعية يمارسها الرعاع وحدهم، وإنما صارت كذلك فضيلة أرستقراطية.

فقادة المجتمع المستقبليون كانوا يتدربون على الفوز بلعب كرة القدم فـي باحات المدارس والجامعات. وكان أشبال الطبقة الراقية ينفسون هناك من اندفاعات حماسهم الشبابي، ويُصلّبون انضباطهم، ويقيسون شجاعتهم ويشحذون دهاءهم. وفـي الطرف الآخر من السلم الاجتماعي، لم يكن البروليتاريون بحاجة إلى إنهاك أجسادهم، لأن المصانع والورش كانت قد وُجدت لتحقيق ذلك، ولكن وطن الرأسمالية الصناعية كان قد اكتشف أن كرة القدم، هوى الجماهير، توفر تسلية وعزاء للفقراء وتبعدهم عن

الإضرابات وعن الأفكار الخبيثة الأخرى.

كرة القدم فـي شكلها الحديث تنحدر من اتفاق جنتلمان بين اثني عشر نادياً إنكليزياً توصلوا إليه فـي خريف عام 1863، فـي إحدى حانات لندن. وقد تبنت تلك الأندية القواعد التي كانت قد أقرتها جامعة كامبردج فـي عام 1846. ففـي كامبردج تم الطلاق النهائي ما بين كرة القدم والركبي: فقد مُنع حمل الكرة باليد، مع أنه كان مسموحاً لمسها، ومُنع كذلك توجيه الركلات إلى الخصم. فـ «ركلات الأقدام يجب أن توجه إلى الكرة فقط»، هذا ما تنبه إليه إحدى القواعد. وبعد مرور قرن ونصف قرن على ذلك، ما يزال هناك لاعبون حتى اليوم يخطئون ما بين الكرة ورأس خصمهم، بسبب تشابه شكليهما.

اتفاق لندن لم يحدد عدد اللاعبين، ولا أبعاد الملعب، ولا ارتفاع المرمى، ولا مدة المباراة. فقد كانت المباريات تستمر ساعتين أو ثلاث ساعات، وكان أبطالها يتبادلون الحديث ويدخنون حين تكون الكرة بعيدة. ولكن التسلل كان معروفاً. فقد كان من غير المقبول تسجيل أهداف من وراء ظهر الخصم.

فـي ذلك الزمان لم يكن أحد يشغل مكاناً معيناً فـي أرض الملعب: فالجميع كانوا يركضون مبتهجين وراء الكرة، وكل شخص يذهب حيثما يشاء ويبدل موقعه حسب مشيئته. وقد بدأ تنظيم الفرق فـي اسكتلندا فـي حوالى 1870 وتوزيعها فـي مهمة الدفاع وخطي الوسط والهجوم. وفـي أثناء ذلك كان عدد اللاعبين قد تحدد بأحد عشر لاعباً. ولم يعد بإمكان أي منهم لمس الكرة بيده منذ عام 1869، حتى ولا لوقفها أو إيصالها إلى القدم. ولكن فـي عام 1871 ولد حارس المرمى ليكون الاستثناء الوحيد فـي هذا التحريم، إذ يمكنه حماية مرماه بكل أعضاء جسده.

كان حارس المرمى يحرس حصناً مربعاً: المرمى، وكان طوله أقصر من المرمى الحالي ارتفاعه وأعلى منه بكثير، ويتألف من أعمدة متصلة بشريط قماشي على ارتفاع خمسة أمتار ونصف. ثم استبدل الشريط القماشي بعارضة خشبية فـي عام 1875. وكانت الأهداف تُسجل على قائم المرمى بحفر خطوط صغيرة. وتعبير **تسجيل هدف** ما زال مستخدماً، بالرغم من أن

الأهداف لم تعد تُسجل اليوم على قائم المرمى، وإنما ترصدها لوحات إلكترونية فـي الاستادات. والمرمى المؤلف من زوايا قائمة ليس له شكل القوس، ولكنهم ما زالوا يطلقون عليه فـي بعض البلدان تسمية **القوس** وعلى من يدافع عنه اسم **حارس القوس،** ربما لأن تلاميذ المدارس الإنكليزية كانوا يستخدمون قناطر باحات مدارسهم بدلاً من المرمى.

وفـي عام 1872 ظهر الحكم. وكان اللاعبون حتى ذلك الحين هم حكام أنفسهم، فهم أنفسهم يفرضون العقوبات على المخالفات التي تحدث. وفـي عام 1880 كان الحكم يحمل جهاز توقيت فـي يده ليقرر متى تنتهي المباراة، وكانت له سلطة طرد من يسيء التصرف خارجاً، ولكنه كان ما يزال يوجه المباراة بإطلاق الصرخات من خارج الملعب. وفـي عام 1891 دخل الحكم لأول مرة إلى الملعب نافخاً فـي الصفارة، وأُقرت أول ضربة جزاء فـي التاريخ حين خطا الحكم اثنتي عشرة خطوة محدداً نقطة توجيه الضربة. وقبل سنوات من ذلك، كانت الصحافة البريطانية تشن حملة لصالح إقرار ضربة الجزاء. فقد كان لا بد من توفير الحماية للاعبين عند فم المرمى الذي كان مسرحاً لمجازر دامية. وكانت مجلة **ويستمنستر غازيت** قد نشرت قائمة مرعبة بأسماء اللاعبين الذين قضوا نحبهم أو تكسرت عظامهم هناك.

وعندما مات القرن التاسع عشر، انتهى معه الاحتكار البريطاني لكرة القدم. ففـي عام 1904 ولدت **الفيفا،** أي الاتحاد الدولي لكرة القدم، التي صارت تحكم منذ ذلك الحين العلاقة ما بين الكرة والقدم فـي العالم بأسره. وعلى امتداد بطولات العالم المتتالية أدخلت **الفيفا** تعديلات قليلة على تلك القواعد البريطانية التي نظمت اللعبة.

الغزو الإنكليزي

عند سور مستشفى للمجانين، فـي ميدان مقفر فـي بوينس آيرس، كان بعض الفتيان الشقر يتقاذفون كرة بأقدامهم.

سأل طفلٌ:
ـ من هم هؤلاء؟
فأخبره أبوه:
ـ أنهم مجانين. إنكليز مجانين.

الصحفـي خوان خوسيه دي سويثا رييللي يتذكر هذه الحادثة من طفولته. ففـي الأزمنة الأولى، كانت كرة القدم تبدو **لعبة مجانين** فـي منطقة ريو دي لابلاتا (الأرجنتين والارغواي). ولكن فـي أوج التوسع الإمبراطوري البريطاني، صارت كرة القدم سلعة بريطانية للتصدير لا تقل شهرة عن أقمشة مانشستر أو القطارات أو قروض مصرف باريتغز أو مذهب حرية التجارة. كانت اللعبة قد وصلت إلى أميركا اللاتينية مع أقدام البحارة الإنكليز الذين كانوا يمارسونها فيما حول أرصفة مينائي بوينس آيرس ومونتيفيديو، بينما كانت سفن جلالته تُفرغ عباءات البونتشو والأحذية والدقيق، وتُحمّل الصوف والجلود والقمح لتُصنّعه هناك بعيداً وتحوله إلى مزيد من عباءات البونتشو والأحذية والدقيق. وقد كان المواطنون الإنكليز، من دبلوماسيين وموظفـي سكك حديدية وغاز هم من شكلوا أول الفرق المحلية فـي أميركا اللاتينية. وأول مباراة دولية جرت فـي أرغواي، فـي عام 1889، كانت مواجهة بين إنكليزيي مونتيفيديو وبوينس آيرس تحت صورة ضخمة للملكة فيكتوريا، بجفونها المتهدلة، وتكشيرتها المزدرية. وقد رعت صورة أخرى لملكة البحار نفسها فـي عام 1892، أول مباراة بكرة القدم البرازيلية التي تنافس فيها مواطنون بريطانيون يعملون فـي شركة الغاز وفـي سكك حديد ساو باولو.

الصور القديمة تُظهر أولئك الرواد بلون صبيدج التصوير. لقد كانوا محاربين مهيئين للمعركة. فدروع القطن والصوف تغطي كامل أجسادهم، حتى لا يجرحوا مشاعر السيدات اللواتي كن يحضرن المباريات وهن يعتمرن قبعات حريرية ويهوّين بمناديل من الدنتلا. لم يكن اللاعبون يكشفون سوى وجوههم ذات النظرات القلقة والشوارب ذات الأطراف المدببة التي تطل من تحت القبعات. وكانوا ينتعلون فـي أقدامهم أحذية ثقيلة من نوع

مانفيلد.

العدوى لم تتأخر طويلاً. فعاجلاً وليس آجلاً، بدأ رجالات المجتمع المحلي بممارسة ذلك الجنون الإنكليزي. فاستوردوا من لندن القمصان والأحذية وواقيات قصبة الساق والسراويل التي كانت تمتد من الصدر إلى ما تحت الركبتين. ولم تكن كرات كرة القدم تلفت أنظار رجال الجمارك الذين ما كانوا يعرفون كيف يصنفون تلك الأشياء. وكانت السفن تأتي أيضاً بكتب المراجع الخاصة، ومعها الكلمات التي جاءت إلى تلك الأماكن القصية فـي جنوب القارة الأمريكية لتستقر فـيها لسنوات طويلة: field, score, gol, gol-keeper, back, half, forward, out-ball, penalty, off-side. وكان **الفاول** يستحق عقوبة الـ referee، ولكن يمكن للاعب المتضرر أن يقبل اعتذار المذنب ***طالما كان اعتذاره صريحاً ومصاغاً بإنكليزية سليمة***، مثلما يُعلّم أول كتاب وصايا فـي كرة القدم انتشر فـي منطقة ريو دي لابلاتا.

وفـي أثناء ذلك كانت كلمات أخرى من اللغة الإنكليزية تندمج فـي لغة بلدان أميركا اللاتينية المطلة على البحر الكاريبي: pitcher, cacher, innings. فتلك البلدان الخاضعة للنفوذ الأميركي الشمالي، كانت تتعلم ضرب الكرة بمدقة خشبية مخروطية (لعبة البيسبول). وكان رجال المارينز يأتون حاملين المدقة على كتفهم جنباً إلى جنب مع البندقية، بينما كانت الدماء والنيران تفرض النظام الإمبراطوري فـي المنطقة. ومنذ ذلك الحين صارت البيسبول بالنسبة لأبناء الكاريبي مثلما هي كرة القدم بالنسبة إلى بقيتنا.

كـرة القـدم الأمريكـية اللاتينيـة

لم تكن جمعية كرة القدم الأرجنتينية تسمح بالتكلم بالإسبانية فـي اجتماعات مسؤوليها، وكانت رابطة كرة القدم فـي الارغوي تحظر إجراء المباريات فـي أيام الآحاد، لأن العادة الإنكليزية تقضي بأن يكون اللعب فـي يوم السبت. ولكن منذ سنوات القرن الأولى كانت كرة القدم قد بدأت تتحول إلى لعبة شعبية وتتخذ

صبغة محلية على ضفاف نهر لابلاتا. هذه التسلية المستوردة التي تشغل أوقات فراغ أبناء الفئة الراقية، كانت قد أفلتت من أصيصها العالي ونزلت إلى الأرض وراحت تضرب جذورها فيها.

لقد كانت عملية تحول متواصلة. فمثل التانغو، نمت كرة القدم انطلاقاً من الأحياء الهامشية. فهي رياضة لا تتطلب نقوداً ويمكن ممارستها دون أي شيء آخر سوى الرغبة في اللعب. ففي المرابع، وفي الأزقة، وعلى الشواطئ كان الفتيان المحليون والشبان المهاجرون يرتجلون مباريات بكراتٍ مصنوعة من جوارب قديمة، مملوءة بخرق قماشية أو بورق، مع حجرين يمثلان المرمى. وبفضل لغة كرة القدم التي بدأت تتحول إلى لغة كونية، كان العمال المطرودون من الحقول يتفاهمون على أكمل وجه مع العمال المطرودين من أوربا. فكان اسبيرانتو الكرة يوحد أبناء البلاد الفقراء مع العمال المهاجرين الذين يجتازون البحر قادمين من فيغو، ولشبونة، ونابولي، وبيروت أو من بلاد الصرب حالمين بتحقيق حلمهم الأمريكي وهم يبنون جدراناً ويحملون بالاتٍ ثقيلة، ويخبزون الخبز أو يكنسون الشوارع. لقد قامت كرة القدم برحلة رائعة: فقد بدأ تنظيمها في المدارس والجامعات الإنكليزية، ثم راحت تبعث في أميركا الجنوبية البهجة في حياة أناس لم يدخلوا مدرسة في حياتهم على الإطلاق.

في ملاعب بوينس آيرس ومونتيفيديو ولد أسلوب خاص، طريقة خاصة في لعب كرة القدم، راحت تشق طريقها، بينما كانت طريقة خاصة في الرقص تترسخ في أفناء رقصة الميلونغا. فالراقصون يرسمون زخارف ونقوش أزهار وهم يتحركون فوق بلاطة واحدة، ولاعبو كرة القدم يبتدعون لغتهم في الحيز الصغير جداً حيث لا تُركل الكرة وإنما تُوقف وتمتلك كما لو أن القدمين هما يدان. وبأقدام أول اللاعبين البارعين المحليين، ولد **العزف**: ولدت الكرة **المعزوفة** التي صارت مصدراً للموسيقى، وكأنها الجيتار.

وفي الوقت نفسه كانت كرة القدم تكتسب صبغة تروبيكالية

فـي ريو دي جانييرو وساو باولو. وكان الفقراء هم الذين يُثرون اللعبة بينما هم يحولونها إلى ملكية لهم. هذه اللعبة الأجنبية بدأت تتحول إلى برازيلية بقدر تخليها عن كونها امتيازاً لعدد محدود من الشبان الأغنياء الذين يمارسونها بمحاكاة تامة للأصل الأجنبي، وقد أُخصبت بحماسة إبداع الشعب الذي اكتشفها. وهكذا ولدت أجمل كرة قدم فـي العالم تتشكل من انحناءات الخصر، وتموجات الجسد، وطيران الأرجل المتحدر من الكابويرا، الرقصة الحربية للعبيد الزنوج، ومن الرقصات المرحة التي تمارس فـي ضواحي المدن الكبرى.

كانت كرة القدم تتحول إلى هوى شعبي وتكشف جمالها السري، وتتخلى فـي الوقت نفسه عن كونها وسيلة تسلية راقية. وفـي عام 1915، كانت إشاعة الديمقراطية فـي كرة القدم تنتزع التذمر من مجلة **سبورت** فـي ريو دي جانييرو: «نحن الذين لنا مكانة فـي المجتمع نجد أنفسنا مضطرين إلى اللعب مع عامل، أو مع سائق... فممارسة الرياضة آخذة بالتحول إلى عقوبة، إلى تضحية، ولم تعد متعة على الإطلاق».

قصـة الـ فـلا و فـلـو

فـي عام 1912 جرت المنافسة فـي أول مباراة قمة فـي تاريخ كرة القدم البرازيلية، أول مباراة فلا ـ فلو. وقد فاز نادي فلومينِنسي على فلامنغو 2/3.

كانت مباراة مثيرة وعنيفة، تسببت فـي حالات إغماء عديدة بين الجمهور. كانت المنصة مترعة بالزهور والثمار والريش والسيدات والسادة الراقيين. وبينما كان السادة يحتفون بكل هدف بإلقاء قبعاتهم القشية إلى ميدان الملعب، كانت السيدات يفلتن مراوحهن اليدوية ويغمى عليهن من الانفعال مع كل هدف، أو يثقل عليهن الحر وضغط المشدات.

كان الفلامنغو قد رأى النور قبل وقت قصير فـي الحياة الكروية. فقد ظهر من شرخ فـي نادي فلومينِنسي الذي انقسم إلى ناديين بعد مشادات كثيرة، وبعد كثير من صخب الحرب

وصرخات المخاض. وسرعان ما ندم الأب لأنه لم يخنق في المهد هذا الابن المتمادي والمستهزئ، ولكن الوقت كان قد فات ولم يعد بالإمكان عمل أي شيء: لقد أنجب الفلومييننسي لعنته الخاصة بنفسه ولم يعد هناك من علاج للنكبة.

ومنذ ذلك الحين يكرس الأب والابن، الابن المتمرد والأب المهجور، كل جهودهما في الحقد المتبادل. وكل مباراة ذروة فلا-فلو هي معركة جديدة في هذه الحرب التي لا نهاية لها. الفريقان كلاهما يحبان المدينة نفسها، ريو دي جانييرو، المتكاسلة، الخاطئة، التي تسترخي بفتور متيحة للجميع أن يحبوها، وتتسلى بعرض نفسها على كلا الفريقين دون أن تمنح نفسها لأي منهما. إنهما يتبارزان من أجلها، وتأتي هي إلى مبارزاتهما مرتدية ثيابها الاحتفالية.

أهي أفيون الشعوب؟

ما هو وجه الشبه بين كرة القدم والإله؟ إنه الورع الذي يبديه كثيرون من المؤمنين والريبة التي يبديها كثيرون من المثقفين.

في 1880، في لندن، سخر ريديارد كيبلينغ من كرة القدم ومن «الأرواح الصغيرة التي يمكنها أن ترتوي برؤية الحمقى الذين يلعبونها». وبعد قرن من ذلك، كان خورخي لويس بورخيس، في بوينس آيرس، أكثر خفة: فقد ألقى محاضرة حول موضوع الخلود في اليوم نفسه، والساعة نفسها، التي كان فيها المنتخب الأرجنتيني يخوض مباراته الأولى في مونديال 1978.

احتقار الكثير من المثقفين المحافظين لكرة القدم كان يستند إلى اليقين بأن عبادة الكرة هي الشعوذة التي يستحقها الشعب. فالغوغاء المصابة بمس كرة القدم تفكر بأقدامها، وهذا من خصائصها، وفي هذه المتعة التبعية تجد نفسها. فالغريزة البهيمية تفرض نفسها على الجنس البشري، والجهل يسحق الثقافة، وهكذا تحصل الدهماء على ما تريده.

وهناك بالمقابل مثقفون يساريون كثيرون يزدرون كرة القدم لأنها تخصي الجماهير وتحرفها عن النشاط الثوري. خبز

وسيرك، سيرك دون خبز: فالعمال المنوّمون بالكرة التي تمارس عليهم سحراً خبيثاً، يصابون بضمور الوعي، ويتيحون لأعدائهم الطبقيين أن يسوقوهم كالقطيع.

عندما لم تعد كرة القدم شيئاً خاصاً بالإنكليز والأغنياء، ولدت فـي منطقة ريو دي بلاتا (أي الارجنتين والارغواي) أول الأندية الشعبية، فجرى تنظيمها فـي ورش السكك الحديدية وفـي ترسانات الموانئ. وفـي ذلك الحين، استنكر بعض القادة الفوضويين والاشتراكيين هذه الآلية البرجوازية لمنع الإضرابات وللتستر على التناقضات الاجتماعية. فانتشار كرة القدم فـي العالم كان برأيهم مؤامرة إمبريالية للإبقاء على الشعوب المقهورة فـي طور الطفولة.

ومع ذلك، فإن نادي جونيورز الأرجنتيني ولد أول الأمر باسم نادي شهداء شيكاغو، تكريماً للعمال الفوضويين الذين شنقوا فـي أول أيار، وكان أول أيار كذلك هو اليوم الذي اختير للإعلان عن ميلاد نادي تشاكاريتا، الذي جرى تعميده فـي مكتبة فوضوية فـي بوينس آيرس. فـي تلك السنوات الأولى من القرن، لم يعدم وجود مثقفين يساريين يحتفلون بكرة القدم بدل ازدرائها كمخدر للوعي. ومن بينهم الماركسي الإيطالي أنطونيو غرامشي الذي امتدح «مملكة الوفاء البشري هذه التي تُمارس فـي الهواء الطلق».

الكـرة كـرايــة

فـي صيف 1916، فـي أوج الحرب العالمية، اندفع نقيب إنكليزي إلى الهجوم وهو يشوط كرة. فقد قفز النقيب نيفيل من المتراس الذي يحميه، وراح يركض وراء كرة متقدماً الهجوم باتجاه الخنادق الألمانية. ولحقت به فرقته التي كانت مترددة. لقد قُتل النقيب بقذيفة مدفع، ولكن إنكلترا استولت على تلك الأرض واستطاعت أن تحتفل بالمعركة باعتبارها أول انتصار لكرة القدم الإنكليزية فـي جبهة الحرب.

بعد سنوات طويلة من ذلك، وفـي أواخر القرن تقريباً، كسب

صاحب نادي ميلان الانتخابات الإيطالية تحت شعار **قوة إيطاليا** المأخوذ من مدرجات ملاعب كرة القدم. لقد وعد سيلفيو بيرلوسكوني بإنقاذ إيطاليا مثلما أنقذ نادي ميلان، الفريق الخارق وبطل الجميع، وقد نسي الناخبون أن بعض شركاته كانت على حافة الانهيار.

كرة القدم والوطن مرتبطان على الدوام؛ وكثيراً ما يضارب السياسيون والدكتاتوريون بهذه الروابط. ففصيلة كرة القدم الإيطالية ربحت مونديالي 34 و38 باسم الوطن وموسوليني، وكان لاعبوها يبدؤون وينهون كل مباراة بصرخة تحيا إيطاليا وبتحية الجمهور ببسط راحاتهم المرفوعة.

وقد كانت كرة القدم بالنسبة للنازيين أيضاً مسألة دولة. وهناك نصب فـي أوكرانيا يذكّر بلاعبي فريق دينامو كييف فـي 1942. ففـي أوج الاحتلال الألماني، أقترف أولئك اللاعبون حماقة إلحاق الهزيمة بمنتخب هتلر فـي الملعب المحلي. وكان الألمان قد حذروهم:

- إذا ربحتم ستموتون.

دخلوا الملعب وهم مصممون على الخسارة، وكانوا يرتجفون من الخوف والجوع، ولكنهم لم يستطيعوا كبح رغبتهم فـي الجدارة والكرامة. فأعدم اللاعبون الأحد عشر وهم بقمصان اللعب، عند حافة هاوية، بعد انتهاء المباراة مباشرة.

كرة القدم والسياسة، كرة القدم والشعب: فـي عام 1934، وبينما كانت بوليفيا وباراغواي تتذابحان فـي حرب التشاكو، متنازعتين قطعة أرض مقفرة على الخريطة، شكّل الصليب الأحمر فـي باراغواي فريق كرة قدم، لعب فـي عدد من مدن الأرجنتين وأرغواي وجمع ما يكفـي من المال لمعالجة جرحى الجانبين فـي ميدان المعركة.

بعد ثلاث سنوات من ذلك، وخلال الحرب الأهلية الإسبانية، كان هناك فريقان مغتربان شكلا رمزاً للمقاومة الديمقراطية. فبينما الجنرال فرانكو يمسك بذراعي هتلر وموسوليني، ويقصف الجمهورية الإسبانية، كان المنتخب الباسكي يجوب أوربا وفريق برشلونة يخوض مباريات فـي الولايات المتحدة والمكسيك. فقد

أرسلت الحكومة الباسكية فريق بلادها إلى فرنسا وبلدان أخرى للقيام بالدعاية وجمع الأموال للدفاع عن الجمهورية. وفي الوقت نفسه أبحر فريق برشلونة إلى أمريكا. ومع انقضاء عام 1937، سقط رئيس فريق برشلونة صريعاً بالرصاص الفرانكوي. وكان الفريقان يجسدان في ملاعب كرة القدم، وخارجها أيضاً، الديمقراطية المحاصرة.

لم يرجع سوى أربعة لاعبين برشلونيين إلى إسبانيا خلال الحرب. أما الفريق الباسكي، فلم يرجع منه سوى لاعب واحد. وعندما هُزمت الجمهورية، اعتبرت الفيفا اللاعبين المنفيين متمردين، وهددتهم بمنعهم نهائياً من اللعب، ولكن عدداً منهم تمكنوا من الانضمام إلى كرة القدم الأمريكية اللاتينية. فشكّل بعض اللاعبين الباسكيين في المكسيك فريق إسبانيا، وكان فريقاً لا يُقاوم في أزمنته الأولى. ومهاجم الوسط في الفريق الباسكي الأصلي إيسيدرو لانغارا، بدأ العمل في كرة القدم الأرجنتينية في عام 1939. وفي مباراته الأولى هناك سجل أربعة أهداف. أما اللاعب آنخل ثوبيتا الذي كان يلعب في خط الوسط في الفريق الباسكي، فقد تألق بعد الحرب الإسبانية في فريق سان لورينزو. وفيما بعد، تصدر لانغارا قائمة الهدافين في البطولة المكسيكية لعام 1945.

أما فريق إسبانيا فرانكو النموذجي، أي الريال مدريد، فقد سيطر على العالم منذ 1956 وحتى 1960. وكسب هذا الفريق أربعة كؤوس اسبانية متتالية، وخمسة كؤوس أوربية وكأس عالمي. كان الريال مدريد يتجول في كل البلدان، وأينما حلّ كان يخلف الناس مفتوحي الأفواه من الدهشة والإعجاب. لقد وجدت ديكتاتورية فرانكو فيه سفارة متجولة لا يمكن مجاراتها. فالأهداف التي كانت الإذاعة تبثها شكلت أبواق انتصار أشد فعالية من نشيد «وجهنا إلى الشمس». وفي عام 1959، ألقى خوسيه سوليس، أحد قادة نظام فرانكو، خطاب شكر أمام لاعبي الفريق، «لأن أناساً كانوا يكرهوننا في السابق، صاروا الآن يفهموننا بفضلكم». لقد كانوا يقولون إن الريال مدريد يجمع فضائل العرق الإسباني، مع أن خط هجومه كان يبدو أقرب إلى

الفرقة الأجنبية. ففيه كان يتلألأ الفرنسي ريمون كوبا، والأرجنتينيان ديستيفانو وريال، والارغوايي سانتاماريا، والهنغاري بوشكاش.

لقد كانوا يطلقون على فيرنك بوشكاش لقب **المدفع بوم،** بسبب القوة الساحقة لقدمه اليسرى، ولكنه كان يعرف كذلك كيف يكون قفازاً رقيقاً. وكان يبرز فـي فريق برشلونة أيضاً فـي تلك السنوات هنغاريون آخرون: لاديسلاو كوبالا، وزولتان شيبور، وساندور كوكسيس. وفـي عام 1954 وضع فـي برشلونة حجر الأساس لبناء استاد «كامب نو» الضخم الذي ولد بفضل الهنغاري كوبالا: لأن الملعب السابق لم يعد يتسع للحشود التي كانت تتوافد لرؤيته وهو يلعب ويوجه التمريرات بالميلمتر، ويصوب التسديدات القاتلة. وفـي أثناء ذلك كان شيبور يطلق الشرر من حذائه. أما الهنغاري الثالث فـي فريق برشلونة، وهو كوكسيس، فكان يوجه أعظم الضربات بالرأس، حتى أطلق عليه لقب «*الرأس الذهبي*» وكان بحر من المناديل الملونة يحيي أهدافه. ويقال بأن كوكسيس كان أفضل رأس فـي أوربا، بعد رأس تشرشل.

فـي عام 1950 شكل كوبالا فريقاً هنغارياً فـي المنفى، فكلفه ذلك أن منعته الفيفا من اللعب لمدة سنتين. ثم عاقبت الفيفا بعد ذلك، بالمنع من اللعب لمدة تزيد على السنة، كلاً من بوشكاش وشيبور كوكسيس وهنغاريين آخرين لعبوا فـي فرق فـي المنفى منذ أواخر عام 1956، على أثر سحق الغزو السوفييتي للانتفاضة الشعبية.

وفـي عام 1958، فـي أوج حرب الاستقلال، شكلت الجزائر منتخب كرة قدم ارتدى لأول مرة قميصاً بألوان العلم الوطني. وقد تألف الفريق من اللاعب مخلوفـي، وبن طيفور وجزائريين آخرين كانوا محترفين فـي كرة القدم الفرنسية.

ولكن الحصار الذي فرضته القوة الاستعمارية حال دون تمكن الجزائر من اللعب إلا مع المغرب الذي تعرض بسبب هذه الخطيئة إلى الإبعاد من الفيفا لبضع سنوات، كما لعب الفريق الجزائري عدداً آخر من المباريات غير المهمة، كانت تنظمها

الجمعيات الرياضية فـي بعض البلدان العربية أو بلدان أوربا الشرقية. لقد أغلقت الفيفا كل الأبواب أمام المنتخب الجزائري، وعاقبت كرة القدم الفرنسية أولئك اللاعبين بإعلان موتهم مدنياً. ولأنهم كانوا مقيدين بالعقود، لم يعد بإمكانهم العودة إلى اللعب كمحترفين.

ولكن بعد انتزاع الجزائر لاستقلالها، لم تجد كرة القدم الفرنسية بداً من العودة إلى استدعاء اللاعبين الجزائريين الذين كانت ملاعبها تتشوق إليهم.

الزنــوج

فـي عام 1916، خلال البطولة الأمريكية الجنوبية الأولى، سجلت أورغواي ضد تشيلي 4 أهداف لصفر. وفـي اليوم التالي، طالب الوفد التشيلي بإلغاء المباراة، «لأن أرغواي ضمت إلى فريقها لاعبين أفريقيين». وكان اللاعبان هما إسبيلينو غرادين و خوان ديلغادو. كان غرادين قد سجل هدفين من الأهداف الأربعة فـي المباراة.

وغرادين هو حفيد عبيد زنوج، ولد فـي مونتيفيديو. وكان الناس ينهضون عن مقاعدهم حين ينطلق بسرعة مذهلة، مسيطراً على الكرة كمن يمشي، ويراوغ الخصوم ويتجاوزهم وهو منطلق بأقصى سرعة، دون أن يتوقف. كان له وجه مثل خبز الرب، وكان واحداً من أولئك الذين إذا أرادوا الظهور بمظهر شرير لا يجدون من يصدقهم.

وخوان ديلغادو هو أيضاً حفيد زنوج عبيد، ولد فـي فلوريدا، فـي المنطقة الداخلية من الأرغواي. وكان ديلغادو باهراً يلفت الأنظار فـي رقصة المكنسة فـي الكرنفالات وفـي رقصة الكرة فـي الملاعب. وبينما هو يلعب كان يتحدث إلى الخصوم ويسخر منهم.

لقد كانت أرغواي فـي ذلك الحين هي البلد الوحيد فـي العالم

الذي يضم فريقه الوطني لاعبين زنوجاً.

ثامــورا

لعب فـي الفئة الأولى وهو فـي السادسة عشرة من عمره، حين كان ما يزال يرتدي بنطالاً قصيراً. ولكي يخرج إلى ملعب نادي إسبانيول، فـي برشلونة، ارتدى كنزة إنكليزية ذات ياقة عالية، وقفازين وقبعة قاسية كأنها الخوذة، لتقيه من الشمس ومن ركلات الخصوم. كان ذلك فـي عام 1917، وكان ريكاردو ثامورا قد اختار أشد المهن مخاطرة. فالشخص الوحيد الذي كان يتعرض لخطر أكبر من حارس المرمى هو الحكم، الذي كان يسمى آنذاك **يسوع الناصري**، وكان معرضاً لانتقام الجمهور فـي الملعب الذي لم يكن عميقاً ولا مسوراً حينذاك. فبعد كل هدف كانت المباراة تتوقف لوقت طويل، لأن الناس كانوا يدخلون إلى الملعب للمعانقة أو للضرب.

وبالملابس نفسها التي ارتداها فـي تلك المرة الأولى، اشتهرت صورة ثامورا لزمن طويل. لقد كان مصدر رعب للاعبي الهجوم الذين كانوا يغيبون عن الوعي إذا ما نظروا إليه. فحين يكون ثامورا فـي المرمى، يتقلص المرمى ويبتعد القائمان حتى يغيبا عن مجال الرؤية.

كانوا يسمونه **الإلهي**. وقد كان أفضل حارس مرمى فـي العالم خلال عشرين سنة. وكان يحب الكونياك، ويدخن ثلاث علب من السجائر يومياً، وسيجاراً كوبياً بين حين وآخر.

ســاميتير

فـي السادسة عشرة من عمره، مثل ثامورا، بدأ جوزيب ساميتير اللعب فـي الفئة الأولى. فـي عام 1918 أدرج فـي قائمة نادي برشلونة مقابل ساعة لها إطار براق، وكانت شيئاً غير معروف فـي ذلك الحين، وبدلة مع صدرية.

بعد وقت قصير من ذلك، صار بطل الفريق وصارت سيرة

حياته تباع في أكشاك المدينة. وكانت مغنيات الملاهي يتغنين باسمه، وكان اسمه يُذكر كذلك في العروض المسرحية الكوميدية الرائجة، ويحظى بالتقدير في التعليقات الرياضية التي تمتدح **الأسلوب المتوسطي** في كرة القدم الذي أسسه ثامورا وساميتير.

كان ساميتير، وهو المهاجم الصاعق، يبرز بمكر في أي مكان، مسيطراً على الكرة، بإساءة احترام تامة لقواعد المنطق وازدراء أولمبي لحدود المكان والزمان.

موت في الملعب

دافع أبدون بورتي عن قميص نادي ناسيونال في الأورغواي خلال أكثر من مئتي مباراة، على امتداد أربع سنوات، وكان يُقابَل بالتصفيق دائماً، وبالهتاف أحياناً، إلى أن أفل نجمه الطيب.

عندئذ أخرجوه من الفريق الرسمي. انتظر، طلب العودة، رجع. ولكن لم تكن هناك فائدة، فسوء الحظ لاحقه، وكان الناس يصفرون له: في الدفاع، كانت تفلت منه حتى السلحفاة؛ وفي الهجوم لم يكن يُدخل كرة واحدة.

في نهاية صيف 1918، انتحر أبدون بورتي في ملعب نادي ناسيونال. أطلق على نفسه رصاصة في منتصف الليل، وفي منتصف الملعب الذي كان محبوباً فيه. كانت كل الأضواء مطفأة. ولم يسمع أحد الطلقة.

وجدوه عند الفجر. كان يحمل المسدس في يد ورسالة في اليد الأخرى.

فريدينريتش

في عام 1919 فازت البرازيل على الأرغواي 1/صفر وتكرست بطل أميركا الجنوبية. اندفع الشعب إلى شوارع ريو دي جانيرو. وكانت على رأس الاحتفال، مرفوعة كراية، فردة حذاء كرة قدم ملوثة بالوحل، ومعها يافطة تقول: **قدم**

فريدينريتش المجيدة. وفـي اليوم التالي، انتهى المطاف بفردة الحذاء تلك التي حققت الفوز إلى واجهة محل مجوهرات فـي مركز المدينة.

أرتور فريدينريتش، ابن رجل ألماني وغسالة زنجية، لعب ضمن الفريق الأول طوال ست وعشرين سنة، ولم يتقاضى خلال كل ذلك الوقت قرشاً واحداً. ليس هناك من حقق أهدافاً مثله فـي تاريخ كرة القدم. فقد سجل أهدافاً أكثر من الهداف العظيم الآخر بيليه، وهو برازيلي أيضاً، وكان أعظم هداف فـي تاريخ كرة القدم الاحترافية. لقد سجل فريدينريتش 1329 هدفاً، بينما سجل بيليه 1279 هدفاً.

هذا الخلاسي ذو العينين الخضراوين، هو مؤسس الطريقة البرازيلية فـي اللعب. وهو من مزق المناهج الإنكليزية: هو أو الشيطان الذي كان فـي باطن قدمه. لقد حمل فريدينريتش إلى استاد البيض الوقور وقاحة الفتيان السمر الذين بلون القهوة ممن يستمتعون بتقاذف كرة من الخرق القماشية فـي الأحياء الفقيرة. وهكذا ولد أسلوب جديد، منفتح على الخيال، يفضل المتعة على النتائج. منذ فريدينريتش حتى الآن لم يعد فـي كرة القدم البرازيلية، التي هي برازيلية حقاً، زوايا قائمة، وهي غير موجودة كذلك فـي جبال ريو دي جانييرو ولا فـي العمارات التي يصممها المهندس المعماري البرازيلي أوسكار نيميير.

من البتر إلى الذروة

فـي 1921 كانت المنافسة على كأس أميركا ستجري فـي بوينس آيرس. وأصدر عندئذ رئيس البرازيل ايبيتاسيو بيسوسا مرسوم البياض: فقد أمر بعدم إرسال أي لاعب أسمر البشرة، لأسباب تتعلق بسمعة الوطن. ومن المباريات الثلاث التي لعبها الفريق الأبيض، خسر اثنتين.

فـي تلك البطولة الأمريكية الجنوبية لم يلعب فريدينريتش. فقد كان من المستحيل فـي تلك الفترة أن يكون لاعب كرة القدم

البرازيلي زنجياً، ومن الصعب أن يكون خلاسياً: وكان فريدينريتش يتأخر على الدوام في الدخول إلى أرض الملعب، لأنه كان يبقى نصف ساعة في صالة الملابس وهو يكوي شعره الأجعد. واللاعب الخلاسي الوحيد في نادي فلومينئسي، كارلوس ألبيرتو، كان يبيض وجهه بمسحوق الرز.

فيما بعد، ورغم أنف أصحاب السلطة وليس بفضلهم، راحت الأمور تتبدل. وعلى المدى الطويل، ومع مرور الوقت، تمكنت كرة القدم تلك المبتورة بالعنصرية من أن تتكشف بكل أبعادها بألوان متنوعة. وبعد كل هذه السنين صار من السهل إدراك أن الزنوج والخلاسيين هم أفضل اللاعبين في تاريخ البرازيل، ابتداء من فريدينريتش وحتى روماريو، مروراً بدومينغوس، وداغيا، وليونيداس، وزيزينهو، وغارينشيا، وديدي، وبيليه. جمعهم آتون من الفقر، وقد عاد بعضهم إليه. ولكن لم يكن هناك بالمقابل زنجي واحد بين أبطال البرازيل في قيادة السيارات، لأنها رياضة تتطلب المال، مثلها مثل كرة المضرب.

في هرم العالم الاجتماعي، الزنوج في الأسفل والبيض في الأعلى. وهذا ما يطلقون عليه في البرازيل اسم **الديمقراطية العنصرية**، ولكن كرة القدم توفر في الحقيقة أحد الميادين القليلة التي تنعم بقدر من الديمقراطية، حيث يمكن لذوي البشرة القاتمة أن يتنافسوا على قدم المساواة. ويمكن أن يكون ذلك، إلى حد ما، لأن البعض في كرة القدم هم أكثر مساواة من الآخرين. ومع أن الجميع يتمتعون بالحقوق نفسها، إلا أنه لا تتوفر منافسة في ظروف متماثلة للاعب القادم من الجوع والرياضي جيد التغذية. ولكن الطفل الفقير، وهو زنجي وخلاسي عموماً، يجد في كرة القدم بعض إمكانية الصعود الاجتماعي التي لا توفرها له لعبة أخرى سواها: فالكرة هي العصا السحرية الوحيدة التي يمكنه أن يؤمن بها. فقد توفر له الطعام، وربما تحوله إلى بطل، وربما إلى إله.

البؤس يُكسبه البراعة في كرة القدم أو في الجنوح. ومنذ ولادته يكون هذا الطفل مضطراً إلى تحويل عيوبه الجسدية إلى

سلاح، وسرعان ما يتعلم كيف يقفز عن قواعد النظام الذي ينكر عليه المكان. يتعلم كيف يكتشف تيه كل طريق، وكيف يكون عالماً في فنون التخفي والمفاجأة، وكيف يشق طريقه إلى حيث لا ينتظر أحد ظهوره، ويتفادى الخصم بانحناءة من خصره أو بأي لحن آخر من موسيقاه المراوغة.

الاكتشاف الثاني لأميركا

لم يكن الوطن يعني أي شيء بالنسبة إلى بيدرو اريسبي. فالوطن هو المكان الذي ولد فيه، وهو لا يعنيه لأن أحداً لم يستشره في اختيار المكان الذي يولد فيه؛ وهو المكان الذي ينقصم فيه ظهره وهو يعمل في ثلاجات اللحوم، وقد كان سواء لديه العمل لدى رب العمل هذا أو ذاك في أي جغرافية أخرى. ولكن عندما فازت كرة القدم الارغوايية في أولمبياد 1924 في فرنسا، كان اريسبي واحداً من اللاعبين الفائزين؛ وبينما هو ينظر إلى العلم الوطني يرتفع ببطء على سارية الشرف، برسم الشمس التي في أعلاه، وخطوطه الأربعة السماوية اللون، وسط كل الأعلام الأخرى، وأعلى منها جميعاً، أحس اريسبي بصدره ينفجر فخراً.

بعد أربع سنوات من ذلك، كسبت ارغواي أولمبياد هولندا، وقد علق مسؤول ارغوايي، هو ايتليو نارانثيو الذي كان قد رهن بيته خلال أربع وعشرين ساعة ليدفع ثمن بطاقات سفر اللاعبين، بالقول:

- لم نعد تلك البقعة الصغيرة المنسية على خريطة العالم.

لقد كان قميص الفريق الأزرق السماوي هو الدليل على وجود الأمة، وعلى أن الأرغواي لم تكن مجرد خطأ جغرافي، فقد أخرجت كرة القدم هذا البلد الصغير جداً من ظلال الإغفال العالمي.

أبطال معجزتي 1924 و1928 كانوا عمالاً وبوهميين لا يتلقون من كرة القدم شيئاً سوى سعادة اللعب وحدها. لقد كان بيدرو اريسبي عاملاً في مجال اللحوم. وخوسيه ناسازي كان

يقطع أحجار الرخام. وكان بيروتشو بيتروني بقالاً. وبيدرو ثيا موزع ثلج. وخوسيه لياندرو اندرادي موسيقي كرنفالات وماسح أحذية. وجميعهم كانوا فـي العشرين من عمرهم أو أكثر منها بقليل، ولكنهم يبدون فـي الصور رجالاً كباراً. وكانوا يعالجون رضوض الركلات التي تصيبهم بالماء والملح، أو بكمادات الخل وبضع كؤوس من النبيذ.

فـي عام 1924، وصلوا إلى أوربا ببطاقات الدرجة الثالثة، وهناك أكملوا سفرهم بالدين، فـي عربات الدرجة الثانية، حيث كانوا ينامون على المقاعد الخشبية ويضطرون إلى لعب مباراة بعد أخرى مقابل السقف والطعام. وبينما هم فـي طريقهم إلى دورة باريس الأولمبية، لعبوا فـي إسبانيا تسع مباريات وفازوا بها كلها.

كانت تلك هي المرة الأولى التي يلعب فيها فريق أمريكي لاتيني فـي أوربا. وقد تواجهت أرغواي مع يوغسلافيا فـي المباراة الأولى. أرسل اليوغسلاف جواسيس للإطلاع على تدريبات فريق الارغواي، فانتبه الارغواييون إلى ذلك، وصاروا يتدربون بتوجيه ركلات إلى الأرض، وقذف الكرة نحو الغيوم، والتعثر فـي كل خطوة والتصادم بعضهم ببعض. ونقلَ الجواسيس الأخبار:

- هؤلاء الشبان القادمون من مكان بعيد جداً هم فـي حالة يرثى لها...

لم يكد يحضر تلك المباراة الأولى أكثر من ألفـي متفرج. وقد عُلّق علم الارغواي بالمقلوب، فكان رسم الشمس إلى أسفل، وبدلاً من نشيد الأرغواي الوطني عُزف مارش عسكري برازيلي. وفـي ذلك المساء، هزمتْ الأرغواي يوغسلافيا 7/صفر.

عندئذ حدث شيء أشبه بالاكتشاف الثاني لأميركا. فمباراة بعد أخرى كانت الحشود تتجمع لرؤية أولئك الرجال الزلقين مثل السناجب الذين يلعبون الشطرنج بالكرة. لقد كانت المدرسة الإنكليزية قد فرضت أسلوب التمريرات الطويلة والكرات العالية، ولكن هؤلاء الأبناء المجهولين الذين أنجبتهم اللعبة فـي

أميركا النائية، لم يكونوا يقلدون الأب. لقد كانوا يفضلون ابتداع كرة قدم ذات كرات قصيرة وموجهة إلى القدم مباشرة، مع تبدلات خاطفة في الإيقاع والمراوغة أثناء الركض. وقد نشر الكاتب الأرستقراطي هنري مونتثيرلانت حماسته: «إنها ثورة! هذه هي كرة القدم الحقيقية. أما ما نعرفه نحن، وما نلعبه نحن، فليس كرة قدم وهو لا يعدو أن يكون بالمقارنة مع هذا اللعب سوى لهو تلاميذ».

كرة القدم الارغوايية تلك في دورتي 1924 و1928 الأولمبيتين، والتي كسبت بعد ذلك كأس العالم في سنة 1930 و1950، أمكن لها أن تتحقق، إلى حد كبير، بفضل سياسة رسمية في تشجيع التربية البدنية، أدت إلى فتح ملاعب رياضية في أنحاء البلاد. لقد مرت السنون، ولم يبق من تلك الدولة ذات الميول الاجتماعية سوى الحنين. وهو ما بقي أيضاً من كرة القدم. لقد عرف بعض اللاعبين من أمثال بعيد النظر إينثو فرانشيسكولي كيف يورثون ويجددون الفنون القديمة، ولكن كرة القدم الارغوايية بصورة عامة ما تزال بعيدة عن أن تكون ما كانت عليه. ففي كل يوم يتناقص عدد الأطفال الذين يلعبونها، ويتناقص عدد الرجال الذين يلعبون كرة القدم بظرافة. ومع ذلك، ليس هناك شخص واحد في الأرغواي إلا ويعتبر نفسه دكتوراً في تكتيك كرة القدم واستراتيجيتها، وعالماً ضليعاً في تاريخها. فالهوى الكروي الارغوايي ينحدر من تلك الأزمنة البعيدة التي ما زالت جذورها ظاهرة للعيان: فكلما لعب المنتخب الوطني مباراة، ضد أي فريق كان، تتوقف أنفاس البلاد، وتصمت أفواه السياسيين والمغنين ومتشدقي المهرجانات، ويوقف العشاق غرامياتهم، ويوقف الذباب طيرانه.

اندرادي

لم تكن أوربا قد رأت زنجياً يلعب كرة القدم.

في أولمبياد 1924، برز الأرغوايي خوسيه لياندرو اندرادي في لعباته الفاخرة. ففي خط الوسط كان هذا الرجل

الضخم ذو الجسد المطاطي يخطف الكرة دون أن يلمس الخصم، وحين ينطلق إلى الهجوم وهو يهز جسده كان يشتت شمل عالم كامل من الناس. فـي إحدى المباريات اجتاز نصف الملعب والكرة مستقرة على رأسه. وكان الجمهور يهتف له، والصحافة الفرنسية تدعوه **الأعجوبة السوداء**.

وعندما انتهت الدورة، بقي اندرادي راسياً لبعض الوقت فـي باريس. وعاش هناك بوهيمياً متجولاً وملك ملاهي. وقد انتعل الأحذية اللامعة بدلا الصندل الذي جاء به من مونتيفيديو، واحتلت رأسه قبعة عالية محل قبعة الكاسكيت المهترئة. وكانت مقالات ذلك العصر تحيي صورة ذلك الملك فـي ليالي بيغال: مروره المرن والراقص، التصعيرة المتكبرة، العينين المغمضتين اللتين تنظران دائماً من بعيد، ومظهر القاتل: مناديل حريرية، سترة مخططة، قفازات بلون البط، وعصا ذات قبضة فضية.

مات اندرادي فـي مونتيفيديو بعد سنوات طويلة من ذلك. وكان الأصدقاء قد وضعوا عدة مشاريع لاحتفالات تقام لصالحه، ولكن أياً منها لم يتحقق مطلقاً. لقد مات بالسل، وكان فـي أقصى حالات البؤس.

كان زنجياً، أمريكياً جنوبياً، وفقيراً، وكان أول معبود عالمي فـي تاريخ كرة القدم.

المـونيــا

مراوغات اللاعبين الارغوايين الذين كانوا يرسمون فـي جريهم متوالية من العدد 8 فـي الملعب، كانت تسمى **مونيا**، وقد أراد الصحفيون الفرنسيون أن يعرفوا سر تلك الشعوذات التي تشل الخصوم وكأنهم تماثيل من رخام. فكشف لهم لياندرو اندرادي، بواسطة المترجم، عن المعادلة: اللاعبون يتدربون بمطاردة الدجاج الذي يفر فـي حركة لها شكل متوالية من الحرف S . وقد صدقه الصحفيون ونشروا ذلك.

وبعد سنوات طويلة من ذلك، كانت حركات **المونيا** ما تزال تقابل بالتصفيق مثل الأهداف فـي كرة القدم الأمريكية الجنوبية.

وذاكرتي الطفولية تغص بها. أغمضُ عيني وأرى والتر غوميث على سبيل المثال، ذلك الزوبعة في شق طريقه، وهو يدخل وسط غابة من السيقان المعادية، وينتقل من مونيا إلى مونيا مخلفاً وراءه سلسلة من المطروحين أرضاً. وكانت المدرجات تعترف:

الناس ما عادوا يأكلون،

من أجل أن يروا والتر غوميث.

وكان يحب أن **يعجن** الكرة بين قدميه؛ وإذا ما أخذوها منه يغضب. ولم يكن أي مدير فني ليتجرأ على القول له، مثلما يقولون الآن:

- إذا أردت أن تعجن فاذهب إلى المخبز.

تلك المراوغات أصبحت محظورة اليوم، أو يُنظر إليها بعين الريبة: فهي تعتبر اليوم عملاً استعراضياً أنانياً، وخيانة لروح الفريق، وهي غير مجدية نهائياً حيال نظام الدفاع الحديدي في كرة القدم الحديثة.

الهـدف الأولمبي

حين رجع منتخب الارغواي من أولمبياد 24، عرض عليه الأرجنتينيون مباراة ودية. وجرت المباراة في بوينس آيرس. وقد خسرتها أرغواي بسبب هدف.

وكان الهداف الأيسر سيساريو أونزاري هو صاحب هدف الفوز هذا. لقد وجه ضربة ركنية فدخلت الكرة إلى المرمى دون أن يلمسها أحد. وكانت تلك هي المرة الأولى في تاريخ كرة القدم التي يتحقق فيها هدف بهذه الطريقة. أصيب الأرغوييون بالبكم. وعندما تمكنوا من التكلم، اعترضوا. فقد ادعوا أن حارس المرمى مازالي قد دُفع بينما الكرة قادمة في الهواء. ولكن الحكم لم يولهم اهتماماً. وعندئذ بدؤوا يقولون إن أونزاري لم يكن ينوي التسديد إلى المرمى، وأن الهدف كان نتيجة تحركات الهواء.

وقد سميت تلك الرمية النادرة، تكريماً أو سخرية، بـ**الهدف الأولمبي**. وما زالت تسمى كذلك حتى اليوم في المرات القليلة

التي حدثت فيها. ولقد أمضى أونزاري بقية حياته وهو يحلف بأن رميته لم تكن صدفة. وبالرغم من مرور سنوات طويلة، فما زال عدم الثقة مستمراً: فكلما هزت الشباك كرةُ ضربة ركنية دون وسيط، يحتفي الجمهور بالهدف بالتصفيق الصاخب، ولكنه لا يصدق ما حدث.

هـدف بينديبيني

حدث ذلك في العام 1926، وصاحب الهدف، خوسيه بينديبيني، لم يحتفل به. فقد كان بينديبيني رجلاً غريباً في براعته وأشد غرابة في تواضعه، فلم يكن يحتفل بأهدافه مطلقاً حتى لا يُغضب الآخرين.

كان نادي بينارول الارغواي يلعب في مونتيفيديو ضد إسبانيول برشلونة، ولم تكن هناك طريقة لخرق الشبكة التي يحميها ثامورا. وقد جاءت اللعبة من الخلف. تخلص انسيلمو من خصمين، ووجه الكرة إلى سوفياتي Suffiati وانطلق راكضاً، منتظراً إعادتها إليه. ولكن بينديبيني طلبها عندئذ، وتلقاها. فراوغ أوركيزو وتخطاه متقدماً من المرمى. رأى ثامورا أن بينديبيني يسدد إلى الزاوية اليمنى فاندفع قافزاً. ولكن الكرة لم تكن قد تحركت، بل كانت ما تزال نائمة على قدم بينديبيني الذي ركلها برفق إلى يسار المرمى الخاوي. تمكن ثامورا من القفز إلى الخلف، مثلما يقفز قط، واستطاع لمس الكرة بأطراف أصابعه حين لم يعد بالإمكان عمل أي شيء.

التشيلية (دبل كيك)

ابتدع رامون اونزاغا الحركة في ملعب ميناء تالكاهوانو التشيلي: فالجسد يطير في الهواء، والظهر موجه نحو الأرض، والساقان تطلقان الكرة إلى الخلف بحركة سريعة كحركة شفرتي المقص.

ولكن هذه الحركة البهلوانية سميت **التشيلية** بعد عدة سنوات

من ذلك، عندما سافر فريق كولو-كولو فـي عام 1927 إلى أوربا، وعرضها لاعب الهجوم دافيد ارييّانو فـي ملاعب إسبانيا. وقد احتفى الصحفيون الاسبان بروعة الحركة غير المعروفة لديهم، وعمّدوها بهذا الاسم لأنها جاءت إليهم من تشيلي مثل ثمار الفريز ورقصة الكويكا.

وبعد عدة أهداف طائرة، مات ارييّانو فـي تلك السنة نفسها، فـي استاد بلد الوليد، بسبب تصادم قاتل مع أحد المدافعين.

سكاروني

قبل أربعين سنة من ظهور اللاعبين البرازيليين بيليه وكوتينهو، كان لاعبا الارغواي سكاروني وثيا يُنهكان دفاع الخصوم بتمريرات من الدرجة الأولى والزيك-زاك التي تذهب وتأتي من واحد إلى الآخر، لك ولي، قصيرة وإلى القدم، سؤال وجواب، جواب وسؤال: كانت الكرة ترتد دون عائق، مثلما ترتد عن جدار. وفـي تلك السنوات كانوا يطلقون تسمية **الجدار** على هذه الطريقة الريوبلاتية فـي الهجوم.

كان هكتور سكاروني يقدم تمريرات مثل القرابين، ويحقق أهدافاً بدقة يتدرب عليها ـ فـي التمرينات ـ بإصابة قوارير عن مسافة ثلاثين متراً. ومع أنه كان أقرب إلى قصر القامة، إلا أنه فـي اللعب كان يعلو على قامات الجميع. فقد كان سكاروني يعرف كيف يطفو فـي الهواء، خارقاً قانون الجاذبية: حين يقفز بحثاً عن الكرة ويبرم فـي الهواء متوجهاً نحو المرمى، ويضرب الكرة برأسه عندئذ محققاً الهدف.

كانوا يسمونه **الساحر**، لأنه يُخرج الأهداف مثلما يخرج الساحر الأرانب. وكانوا يسمونه كذلك **غارديل**[1] **كرة القدم**، لأنه لم يكن هناك من يغني مثله فـي اللعب.

[1] : غارديل هو مغني تانغو أرجنتيني مشهور.

هدف سكاروني

كان ذلك في عام 1928، في نهائي الدورة الأولمبية.

وكان فريقا أرغواي والأرجنتين متعادلين عندما انتزع بيلو الكرة من تاراسكوني وتقدم نحو منطقة الجزاء. وتلقاها بورخاس وهو يدير ظهره إلى المرمى، فضربها برأسه إلى سكاروني وهو يصرخ: *إنها لك يا هكتور*. فسددها سكاروني على الفور وهي طائرة. ألقى حارس المرمى الأرجنتيني بوسيو بنفسه مثل حمامة، بينما كانت الكرة قد ارتطمت بالشبكة. لقد ضربت الكرة الشباك وارتدت متقافزة إلى الملعب. فأعاد لاعب الارغواي فيغيروا إدخالها، معاقباً إياها بركلة قوية، لأن خروجها ذاك من المرمى كان قلة أدب.

القـوى الخفيـة

لاعب من أرغواي يدعى اديمير كانافيسي ضحى بنفسه لكي يدرأ خطر وجوده بالذات في نهائي أولمبياد 28 في أمستردام. كان على أرغواي أن تلعب في تلك المباراة النهائية ضد الأرجنتين. قرر كانافيسي البقاء في الفندق ونزل من الحافلة التي كانت تحمل اللاعبين إلى الإستاد. ففي كل المرات التي تواجه فيها كانافيسي مع الأرجنتينيين كان منتخب الارغواي يخسر، وقد شاء سوء الطالع في المرة الأخيرة أن يُدخل هو نفسه هدفاً في مرمى فريقه. وفي مباراة أمستردام كسبت الارغواي دون وجود كانافيسي.

في اليوم السابق كان المغني الأرجنتيني المشهور كارلوس غارديل قد غنى للاعبي الأرجنتين في الفندق الذي ينزلون فيه. ولكي يمنحهم حسن الحظ دشن لهم أغنية تانغو جديدة بعنوان **داندي**. وقد تكررت القصة نفسها بعد سنتين من ذلك: فقد عاد غارديل إلى غناء **داندي** متمنياً النجاح للفريق الأرجنتيني. وكانت هذه المرة الثانية عشية المباراة النهائية في مونديال 30، التي كسبتها الارغواي أيضاً.

كثيرون يقسمون بأن نية غارديل كانت سليمة لا ريب فيها،

ولكن أكثر من واحد يعتقد أن ما حدث هو دليل على أن غارديل كان أرغوايياً وليس أرجنتينياً.

هـدف نـولـو

فـي عام 1929. تواجه المنتخب الأرجنتيني مع منتخب الباراغواي.

كان نولو فيريرا آتياً بالكرة من بعيد. يشق طريقه متجاوزاً اللاعبين، إلى أن وجد نفسه وجهاً لوجه مع خط الدفاع بكامله الذي كان يشكل جداراً أمامه. عندئذ توقف نولو. وفيما هو واقف راح ينقل الكرة من قدم إلى أخرى، من قدم إلى أخرى بظاهر القدم، دون أن تلمس الكرة الأرض. وكان الخصوم يحركون رؤوسهم من اليسار إلى اليمين، ومن اليمين إلى اليسار، كلهم معاً، منوَّمين مغنطيسياً، عيونهم مثبتة على الكرة. واستمر ذلك التذبذب قروناً، إلى أن وجد نولو الثغرة، فسدد فجأة، واجتازت الكرة السد وهزت الشبكة.

نزل عناصر شرطة الفرسان عن خيولهم ليهنئوه. لقد كان عدد المشاهدين فـي الملعب عشرين ألف متفرج، ولكن جميع الأرجنتينيين يؤكدون أنهم كانوا هناك يومذاك.

مـونـديـال 1930

زلزال يهز جنوب إيطاليا ويدفن ألف وخمسمئة من أبناء نابولي، مارلين ديتريش تمثل **الملاك الأزرق**، ستالين يستكمل اغتصابه للثورة الروسية، وينتحر الشاعر فلاديمير ماياكوفسكي. الإنكليز يزجون الماهاتما غاندي فـي السجن لأنه كان قد شلّ الهند بأسرها فـي مطالبته بالاستقلال والوطن، وتحت راية الاستقلال نفسها أيضاً كان أغوسطو ثيسر ساندينو يستنهض فلاحي نيكاراغوا فـي بلاد الهند الأخرى، هندنا، وكان جنود المارينز الأمريكيون يحاولون هزيمته بالجوع، وذلك بإشعالهم النار فـي المحاصيل.

كان هناك فـي الولايات المتحدة من يرقصون رقصة بوغي وغي المحدثة، ولكن انشراح سنوات عقد العشرينيات المجنونة انهار تحت ضربات أزمة عام 29 الاقتصادية. فبورصة نيويورك كانت قد سقطت سقوطاً رأسياً، وقلبت فـي سقوطها الأسعار العالمية وراحت تجر إلى الهاوية عدداً من الحكومات الأمريكية اللاتينية. ففـي هوة الأزمة العالمية، أدى انهيار أسعار القصدير إلى سقوط الرئيس هيرناندو سيليس فـي بوليفيا، ونصّب مكانه جنرال، بينما أدى انهيار أسعار اللحم والقمح إلى سقوط الرئيس هيبوليتو يريغوين فـي الأرجنتين، وأستقر فـي مكانه جنرال آخر. وفـي جمهورية الدومينيكان، فتح انهيار أسعار السكر مرحلة طويلة من دكتاتورية الجنرال (أيضاً) رافائيل ليونيداس تروخييو الذي دشن سلطته بتعميد عاصمة البلاد وميناءها باسمه.

وفـي الارغواي، سيقع الانقلاب العسكري بعد ثلاث سنوات من ذلك. أما فـي عام 1930 فلم يكن للبلاد أسماع وأنظار سوى تلك المسلطة على بطولة العالم الأولى بكرة القدم. فانتصارات الارغواي فـي الدورتين الأولمبيتين الأخيرتين، فـي أوربا، جعلت منها المضيف الذي لا بد منه للبطولة العالمية الأولى.

اثنتا عشرة دولة وصلت إلى ميناء مونتيفيديو. لقد كانت أوربا كلها مدعوة، ولكن أربعة فرق أوربية فقط اجتازت المحيط باتجاه هذه الشواطئ الجنوبية، فقد كانوا يقولون فـي أوربا:

- إنه مكان بعيد جداً، وبطاقات السفر غالية.

أحضرت سفينة من فرنسا كأس جول ريميه، يرافقه السيد جول نفسه، رئيس الفيفا، وكذلك المنتخب الفرنسي لكرة القدم الذي جاء مكرهاً.

افتتحت ارغواي بالطبول والصنوج استاداً ضخماً بني فـي ثمانية أشهر. وأطلق عليه اسم «استاد الذكرى المئوية»، احتفالاً بمئوية الدستور الذي رفض قبل قرن من الزمان منح الحقوق المدنية للنساء والأميين والفقراء. لم تكن المدرجات تتسع لرأس دبوس حين تنافست أرغواي والأرجنتين فـي مباراة البطولة النهائية. لقد كان الاستاد بحراً من قبعات القش. وكان المصورون

كذلك يعتمرون القبعات ويستخدمون آلات تصوير ذات ثلاث قوائم. وحراس المرمى كانوا يضعون قبعات وكان الحكم يتباهى بسروال فضفاض أسود يغطي ركبتيه.

لم تستحق المباراة النهائية لمونديال1930 أكثر من عمود في عشرين سطراً من الجريدة الإيطالية **غازيتا ديلو سبورت**. فقد كانت تتكرر في نهاية المطاف قصة أولمبياد 1928 في أمستردام: فالبلدان الأمريكيان اللاتينيان كانا يغضبان أوربا بإظهارهما أين توجد أفضل كرة قدم في العالم. ومثلما حدث عام 28، بقيت الأرجنتين في الموقع الثاني. لقد كانت أرغواي خاسرة في الشوط الأول 2-1، ولكنها انتهت إلى الفوز 4-2 وحققت البطولة. ومن أجل أن يحكم المباراة النهائية، طلب الحكم البلجيكي جون لانغين التأمين على حياته، ولكن لم يحدث أي شيء خطير باستثناء بعض المشادات على المدرجات. وفيما بعد، رجمت شرذمة من الناس بالأحجار قنصلية الأرغواي في بوينس آيرس.

الموقع الثالث في البطولة احتلته الولايات المتحدة وكان بين لاعبيها عدد من الاسكتلنديين الذين مُنحوا الجنسية حديثاً، واحتلت يوغسلافيا الموقع الرابع.

لم تنته مباراة واحدة بالتعادل. وتصدر الأرجنتيني ستابيلي قائمة الهدافين بتسجيله ثمانية أهداف، تلاه الارغويي ثيا بخمسة أهداف. وكان الفرنسي لويس لاورين هو من سجل أول هدف في تاريخ المونديالات في المباراة التي لعبها فريقه ضد المكسيك.

ناسازي

لم تكن تخترقه أشعة اكس. وكانوا يسمونه **الرهيب**.
لقد كان يقول:
- الملعب هو قمع. وعند فم القمع توجد منطقة الجزاء.
وهناك كان هو الآمر.
إنه خوسيه ناسازي، كابتن منتخب الارغواي في أعوام

1924، 1928،1930. وقد كان أول زعيم لكرة القدم الأرغوايية. وكان طاحونة الهواء التي تحرك الفريق كله الذي يعمل على إيقاع صرخاته المحذرة، ودمدماته، وأنفاسه. ولكن أحدا لم يسمعه يتذمر على الإطلاق.

كامـــو

فـي 1930 كان ألبير كامو هو القديس بطرس الذي يحرس بوابة مرمى فريق كرة القدم بجامعة الجزائر. كان قد اعتاد اللعب كحارس مرمى منذ طفولته، لأنه المكان الذي يكون فـيه استهلاك الحذاء أقل. فكامو، ابن الأسرة الفقيرة لم يكن قادراً على ممارسة ترف الركض فـي الملعب: وكل ليلة كانت الجدة تتفحص نعل حذائه وتضربه إذا ما وجدته متآكلاً.

وخلال سنوات ممارسته لحراسة المرمى تعلم كامو أشياء كثيرة:

- تعلمتُ أن الكرة لا تأتي مطلقاً نحو أحدنا من الجهة التي ينتظرها منها. وقد ساعدني ذلك كثيراً فـي الحياة، وخصوصاً فـي المدن الكبيرة، حيث الناس لا يكونون مستقيمين عادة.

وتعلم كذلك أن يكسب دون أن يشعر بأنه إله، وأن يخسر دون أن يشعر بأنه قمامة، وهذه حكمة شاقة. كما تعلم بعض أسرار الروح البشرية، وعرف كيف يدخل فـي متاهاتها، فـي رحلات خطرة، على امتداد كتبه.

الصنـــاديـــد

أحد أبطال العالم الارغوايين، بيروتشو بيتروني، سافر إلى إيطاليا. وبدأ العمل فـي عام 1930، فـي نادي فـيورينتينا: وفـي ذلك المساء سجل بيتروني أحد عشر هدفاً.

ولكنه بقي وقتاً قصيراً فـي إيطاليا. وكان هداف الدوري الإيطالي، وعرض عليه نادي فـيورينتينا أن يقدم له كل ما يطلبه؛ ولكن بيتروني مل تبجحات الفاشية الصاعدة. فأعاده الملل

والحنين إلى مونتيفيديو حيث واصل تسجيل أهداف الأرض المحروقة لوقت قصير. ولم يكن قد أكمل الثلاثين من عمره عندما اضطر إلى هجر كرة القدم. لقد أجبرته الفيفا على ذلك، لأنه لم ينجز عقه مع نادي فيورينتينا.

يقال إن بيتروني كان قادراً على قلب جدار بضربة كرة. من يدري. ولكن المؤكد أنه كان يسبب الإغماء لحراس المرمى ويخرق الشباك.

في تلك الأثناء، وعلى الضفة الأخرى لنهر بلاتا، كان الأرجنتيني بيرنابيه فيريرا يطلق أيضاً قذائفه بغضب جنوني. وكان مشجعو مختلف الأندية يأتون لرؤية الهداف **الضاري**، الذي يسدد من مسافة بعيدة جداً، فيخترق الدفاع ويُدخل الكرة وحارس المرمى في المرمى.

قبل المباراة وبعدها، وكذلك خلال الاستراحة، كانت مكبرات الصوت تبث أغنية تانغو وضعت كلماتها على شرف رماياته. وفي سنة 1932 عرضت صحيفة «كريتيكا» جائزة مالية كبيرة لحارس المرمى الذي يتمكن من منع بيرنابيه من تسجيل هدف. وفي مساء يوم من تلك السنة، اضطر بيرنابيه إلى خلع حذاءه أمام الصحفيين ليثبت أنه لا يخبئ أي سبيكة حديدية في مقدمة الحذاء.

الاحتراف

حتى وهي تعاني من أزمة، مازالت كرة القدم تعتبر واحدة من أهم عشر صناعات في إيطاليا. والفضائح القضائية الأخيرة(الأيدي النظيفة، الأقدام النظيفة) وضعت مسؤولي أقوى الأندية في مأزق، ولكن كرة القدم الإيطالية مازالت تشكل مغنطيساً يجتذب اللاعبين الأمريكيين الجنوبيين.

لقد كانت قبلتهم في أزمنة موسوليني النائية. ولم يكن هناك في العالم من يدفع مثلما يدفع الإيطاليون. فكان اللاعبون يهددون: «سأذهب إلى إيطاليا»، وكانت هذه العبارة السحرية تجبر الأندية على فك عقدة كيسها. وقد كان البعض يذهبون فعلاً:

فكانت السفن تحمل لاعبين من بوينس آيرس ومونتيفيديو وساو باولو وريو دي جانيرو؛ وإذا لم يكن لهم آباء أو أجداد إيطاليون، يجدون في روما من يلفق لهم ذلك على الفور وعلى المقاس، من أجل توثيق منحهم الجنسية.

هجرة اللاعبين تلك كانت أحد أسباب ولادة كرة القدم الاحترافية في بلداننا. ففي عام 1931 تحولت كرة القدم الأرجنتينية إلى الاحتراف، ثم في الارغواي في السنة التالية. وبدأ نظام الاحتراف في البرازيل في عام 1934. وعندئذ صار دفع الأموال شرعياً بعد أن كان يجري سراً ومن تحت الطاولة، وتحول اللاعب إلى عامل مأجور. فالعقد يقيده إلى النادي لساعات عمل كاملة وعلى مدى الحياة، ولا يمكنه أن يبدل مكان عمله ما لم يوافق ناديه على بيعه. كان اللاعب يقدم طاقته مقابل الأجر، مثله مثل العامل الصناعي، ويبقى أسيراً مثل الفلاح القن. ومع ذلك، فقد كانت كرة القدم الاحترافية في ذلك الزمان أقل تطلباً بكثير مما هي عليه الآن. فقد كانت هناك ساعتان من التدريب الإجباري أسبوعياً فقط. وفي الأرجنتين، كان كل من يتخلف عن التمرين دون تبرير طبي يُغرّم بدفع خمسة بيزوات.

مونديال 1934

كان جوني ويسمولر يطلق أولى صرخاته الطرزانية، وظهر في الأسواق أول مزيل اصطناعي للعرق، وأقدمت شرطة لويزيانا على قتل بوني أند كليد بالرصاص. وكانت بوليفيا وباراغواي، أفقر بلدين في أميركا الجنوبية، تنزفان في نزاع على بترول منطقة تشاكو باسم شركتي ستندر أويل وشل. وساندينو الذي كان قد انتصر على قوات المارينز في نيكاراغوا، يسقط صريعاً في كمين، ويبدأ حكم سلالة قاتله سوموزا. وينطلق ماو في المسيرة الكبرى للثورة في الريف الصيني. وفي ألمانيا، يجري تنصيب هتلر فوهرراً للرايخ الثالث، ويُصدر قانون الدفاع عن العرق الآري الذي يفرض تعقيم خصوبة المرضى الوراثيين والمجرمين، بينما يفتتح موسوليني في إيطاليا بطولة العالم الثانية

بكرة القدم.
ملصقات البطولة كانت تعرض رسماً لهرقل وهو يرفع يده بالتحية الفاشية وعند قدميه كرة. لقد كان مونديال 1934 في روما بالنسبة للدوتشي مناسبة كبرى للدعاية. وقد حضر موسوليني كل المباريات من فوق منصة الشرف، وكان يشمخ بذقنه باتجاه المدرجات الممتلئة بذوي القمصان السوداء، بينما لاعبو الفريق الإيطالي الأحد عشر يهدون إليه انتصاراتهم براحاتهم المبسوطة عالياً.
ولكن الطريق إلى اللقب لم يكن سهلاً. المباراة بين إيطاليا وإسبانيا كانت الأقسى في تاريخ المونديالات: فقد استمرت المعركة 210 دقائق وانتهت في اليوم التالي، حين أصبح عدد من اللاعبين خارج المعركة، إما بسبب جراح الحرب أو لأنهم لم يعودوا قادرين على المزيد. وفازت إيطاليا رغم خروج أربعة من لاعبيها، بينما أنهت إسبانيا اللعب وقد نقص فريقها سبعة لاعبين. وكان بين الاسبان الجرحى أفضل لاعبين: المهاجم لانغارا وحارس المرمى ثامورا الذي كان يُنوّم خصومه مغنطيسياً في الملعب.
وفي استاد النادي الوطني الفاشي، تنافست إيطاليا على البطولة النهائية ضد تشيكوسلوفاكيا. وفازت في التمديد 2-1. وقد ساهم لاعبان أرجنتينيان مُنحا الجنسية الإيطالية حديثاً بدورهما في الفوز: فقد سجل أورسي الهدف الأول بتضليل حارس المرمى، وأمّن الأرجنتيني الثاني، غوايتا، تمريرة الهدف الثاني الذي سجله شيافيو مقدماً بذلك لإيطاليا كأس العالم لأول مرة.
شارك في مونديال 1934 ستة عشر بلداً: اثنا عشر بلد أوربي، وثلاثة بلدان أمريكية، وكانت مصر هي الممثل الوحيد لبقية العالم. أما فريق أورغواي، بطل العالم، فقد رفض السفر لأن إيطاليا لم تكن قد حضرت المونديال الأول في مونتيفيديو.
بعد إيطاليا وتشيكوسلوفاكيا، احتلت ألمانيا والنمسا المركزين الثالث والرابع. وكان هدّاف المونديال هو اللاعب التشيكي نيجدلي، بتسجيله خمسة أهداف، يليه الألماني كونين والإيطالي شيافير بأربعة أهداف.

الرب والشيطان في ريو دي جانيرو

فـي ليلة غزيرة الأمطار، وبينما كان عام 1937 يحتضر، دفنَ مشجعٌ معادٍ ضفدعاً فـي ملعب نادي فاسكو دي غاما، ثم أطلق لعنته:

- يجب ألا يحرز الفاسكو البطولة خلال اثنتي عشرة سنة! يجب ألا ينجح إذا كان هناك إله فـي السماء!

كان اسم ذلك المشجع البائس «اروبينها»، وكان الفاسكو دي غاما قد هزم فريقه 12/صفر. وقد دفن الضفدع، بعد أن خاط فمه، فـي أرض ملعب الفريق المنتصر، وكان «اروبينها» ينتقم من غش الفريق الخصم.

وطوال سنوات كان مشجعو وموجهو فريق فاسكو دي غاما يبحثون عن الضفدع فـي الملعب ومحيطه. ولكنهم لم يعثروا له على أثر. وقد تحول الملعب الممتلئ بالحفر إلى ما يشبه هيئة سطح القمر. وكان الفاسكو دي غاما يتعاقد مع أفضل لاعبي البرازيل، وينظم أقوى الفرق، ولكنه بقي محكوماً بالخسارة.

وأخيراً، فـي عام 1945، كسب النادي بطولة ريو وكسر اللعنة. ولم يكن قد أحرز البطولة منذ عام 1934، أي قبل إحدى عشرة سنة. وقد صرح رئيس النادي بعد الفوز:

- لقد قدم لنا الرب حسماً.

بعد زمن من ذلك، فـي عام 1953، كان النادي الذي يعاني المشكلة هو الفلامنغو، النادي الأوسع شعبية فـي ريو دي جانييرو وفـي البرازيل كلها.. النادي الوحيد الذي يلعب أينما لعب، ويكون دائما وكأنه فـي أرضه. وكانت قد مضت تسع سنوات على الفلامنغو لم يحرز خلالها البطولة. وكان مشجعو الفريق، وهم الأكثر عدداً وحماسة فـي العالم، يموتون جوعاً إلى انتصار. عندئذ أعلن راهب كاثوليكي، هو الأب غويس، أنه سيضمن الفوز للفريق إذا ما حضر اللاعبون قداسه قبل كل مباراة، وصلوا صلاة المسبحة وهم يجثون على ركبهم قبالة المذبح.

وهكذا فاز الفلامنغو بالكأس ثلاث سنوات متتالية. فاعترضت الأندية المنافسة لدى الكردينال جيمي كامارا: فالفلامينغو يلجأ إلى استخدام أسلحة محرمة. ولكن الأب غويس دافع عن نفسه متذرعاً بأنه لا يفعل شيئاً أكثر من إضاءة درب الرب، وواصل الصلاة للاعبين بمسيحته ذات الخرزات الحمراء والسوداء، وهما لونا قمصان الفلامنغو وإله أفريقي يجسد المسيح والشيطان في الوقت نفسه. ولكن الفلامنغو خسر البطولة في السنة الرابعة. فتوقف اللاعبون عن الذهاب إلى القداس ولم يعودوا بعدها إلى صلاة المسبحة. فطلب الأب غويس مساعدة بابا روما، فلم يرد عليه.

أما الأب روموالدو بالمقابل، فقد حصل على إذن من البابا للاشتراك في نادي الفلامنغو. وكان هذا الخوري يحضر كل تدريبات الفريق. ولم يكن ذلك يروق اللاعبين بأي حال. فمنذ اثنتي عشرة سنة لم يفز الفلامنغو ببطولة الريو، وكانوا يرون نذير شؤم في ذلك الغراب الأسود الواقف على حافة الملعب. كان اللاعبون يشتمونه، متجاهلين أن الأب روموالدو كان أصم منذ ولادته.

وفي يومٍ سعدٍ، بدأ الفلامنغو يكسب. ففاز ببطولة، ثم بأخرى، وأخرى. ولم يعد بإمكان اللاعبين أن يتدربوا ما لم يفعلوا ذلك في ظل الأب روموالدو. وبعد كل هدف يسجلونه، كانوا يقبّلون مسوحه. وفي أيام الآحاد كان الخوري يحضر المباريات في مقعد على منصة الشرف وهو يتمتم بأشياء لا أحد يدري كنهها ضد الحكم والفريق الخصم.

مصادر النكبة

الجميع يعرفون أنه مما يجلب سوء الطالع أن يطأ المرء ضفدعاً، أو يدوس على ظل شجرة، أو يمر من تحت درج، أو يجلس بالمقلوب، أو ينام بالمقلوب، أو يفتح مظلة تحت سقف، أو يعدّ أسنانه، أو يكسر مرآة. ولكن هذه القائمة تبدو قصيرة جداً في عالم كرة القدم.

فكارلوس بيلاردو، المدير الفني للمنتخب الأرجنتيني في مونديالي 1986 و1990، لم يكن يسمح للاعبيه بأن يأكلوا لحم الدجاج، لأنه يجلب لهم سوء الطالع، وكان يجبرهم على أكل لحم البقر، مع أنه يسبب لهم زيادة في نسبة حمض اليوريك.
وسيلفيو بيرلوسكوني، سيد نادي ميلان، كان يمنع المشجعين من غناء نشيد النادي، أغنية **ميلان، ميلان** الشهيرة، لأنها تبعث موجات خبيثة تشل أقدام اللاعبين، وفي عام 1987 أمر بنظم نشيد جديد للنادي بعنوان **ميلان يا قلبي**.
وفريدي رينكون، المارد الزنجي في المنتخب الكولومبي، خيب آمال معجبيه الكثيرين في مونديال 1994. فقد لعب دون إظهار أدنى قدر من الحماس. وعُرف فيما بعد أن الأمر لم يكن بسبب انعدام الرغبة لديه، وإنما بسبب الإفراط في الخوف. ذلك أن متنبئاً من توماكو، وهي مسقط رأس رينكون على الساحل الكولومبي، كان قد تنبأ له بنتائج البطولة، وقد جاءت النتائج مطابقة لما تنبأ به، وأخبره بأنه سيكسر إحدى ساقيه ما لم يلتزم الكثير الكثير من الحذر. قال له: «حذار من النمشاء» مشيراً بذلك إلى الكرة. «ومن الكبدية، ومن الدامية» مشيراً إلى البطاقة الصفراء والبطاقة الحمراء اللتين يرفعهما الحكم.
وعشية المباراة النهائية في مونديال1994، ضمن اختصاصيو العلوم الخفية الإيطاليون فوز فريق بلادهم بالكأس. وأكدت جمعية المنجمين الإيطاليين للصحافة أن «شؤم سحرنا سيحول دون فوز البرازيل». ولكن النتيجة المخالفة لم تؤثر على سمعة هذه الهيئة النقابية.

طلاسم وتمائم

كثير من اللاعبين يدخلون الملعب بقدمهم اليمنى وهم يرسمون إشارة الصليب. وهناك أيضاً من يتوجهون مباشرة إلى المرمى الفارغ ويسجلون هدفاً، أو يقبلون قائم المرمى. وآخرون يلمسون العشب ويرفعون أيديهم إلى شفاههم.
كثيراً ما يظهر اللاعب وهو يعلق ميدالية حول عنقه، ويربط

بمعصمه شريطاً سحرياً حامياً. وإذا ما انحرفت رمية الجزاء، فلأن أحداً قد بصق على الكرة. وإذا ما ضيع هدفاً مضموناً، فلأن ساحراً ما قد أغلق مرمى الخصم. وإذا ما خسر المباراة، فلأنه أهدى قميصه في الانتصار الأخير.

حارس المرمى الأرجنتيني آماديو كاريثو أمضى ثماني مباريات ومرماه لا يمس بفضل قدرات قبعة كان يعتمرها في الشمس والظل. تلك القبعة كانت تعويذة ضد شياطين الأهداف. وفي مساء أحد الأيام سرق منه القبعة آنخل كليمنتي روخاس، اللاعب في فريق بوكا جونيورز. وحين جُرد كاريثو من تميمته، لم يستطع صد هدفين وخسر فريق ريفر المباراة.

وروى أحد أبطال كرة القدم الإسبانية، هو بابلو هيرنانديث كورونادو، أنه حين وسّع نادي ريال مدريد ملعبه، أمضى ست سنوات دون أن يحرز البطولة، وبقي كذلك إلى أن تغلب على تعويذة الشؤم بفضل مشجع عمد إلى دفن رأس ثوم في منتصف أرض الملعب.

ومهاجم نادي برشلونة الشهير لويس سواريس، لم يكن يؤمن باللعنات، ولكنه كان يعرف بالمقابل أنه سيحقق عدة أهداف كلما أريق منه النبيذ وهو يأكل.

ومن أجل استدعاء أرواح الهزيمة الخبيثة، ينثر المشجعون الملح في ملعب الخصوم. ومن أجل إبعاد تلك الأرواح الخبيثة ينثرون في ملعب فريقهم حفنات من حبوب القمح أو الرز. وهناك آخرون يشعلون شموعاً، أو يسكبون خمراً على التراب أو يلقون أزهاراً في البحر. وهناك مشجعون يتوسلون حماية يسوع الناصري والأرواح الطيبة التي قضت نحبها حرقاً أو غرقاً أو تيهاً، وقد ثبت في أماكن عديدة أن حراب القديس جورجيوس وتوأمه الأفريقي أوغوم تتمتع بفعالية عالية ضد تنين الإصابة بالعين.

ولأن الجميل يقابل بالحمد والشكر، فإن المشجعين المتحمسين للآلهة يوفون نذرهم ويتسلقون على ركبهم جبالاً عالية وهم يتلفعون براية النادي، أو يقضون بقية حياتهم وهم يهمسون بالمليون صلاة التي نذروا ترديدها. وعندما تُوج نادي

بوتافوغو بطلاً فـي عام 1957، خرج ديدي من الملعب دون أن يمر على صالة استبدال الملابس، وهكذا أنجز وهو بملابس اللعب العهد الذي كان قد قطعه على نفسه لقديسه الحامي: اجتياز مدينة ريو دي جانيرو من أقصاها إلى أقصاها سيراً على الأقدام.
ولكن الألوهية لا تجد على الدوام الوقت الكافـي لنجدة الكرويين المعذبين بالمحنة. فالمنتخب المكسيكي وصل إلى مونديال 1930 مثقلاً بالنبوءات المشؤومة. وعشية مباراته ضد فرنسا، وجه المدرب المكسيكي خوان لوكي دي سيرايونغا كلمته التشجيعية إلى اللاعبين فـي فندقهم بمونتيفيديو: أكد لهم أن عذراء غوادالوبي (شفيعة المكسيك) كانت تصلي من أجلهم فـي الوطن، فوق جبل تيبياك.
يبدو أن المدرب لم يكن مطلعاً جيداً على مهمات السيدة العذراء المتعددة. فقد سجلت فرنسا أربعة أهداف، واحتلت المكسيك الموقع الأخير فـي البطولة.

إيـريكــو

فـي أوج حرب التشاكو، وبينما كان الفلاحون البوليفيون والباراغواييون يتوجهون إلى مسلخ المعارك، كان لاعبو كرة القدم الباراغواييون يلعبون خارج بلادهم ليجمعوا الأموال من أجل جرحى الحرب الكثيرين الذين كانوا يسقطون دون أي رعاية فـي صحراء لا تغني فيها العصافير ولا يخلّف البشر فيها أثراً. وهكذا وصل ارسينيو إيريكو إلى بوينس آيرس، وفـي بوينس آيرس استقر. وقد كان هذا الباراغوايي هو الهداف الأكبر لبطولة الأرجنتين فـي كل الأزمان. فقد كان إيريكو يحقق أكثر من أربعين هدفاً فـي كل موسم.
لقد كان يخبئ فـي جسده نوابض سرية. فذلك الساحر الكبير كان يقفز فجأة دون تهيئة مسبقة للاندفاع، ويصل رأسه على الدوام أعلى من يديّ حارس المرمى، وعندما تبدو قدماه نائمتين تماماً، يوجه بأشد قوة ضرباته التي كالسياط إلى المرمى. وكثيراً ما كان إيريكو يشوط بكعبه. ولم يكن هناك كعب أفضل منه

تسديداً فـي تاريخ كرة القدم.
وعندما لا يسجل إيريكو أهدافاً، فإنه يوفرها مؤكدة لزملائه. وقد أهدى إليه المغني كاتولو كاستيبو أغنية تانغو تقول كلماتها:

ستمر مليون سنة
دون أن يكرر أحد مآثرك بتمريرة الكعب أو الرأس.

وكان يفعل كل ذلك بأناقة راقص. «إنه نيجينسكي»، هكذا أكد الكاتب الفرنسي بول موران حين رآه يلعب.

مونـديـال 1938

ماكس ثيلر يكتشف اللقاح المضاد للحمى الصفراوية، تولد الصورة الملونة، والت ديزني يقدم *بياض الثلج*، ايزنشتاين يصور فيلم *الكسندر نيفيسكي*. والنايلون الذي اخترعه حديثاً بروفسور من هارفرد، يبدأ بالتحول إلى مظلات جوية وجوارب نسائية.

ينتحر الشاعران الأرجنتينيان ألفونسينا ستوريني وليوبولدو لوغونيس. ويؤمم لاثارو كارديناس البترول فـي المكسيك ويواجه الحصار الاقتصادي ومظاهر غضب القوى الغربية الأخرى. أورسون ويلز يخترع غزواً يقوم به المرتزقة للولايات المتحدة ويبثه عبر الإذاعة ليخيف عديمي الحذر، بينما تطلب ستندر أويل

من الولايات المتحدة غزو المكسيك فعلياً لمعاقبة مدنس المقدسات كارديناس وقطع دابر النموذج السيئ الذي يمثله.

فـي إيطاليا يجري تحرير **بيان حول العرق**، وتبدأ الهجمات المعادية للسامية، ألمانيا تحتل النمسا، وينهمك هتلر فـي اصطياد اليهود والتهام الأراضي. الحكومة الإنكليزية تعلم المواطنين كيفـية الوقاية من الغازات السامة وتأمرهم بتخزين الأغذية. فرانكو يحاصر آخر مواقع الجمهورية الإسبانية والفاتيكان يعترف بحكومته. الشاعر ثيسر باييخو يموت فـي باريس، وربما تحت رذاذ من المطر، بينما ينشر سارتر **الغثيان**. وهناك فـي باريس، حيث يعرض بيكاسو لوحته غيرنيكا مشهراً بزمن العار، يجري افتتاح البطولة العالمية الثالثة بكرة القدم فـي ظل الحرب المترصدة الآتية. فـي استاد كولومبس، يشوط رئيس فرنسا ألبير ليبرو ضربة البدء: سدد قدمه نحو الكرة، ولكنه ضرب الأرض.

كانت هذه البطولة، مثل سابقتها، بطولة أوربية. فقد شارك فـي مونديال 1938 بلدان اثنان من أميركا فقط، وأحد عشر بلداً أوربياً. أما منتخب إندونيسيا التي كانت ما تزال تسمى الهند الهولندية، فقد وصل إلى باريس كممثل وحيد لبقية الكوكب الأرضي.

ضمت ألمانيا إلى فريقها خمسة لاعبين من النمسا التي كانت قد ألحقتها بها للتو. ونزل الفريق الألماني الذي تعزز بهذه الصورة مزدهياً بأنه فريق لا يُهزم، واضعاً الصليب المعقوف على صدره وكل رموز السلطة النازية، ولكنه تعثر وسقط أمام

الفريق السويسري المتواضع. وقد وقعت هذه الهزيمة الألمانية قبل أيام قليلة من تعرض التفوق الآري لضربة قاسية فـي نيويورك، حين هزم الملاكم الزنجي جو لويس البطل الجيرماني ماكس شملينغ.

أما إيطاليا بالمقابل، فقد كررت حملتها التي قامت بها فـي كأس العالم السابق. ففـي المباراة قبل النهائية فاز الايطاليون على البرازيل. وكانت هناك ضربة جزاء مشكوك بها، فاحتج البرازيليون دون جدوى. وقد كان جميع الحكام أوربيين مثلما جرى فـي مونديال 1934.

وبعد ذلك جاءت المباراة النهائية التي تنافست فيها إيطاليا ضد هنغاريا. وكان الفوز بالنسبة إلى موسوليني مسألة من مسائل الدولة. ففـي اليوم السابق للمباراة تلقى اللاعبون الإيطاليون برقية من روما مؤلفة من ثلاث كلمات: ***الفوز أو الموت***. ولم تكن هناك حاجة للموت، لأن إيطاليا كسبت 2/4. وفـي اليوم التالي ارتدى الفائزون الزي العسكري فـي المراسم الاحتفالية التي ترأسها *الدوتشي*.

وقد امتدحت صحيفة لاغازيتا دلو سبورت الايطالية يومئذ «تفوق الرياضة الفاشية فـي هذا الفوز العرقي». وقبل ذلك بقليل كانت الصحافة الرسمية الإيطالية قد احتفلت بهزيمة المنتخب البرازيلي: «نحيي فوز إيطاليا الذكية على قوة الزنوج الهمجية».

وفـي أثناء ذلك كانت الصحافة العالمية تطري كثيراً على أفضل اللاعبين فـي البطولة. وكان بين هؤلاء زنجيان هما

البرازيليان ليونيداس ودومينغوس دي غيا. وقد كان ليونيداس، إضافة إلى ذلك، هداف الدورة بتسجيله ثمانية أهداف، يليه الهنغاري زينغيلر الذي سجل ستة أهداف. وكان أجمل أهداف ليونيداس هو ذاك الذي سجله ضد رومانيا بقدم حافية. ذلك أن ليونيداس كان قد فقد حذاءه فـي طين الملعب، تحت وابل المطر الغزير.

هـدف ميـازا

حدث ذلك فـي مونديال 1938، فـي المباراة قبل النهائية، وكانت إيطاليا والبرازيل تقامران بكل شيء أو لا شيء.

المهاجم الإيطالي بيولا هوى على الأرض فجأة وكأن رصاصة قد صعقته، وأشار بإصبعه الوحيد الحي إلى المدافع البرازيلي دومينغوس دي غيا. الحكم السويسري صدقه، ودوت الصافرة: ضربة جزاء. وبينما كان صراخ البرازيليين يعلو حتى السماء، نهض بيولا وهو ينفض الغبار عن جسمه، ووضع غيوسيب ميازا الكرة فـي نقطة الإطلاق.

كان ميازا هو بطل اللوحة. متأنق، عاشق، ورامي ضربات جزاء رشيق، كان يرفع رأسه داعياً حارس المرمى مثلما يدعو المتادور الثيران فـي الضربة النهائية. ولم تكن قدماه المرنتان والحكيمتان كأنهما يدان تخطئان أبداً. ولكن والتر، حارس المرمي البرازيلي كان محبط ضربات جزاء جيد، وكان مؤمناً بقدرته.

اتخذ ميازا مسافة للاندفاع، وفـي اللحظة التي كان سيوجه فـيها الضربة بالذات نزل سرواله. خيم الذهول على الجمهور، وكاد الحكم أن يبتلع الصفارة. ولكن ميازا، ودون أن يتوقف، أمسك سرواله بإحدى يديه وهزم حارس المرمى الأعزل بسبب استغراقه فـي الضحك.

وكان هذا هو الهدف الذي أوصل إيطاليا إلى المباراة النهائية فـي البطولة.

ليـونيـداس

كان له حجم وسرعة وخبث ناموسة. فـي مونديال 1938، أحصى له صحفـي فرنسي من مجلة **ماتش** ست أرجل، وعلق قائلاً إن امتلاك هذا العدد من الأرجل هو من أمور السحر الأسود. ولستُ أدري إذا ما كان ذلك الصحفـي الفرنسي قد لاحظ، لزيادة الطين بلة، أن أرجل ليونيداس الكثيرة قادرة على التمدد عدة أمتار وأنها تنحني وتتشابك بطريقة شيطانية.

لقد دخل ليونيداس دي سيلفا إلى الملعب فـي اليوم الذي اعتزل فـيه ارتور فريدينريتش بعد أن تجاوز الأربعين. وقد تسلم مركز الوسط الذي كان يحتله المعلم القديم. وبعد وقت قصير، تحول اسمه إلى ماركة لصنف من السجائر ولنوع من الشيكولاتة. وكان يتلقى رسائل أكثر من ممثلي السينما: كانت الرسائل تطلب منه صورة شخصية أو توقيعاً أو توفـير وظيفة عامة.

لقد حقق ليونيداس أهدافاً كثيرة. عدد منها سجله من الجو، بينما ساقاه تدوران، ورأسه إلى أسفل، وظهره إلى المرمى: لقد كان بارعاً جداً في حركة التشيلية البهلوانية التي يطلق عليها البرازيليون اسم الدراجة.

وقد كانت أهداف ليونيداس جميلة جداً إلى حد أن حارس المرمى المهزوم كان ينهض ليهنئه.

دومينغوس

في الشرق هناك سور الصين. وفي الغرب دومينغوس دي غيا.

لم يكن هناك دفاع أشد منه تماسكاً في تاريخ كرة القدم كله. لقد كان دومينغوس بطلاً في أربع مدن: ريو دي جانييرو، وساو باولو، ومونتيفيديو، وبوينس آيرس؛ وكان معبوداً في المدن الأربع: فحين يلعب تغص المدرجات بالمتفرجين.

قبله كان المدافعون يلتصقون بمهاجمي الخصم مثل طابع ويسرعون في التخلص من الكرة وكأنها ستحرق أقدامهم، فيركلونها بأسرع ما يمكن إلى أعالي السماء. أما دومينغوس فكان يراوغ الخصم بينما هو يخطف منه الكرة، ثم يستغرق كل الوقت الذي في الدنيا لإبعاد الكرة عن منطقة الخطر. إنه رجل أسلوب ورباطة جأش، يفعل كل شيء وهو يصفر وينظر إلى الجهة الأخرى. لقد كان يكره السرعة. فكان يلعب مثلما في كاميرا بطيئة، ممعناً في التمهل ومستمتعاً بالبطء. وقد أُطلقت

تسمية اللعب **الدومنغي** على فن الخروج من منطقة الجزاء بكل هدوء، مثلما كان يفعل، ثم تخلصه من الكرة دون تسرع ودون رغبة، لأن بقاءه من دونها يسبب له الاكتئاب.

دومينغوس وهي

ها هي ذي الكرة، لقد ساعدتني كثيراً. هي أو أخواتها، أليس كذلك؟ إنهن أسرة أشعر بامتنان كبير نحوها. لقد كانت الكرة هي الشيء الجوهري في رحلتي على الأرض. لأنه لا يمكن لأحد أن يلعب من دونها. أنا بدأت حياتي في مصنع بانغو. كنت أشتغل وأشتغل، إلى أن عثرت على صديقتي. وقد كنت سعيداً معها.

إنني أعرف العالم بأسره، فقد سافرتُ كثيراً، وعرفت نساء كثيرات. فالنساء يثرن الإعجاب أيضاً، أليس كذلك؟

(من شهادة سجلها روبيرتو مورا)

هـدف آتـاليـو

فـي عام 1939 كان فريق ناسيونال من مونتيفيديو وفريق بوكا جونيورز من بوينس آيرس متعادلين بهدفين لكل منهما، وكانت المباراة تقترب من نهايتها. لاعبو فريق الناسيونال كانوا يهاجمون، وكان لاعبو بوكا يتراجعون ويصمدون. عندئذ تلقى آتيليو غارسيا الكرة، وواجه غابة من السيقان، فشق طريقه من الجهة اليمنى، واجتاز الملعب ملتهماً الخصوم.

كان آتيليو معتاداً على تلقي الضربات. فقد كانوا يضربونه بكل شيء، وكانت ساقاه خريطة من آثار القروح. وفي ذلك المساء، وهو في طريقه إلى المرمى، تلقى ضربات قاسية من أنخيليتي ومن سواريث، وقد تمكن من تفاديهما مرتين. وشده فالوسي من قميصه وأمسكه من ذراعه ووجه إليه ركلة قوية، واعترضه ايبانيث الضخم وهو في أوج ركضه، ولكن الكرة كانت جزءاً من جسد آتيليو ولم يكن بإمكان أحد وقف ذلك الإعصار المندفع الذي كان يقلب اللاعبين وكأنهم دمى قماشية، إلى أن أطلق آتيليو الكرة أخيراً وهزت رميته الرهيبة الشباك.

كان الجو مفعماً برائحة البارود، فلاعبو بوكا أحاطوا بالحكم وطالبوه بإلغاء الهدف بسبب المخالفات التي ارتكبوها **هم**. وبما أن الحكم لم يستجب لهم، فقد انسحب اللاعبون من الملعب ساخطين.

القبّلة الكاملة تريد أن تكون وحيدة

عديدون هم الأرجنتينيون الذين يقسمون واضعين يدهم على القلب، بأنه كان إنريكي غارسيا، الملقب تشويكو، لاعب الهجوم الأيمن في فريق الراسينغ. وكثيرون هم الأرغوايين الذين يقسمون وهم يشكلون صليباً بأصابعهم فوق شفاههم، بأنه كان بيدرو لاغو، الملقب موليرو، لاعب الهجوم في فريق بينارول. ربما كان هذا، وربما كان ذاك، وربما كانا كليهما.

منذ حوالى نصف قرن أو أكثر، حين كان لاغو أو غارسيا

يسجل هدفاً تاماً، من تلك الأهداف التي تشل الخصوم غضباً أو تقديراً، كان يلتقط الكرة من عمق الشباك، ويحملها تحت إبطه ويعود أدراجه خطوة خطوة وهو يجر قدميه: وهكذا يقلب التراب، ويمحو آثار قدميه، حتى لا يستنسخ أحد لعبته.

الآلــة

فـي أوائل عقد الأربعينات، شكل نادي ريفر بلات أحد أفضل فرق كرة القدم فـي كل الأزمنة.

«البعض يدخلون، والبعض يخرجون، الجميع يصعدون، والجميع يهبطون»، هكذا كان يوضح كارلوس بيوثييّا، أحد آباء ذلك الوليد. ففـي تعاقب مستمر، كان اللاعبون يتبادلون المواقع فـيما بينهم، فالمدافعون يهاجمون، والمهاجمون يدافعون. ويقول بيوثييّا: «سواء على السبورة أو فـي الملعب، خطتنا التكتيكية ليست خطة 1-2-3-5. وإنما هي 1-10».

ومع أن الجميع كانوا يفعلون كل شيء، إلا أن فريق ريفر كان يبرز بخط هجومه. فقد شارك مونيوث ومورينو وبيديرينرا ولابرونا ولوستاو معاً فـي ثماني عشرة مباراة فقط، ولكنهم صنعوا تاريخاً ومازال بالإمكان الحديث عنهم. لقد كان اللاعبون الخمسة يتفاهمون بالصفـير فـي العماء: كانوا يشقون طريقهم فـي الملعب مصفرين، ويستدعون الكرة مصفرين، فتتبعهم مثل كلب مرح دون أن تضل الطريق مطلقاً.

وقد عمّد الجمهور ذلك الفريق الأسطوري باسم **الآلة**، بسبب دقة لاعبيه. وكان ذلك تكريماً مثيراً للريبة. إذ لم تكن هناك علاقة بين البرودة الآلية وأولئك المهاجمين الذين يستمتعون باللعب، ولشدة استمتاعهم ينسون أن يسددوا إلى المرمى. وقد كان المشجعون أكثر صواباً عندما أطلقوا عليهم **فرسان الكروب**، لأن هؤلاء اللاعبين كانوا يجعلون جمهورهم يتعرق بشدة قبل أن يقدموا له هدف الراحة.

مـوريـنــو

كانوا يدعونه **التشارو**، بسبب مظهره الذي يشبه متأنقي السينما المكسيكية، ولكنه كان ينحدر من مرابع نهر بوينس آيرس. إنه خوسيه مانويل مورينو، اللاعب المحبوب أكثر من جميع لاعبي الآلة فـي فريق ريفر، وقد كان يستمتع تائهاً: ساقاه القرصانيتان تمتدان من هنا ولكنهما تمضيان إلى هناك، ورأسه قاطع الطريق يَعِدُ قائم المرمى بالهدف ولكنه يوجهه نحو القائم الآخر.

وعندما يسقطه أحد الخصوم بركلة، ينهض مورينو دون أن يحتج ودون أن يطلب مساعدة، ويواصل اللعب مهما كان الضرر الذي أصابه. لقد كان شديد التكبر والاعتداد بنفسه، وكان محباً للشجار، ومستعداً للصراع بقبضتيه ضد كل مشجعي فريق الخصم، وكذلك ضد مشجعيه أنفسهم الذين يعبدونه ولكنهم لا

يتخلون عن عادتهم السيئة بشتمه كلما خسر فريق ريفر.

لقد كان مورينو محباً للرقص، محباً للصداقات، ورجل ليل فـي ليالي بوينس آيرس، يطلع عليه الصبح وهو متشابك بشعور طويلة أو مستنداً بمرفقيه إلى كونتوار إحدى الحانات. وكان يقول:

- التانغو هو أفضل تسلية: تمسك بالإيقاع، وتحوله إلى سباق، وتشغّل الخصر والساقين.

وفـي ظهيرة يوم الأحد، قبل كل مباراة، كان يلتهم طبقاً كبيراً من الدجاج المطبوخ، ويُفرغ فـي جوفه أكثر من زجاجة نبيذ أحمر. وقد أمره مسؤولو نادي ريفر بالإقلاع عن تلك الحياة السيئة التي لا تليق برياضي محترف. فبذل جهده. لم يعد يسهر طوال أسبوع، ولم يعد يتناول أي شيء سوى الحليب، وعندئذ لعب أسوأ مباراة فـي حياته. وعندما رجع إلى سيرته الأولى، أوقفه النادي عن اللعب. فأعلن زملاؤه الإضراب تضامناً مع البوهيمي الذي لا سبيل إلى إصلاحه، واضطر فريق ريفر إلى لعب تسع مباريات باللاعبين الاحتياطيين.

امتداح لحياة اللهو والقصف: استمر مورينو فـي اللعب لفترة هي إحدى أطول فترات اللعب فـي تاريخ كرة القدم. فقد لعب طوال عشرين سنة فـي الفئة الأولى فـي نوادي الأرجنتين والمكسيك وتشيلي وأورغواي وكولومبيا. وفـي عام 1946، حين رجع من المكسيك، كان مشجعو ريفر متشوقين لأن يروا من جديد تسديداته الصائبة، فلم يتسع لهم الإستاد. فقلب أنصاره

أسلاك الحواجز ونزلوا إلى أرض الملعب: لقد سجل يومئذ ثلاثة أهداف، وأخرجوه من الملعب محمولاً على الأكتاف. وفـي عام 1952 تلقى عرضاً مغرياً من نادي ناسيونال فـي مونتيفـيديو، ولكنه فضل أن يلعب مع ناد آخر من الارغواي هو نادي ديفنسا، وهو ناد صغير لا يمكنه أن يدفع له إلا القليل أو لا شيء، ولكن أصدقاءه كانوا فـي فريق ديفنسا. وفـي تلك السنة أنقذ مورينو نادي ديفنسا من الانحدار.

فـي عام 1961، وبعد أن كان قد اعتزل، عمل مديراً فنياً لفريق ميدلين الكولومبي. وكان فريق ميدلين يخسر فـي أحد الأيام أمام بوكا جونيورز الأرجنتيني، ولم يكن اللاعبون يتمكنون من الاقتراب من المرمى. عندئذ خلع مورينو ملابسه، وكان فـي الخامسة والأربعين، ونزل إلى الملعب وسجل هدفين وكسب فريق ميدلين المباراة.

بيديرنيرا

«لقد صددتُ ضربة جزاء ستبقى مسجلة في تاريخ ليتيسيا»، هذا ما قاله فـي رسالة من كولومبيا شابٌ أرجنتيني كان يدعى ارنستو غيفارا، ولم يكن قد أصبح «تشي» بعد. ففـي عام 1952 كان يمضي وراء المغامرة فـي دروب أميركا. وعلى ضفاف الأمازون، فـي ليتيسيا، كان مدرباً لفريق كرة قدم. وكان غيفارا يسمي رفيقه فـي الرحلة بيديرنيريتا. ولم تكن لديه طريقة

أفضل من هذه لامتداحه.

لقد كان أدولفو بيديرينرا محور **الآلة** فـي فريق ريفر. هذا الرجل الأوركسترا كان يشغل كل الأماكن، من أقصى خط الهجوم إلى أقصاه. ومن الخلف كان يوّلد اللعب، فهو يؤمن إدخال تمريرات من ثقب الإبرة، ويبدل من الإيقاع، ويفاجئ الجميع بمجازفاته؛ وفـي الهجوم يلهب حراس المرمى بتسديداته.

حب اللعب كان يدغدغ جسده. فهو لا يرغب فـي أن تنتهي المباراة أبداً. وعندما يخيم الليل، كان الإداريون يحاولون، دون جدوى، إخراجه من التمرينات. كانوا يريدون انتزاعه من كرة القدم، ولكنهم لم يستطيعوا، لأن كرة القدم هي التي كانت ترفض الانفصال عنه.

هدف سيفيرينو

كان ذلك فـي 1943. وكان بوكا جونيورز يلعب ضد **آلة** فريق ريفر فـي لقاء قمة كرة القدم الأرجنتينية.

وكان بوكا يخسر بفارق هدف حين صفّر الحكم لمخالفة عند حدود منطقة جزاء ريفر. وجه سوسا الضربة الحرة. لم يوجهها نحو الهدف: بل قدم تمريرة، باحثاً عن رأس سيفيرينو فاريلا. الكرة كانت قصيرة جداً، وفـي متناول مؤخرة فريق ريفر، فقد كان سيفيرينو بعيداً؛ ولكن المهاجم المجرب انفلت من الأرض طائراً فـي الهواء واندس بين عدة مدافعين ووجه ضربة رأس صاعقة أوقعت حارس المرمى.

كان المشجعون يسمونه **الرأس الشبح،** لأنه كان يصل طائراً ويظهر دون دعوة عند فم المرمى. وكان سيفيرينو قد أمضى عدة سنوات وحصل على شهرة واسعة في نادي بينارول الأرغوايي عندما وصل إلى بوينس آيرس بوجهه الظافر كطفل شقي وقبعته البيضاء الملتصقة برأسه.

لقد تألق في فريق بوكا. ولكن عند حلول ليل يوم الأحد، وبعد انتهاء كل مباراة، كان سيفيرينو يركب السفينة ويرجع إلى مونتيفيديو، إلى الحي، إلى الأصدقاء، وإلى عمله في المصنع.

قنابل

بينما كانت الحرب تسبب الآلام للعالم، كانت صحف ريو دي جانييرو تعلن عن قصف لندني على ملعب نادي بانغو. ففي منتصف عام 1943، كانت المباراة ضد فريق ساو كريستوفاو، وكان مشجعو فريق بانغو سيطلقون أربعة آلاف سهم ناري في الفضاء. إنه أكبر قصف في تاريخ كرة القدم.

عندما دخل لاعبو بانغو إلى الملعب وانطلقت تلك الرعود والبروق البارودية، أغلق المدير الفني لفريق ساو كريستوفاو على لاعبيه حجرة الملابس وسد آذانهم بقطع من القطن. وخلال الوقت الذي استمره إطلاق الألعاب النارية، وقد استمر طويلاً، كانت أرضية صالة الملابس تهتز، وتهتز معها الجدران واللاعبون الذين كانوا يجلسون القرفصاء جميعهم ويضعون

رؤوسهم بين أيديهم، ويضغطون بشدة على أسنانهم، ويغمضون عيونهم بشدة، فقد كان اللاعبون يشعرون كما لو أن الحرب العالمية قد وصلت إلى بيتهم. ووصلوا إلى أرض الملعب وهم يرتجفون. ومن لم يكن قد أصيب بالصرع منهم، كان يعاني من الملاريا. وكان السماء سوداء من البارود. وقد فاز نادي بانغو بضربات الجزاء.

بعد قليل من ذلك كانت هناك منافسة بين منتخبي ريو دي جانييرو وساو باولو. ومرة أخرى ساد جو الحرب، وأعلنت الصحف عن هجوم على بيرل هاربور، وعن حصار لينينغراد وعن كوارث أخرى. وكان لاعبو ساو باولو يعلمون أنه ينتظرهم في ريو أفظع دوي سمعوه في حياتهم. عندئذ خطرت لمدير ساو باولو الفني فكرة شديدة الذكاء: بدل إبقاء لاعبيه محبوسين في صالة الملابس، سيجعلهم يدخلون إلى الملعب في الوقت نفسه مع لاعبي ريو، فتتحول المفرقعات إلى ترحيب بهم بدل أن تخيفهم.

وكان هذا هو ما حدث، ولكن ساو باولو خسر 1/6.

الرجل الذي حوّل الحديد إلى ريح

كان إدواردو تشيليدا هو حارس مرمى ريال سوسيداد في مدينة سان سيباستيان. وكان طويلاً، نحيلاً، وله أسلوب خاص جداً في صد الأهداف، وكان نادي برشلونة وريال مدريد قد وضعا أعينهما عليه. فالخبراء كانوا يقولون إن هذا الشاب سيكون وريث ثامورا.

ولكن القدر كان يعد خطة أخرى. ففـي عام 1943، قام لاعب ، وليس عبثاً أن اسمه سانيودو[1]، بكسر صابونة ركبته وكل ما حولها. وبعد خمس عمليات جراحية فـي الركبة، قال تشيليدا وداعاً لكرة القدم، ولم يعد أمامه مفر سوى التحول إلى نحات.

وهكذا ولد أحد أهم فناني العصر. يعمل تشيليدا بمواد من النوع الثقيل، من تلك التي تنغرس فـي الأرض، ولكن يديه القديرتين تقذفان إلى الهواء بالحديد والبيتون، فيكتشفان وهما يحلقان فضاءات أخرى ويبدعان أبعاداً أخرى. وقد كان من قبل، فـي كرة القدم، يفعل الشيء نفسه بجسده.

علاج تواصلي

أمضى إنريكي بيتشون-ريفري حياته مفكراً بأسرار الكآبة البشرية ومقدماً المساعدة فـي فتح أقفاص الانغلاق وعدم التواصل.

ووجد فـي كرة القدم حليفاً فعالاً فـي مهمته. ففـي سنوات الأربعينيات نظم بيتشون-ريفري فريقاً لكرة القدم من مرضاه فـي مستشفى الأمراض العقلية. فالمجانين الذين لا يقهرون فـي ملاعب الساحل الأرجنتيني، كانوا يمارسون، وهم يلعبون، أفضل علاج للتوصل إلى التلاؤم الاجتماعي.

وكان الطبيب النفساني، وهو فـي الوقت نفسه مدرب وهداف الفريق، يقول:

- استراتيجية فريق كرة القدم هي مهمتي الأولى.

بعد نصف قرن من ذلك، أصبحنا نحن كائنات المدن جميعنا

[1] سانيودو Sanudo: هي كنية اللاعب المعني، وتعني «المغتاظ».

مجانين إلى حد ما، بالرغم من أننا نعيش جميعنا، لأسباب تتعلق باتساع المكان، خارج مستشفى المجانين. تطاردنا السيارات، ويحاصرنا العنف، ويحكمنا انعدام التواصل، ونصبح فـي كل يوم أكثر تكدساً، وفـي كل لحظة أكثر توحداً، ويتناقص أكثر فأكثر مكان وزمان اللقاء فيما بيننا.

وفـي كرة القدم، مثلما هو الحال فـي كل شيء، نجد أن عدد المستهلكين أكبر من عدد المبدعين. وقد غطى الإسمنت المرابع الخالية، حيث كان بمقدور أي شخص أن يقيم ميدان كرة قدم صغير فـي أي وقت يشاء، والتهم العمل كل وقت اللعب. فلم يعد معظم الناس يلعبون، بل يتفرجون على آخرين يلعبون، سواء فـي التلفزيون أو من المدرجات التي راحت تبتعد أكثر فأكثر عن أرض الملعب. وتحولت كرة القدم، مثلها مثل الكرنفال إلى استعراض تتفرج عليه الجماهير. ولكن، مثلما يحدث فـي الكرنفال، حيث هناك من يندفع إلى الرقص فـي الشارع دون الاكتفاء بالتفرج على الفنانين الذين يرقصون ويغنون، لا تعدم فـي كرة القدم أيضاً بعض المتفرجين الذين يتولون دور البطولة بين حين وآخر، لمجرد الفرح، إضافة إلى مشاهدتهم وتقديرهم للاعبين المحترفـين. فليس الأطفال وحدهم، بل إن الآخرين كذلك، سواء أصدقاء الحي، أو زملاء المصنع أو المكتب أو الكلية، مهما كانوا بعيدين عن الملاعب المحتملة، مازالوا يرتبون الأمور من أجل اللهو بالكرة، بصورة سيئة أو جيدة، إلى أن يستنزفهم الإنهاك، وعندئذ يجتمع الخاسرون والرابحون ويشربون معاً، ويدخنون، ويشتركون فـي حفلة أكل جيدة، ويمارسون هذه المتع المحظورة على الرياضيين المحترفـين.

وفـي بعض الأحيان تشارك النساء أيضاً، ويُدخلن أهدافهن الخاصة، وإن كانت التقاليد الرجولية عموماً تنفيهن عن حفلات التواصل هذه.

هدف مـارتينـو

حدث ذلك فـي عام 1946. كان نادي ناسيونال الأرغوايي يفوز على سان لورينزو الأرجنتيني ويغلق خطوط دفاعه أمام تهديدات رينه بونتوني وريناالدو مارتينو. وكان هذان اللاعبان قد اكتسبا شهرة فـي قدرتهما على جعل الكرة تنطق، وبعادتهما السيئة فـي تحقيق الأهداف.

وصل مارتينو إلى حد منطقة الجزاء. وهناك راح يتلاعب بالكرة. كان يبدو عليه وكأن لديه كل الوقت المتوفر فـي الدنيا. وفجأة عبر بونتوني مثل شهاب نحو الطرف الأيمن. توقف مارتينو عن التلاعب بالكرة، ورفع رأسه، ونظر إليه. عندئذ اندفع لاعبو دفاع الناسيونال دفعة واحدة نحو بونتوني، وبينما الكلاب السلوقية تلاحق الأرنب البري، دخل مارتينو إلى منطقة الجزاء مثلما يدخل إلى بيته، وتفادى المدافع الوحيد الذي بقي وسدد.

لقد كان الهدف لمارتينو، ولكنه كان أيضاً لبونتوني الذي عرف كيف يضلل.

هـدف هيلينـو

حدث ذلك فـي عام 1947. فـي مباراة بوتافوغو ضد فلامينغو، فـي ريو دي جانييرو. وقد حقق هيلينو دي فريتاس، مهاجم البوتافوغو، هدفاً بصدره.

كان هيلينو يدير ظهره إلى المرمى. وجاءت الكرة من

أعلى. فأوقفها بصدره ودار حول نفسه دون أن يتركها تسقط على الأرض. وواجه الموقف وهو يحني جسده كقوس والكرة على صدره. كان هناك حشد من اللاعبين ما بينه وبين الهدف. ففـي منطقة جزاء الفلامنغو كان يوجد أناس أكثر مما فـي البرازيل كلها. ورأى أن كل شيء سيضيع إذا ما نزلت الكرة إلى الأرض. عندئذ بدأ هيلينو يمشي وظهره منحن إلى الوراء، وبينما الكرة على صدره اجتاز بهدوء خطوط الخصم. لم يكن هناك من يستطيع إنزالها دون أن يرتكب مخالفة، وكان فـي منطقة الخطر. عندما وصل إلى بوابة المرمى، اعتدل هيلينو بجسده. فانزلقت الكرة نحو قدميه. وسددها.

كانت لهيلينو فرييتاس ملامح الغجر، ووجه كوجه رودلفو فالينتينو ومزاج كلب مسعور. ولكنه فـي الملعب كان يتألق.

فـي إحدى الليالي خسر كل نقوده فـي الكازينو. وفـي ليلية أخرى، لا أحد يدري أين، فقد كل رغبة له فـي العيش. فـي الليلة الأخيرة، مات وهو يهذي فـي ملجأ للعجزة.

مونـديـال 1950

ميلاد التلفزيون الملون، والحاسبات تحقق ألف عملية جمع فـي الثانية. مارلين مونرو تطل من هيوليود. فـيلم للويس بونويل، ***المنسيون***، يفرض نفسه فـي مهرجان كان. نيرودا ينشر ***النشيد الشامل***، وتظهر الطبعة الأولى من رواية ***الحياة القصيرة*** لأونيتي، ومن ***متاهة العزلة*** لأوكتافيو باث.

ألبيزو كامبوس الذي طالما ناضل من أجل استقلال بويرتوريكو، يُحكم عليه فـي الولايات المتحدة بالسجن تسعة وسبعين عاماً. واش يسلم سلفاتوري جيوليانو، رجل العصابات الأسطوري فـي جنوبي إيطاليا، فيخر صريعاً برصاص الشرطة. وفـي الصين تبدأ حكومة ماو خطواتها الأولى بمنع تعدد الزوجات وبيع الأطفال. القوات الأمريكية تتدخل بالدم والنار فـي شبه الجزيرة الكورية، متشحة براية الأمم المتحدة، بينما لاعبو كرة القدم يهبطون فـي ريو دي جانيرو للتنافس على كأس العالم بعد توقف طويل خلال سنوات الحرب العالمية.

سبعة بلدان أمريكية وستة بلدان أوربية خارجة من بين أنقاض الحرب، تشارك فـي البطولة البرازيلية فـي عام 1950. الفيفا تمنع ألمانيا من اللعب. وبريطانيا تحضر البطولة العالمية لأول مرة. فحتى ذلك الحين لم يكن الإنكليز يصدقون بأن تلك المناوشات تستحق اهتمامهم. المنتخب الإنكليزي سقط مهزوماً أمام الولايات المتحدة، صدق أو لا تصدق، وهدف الفوز الأمريكي لم يكن من صنع الجنرال جورج واشنطن وإنما من صنع هجوم وسط هاييتي وزنجي يدعى لاري غايتجنز.

البرازيل وارغواي تنافستا على النهائي فـي ماراكانا. وكان الفريق المضيف يدشن أضخم ملعب فـي العالم. كانت البرازيل واثقة من الفوز، وكانت المباراة النهائية احتفالاً. واللاعبون البرازيليون الذين حطموا كل الخصوم بأهداف عديدة، تلقوا عشية المباراة ساعات ذهبية كتب على ظهرها: **إلى أبطال العالم**. وكانت الصفحات الأولى من الصحف قد طُبعت مقدماً، وكانت قد أعدت العربة الكرنفالية الضخمة التي ستتقدم مواكب الاحتفال، وكان قد بيع نصف مليون قميص مزينة بشعارات كبيرة تحيي الفوز البرازيلي الذي لا ريب فيه.

عندما سجل البرازيلي فرياسا أول هدف، انفجر دوي مئتي ألف صرخة وهزت ألعاب نارية كثيرة جنبات الاستاد الهائل. ولكن شيافينو سجل بعد ذلك هدف التعادل، ثم جاءت رمية عابرة من غيغيا لتسلم البطولة إلى الأورغواي التي أنهت المباراة بالفوز 1/2. عندما جاء هدف غيغيا دوى الصمت فـي استاد

ماراكانا، الصمت الأشد دوياً فـي تاريخ كرة القدم، والموسيقي آري باروسو، مؤلف موسيقى **أكواريلا دو برازيل،** الذي كان ينقل المباراة بالإذاعة إلى كل البلاد، قرر التخلي إلى الأبد عن مهنة المعلق فـي كرة القدم.

بعد صافرة النهاية، حدد المعلقون البرازيليون الهزيمة على أنها **أسوأ مأساة فـي تاريخ البرازيل**. وكان جول ريميه يطوف فـي الملعب تائهاً وهو يحتضن الكأس الذي يحمل اسمه:

ـ وجدت نفسي وحيداً، والكأس بين ذراعي دون أن أدري ما الذي علي عمله. وأخيراً وجدتُ كابتن فريق الأرغواي أوبدوليو فاريلا، فسلمته الكأس خفـية تقريباً. وصافحته دون أن أنطق بكلمة واحدة.

كان فـي جيب ريميه الخطاب الذي كان قد كتبه لتكريم البطل البرازيلي.

لقد فرضت الأرغواي نفسها بصورة نظيفة: فمنتخب الارغواي كان قد اقترف أحد عشر خطأ ومنتخب البرازيل واحداً وعشرين.

احتلت المركز الثالث السويد، والرابع إسبانية. وتصدر البرازيلي آدمير قائمة الهدافين بتسجيله تسعة أهداف، تلاه شيافـينو من الأرغواي بستة أهداف، والإسباني ثارّا بخمسة أهداف.

أوبـدوليــو

لقد كنتُ صبياً صغيراً وكروياً، وكنت مثل جميع أبناء الارغواي متعلقاً بالمذياع، أستمع إلى نهائي بطولة العالم. عندما نقل لي صوت كارلوس سوليه الخبر الحزين بتسجيل الهدف البرازيلي، سقطت روحي إلى الأرض. عندئذ لجأت إلى أشد أصدقائي سطوة. فتعهدت للرب بقدر هائل من القرابين مقابل أن يظهر فـي استاد ماراكانا ويقلب مسار المباراة.

لم أستطع أن أتذكر مطلقاً الأشياء الكثيرة التي نذرتها، ولم أقدم على إنجازها مطلقاً. أضف إلى ذلك أن فوز الأرغواي أمام

أكبر حشد على الإطلاق يجتمع فـي مباراة كرة قدم كان معجزة دون شك، ولكنها معجزة حققها أحد الفانين الذين هم من لحم وعظم، ويدعى أوبدوليو فاريلا. كان أوبدوليو قد بعث البرودة فـي المباراة حين كان الانهيار الهائل يهوي علينا، ثم حمل بعد ذلك البطولة كلها على كاهله وانطلق بجرأة محضة مواجهاً كل المصاعب.

وفـي نهاية تلك الجولة، أحاط الصحفيون بالبطل. فلم يضرب صدره قائلاً إننا الأفضل وأنه ليس هناك من هو قادر على مواجهة مخلب هنود الشاورا:

ـ ***لقد كانت مجرد صدفة*** ـ تلعثم اوبدوليو وهو يهز رأسه. وعندما أرادوا تصويره، أدار ظهره.

أمضى تلك الليلة فـي تناول البيرة، متنقلاً من بار إلى بار، معانقاً المهزومين فـي حانات ريو دي جانييرو. كان البرازيليون يبكون. ولم يتعرف عليه أحد. وفـي اليوم التالي، هرب من الحشود التي كانت تنتظره فـي مطار مونتيفيديو، حيث كان اسمه يتلألأ فـي لوحة مضيئة هائلة. وفـي وسط الازدحام، تسلل متنكراً بزي همفري بوغارت، بقبعة غاطسة فـي رأسه حتى الأنف ومعطف ذي ياقة مرفوعة.

وكمكافأة على تلك المأثرة، منح موجّهو كرة القدم فـي الارغواي لأنفسهم ميداليات ذهبية. وقدموا للاعبين ميداليات فضية وبعض المال. المكافأة التي تلقاها أوبدوليو كانت كافية لأن يشتري سيارة فورد من موديل سنة 1931، سرقت بعد أسبوع من ذلك.

بـاربـوسـا

عند اختيار أفضل حارس مرمى فـي البطولة، صوّت صحفيو مونديال 1950 بالإجماع للبرازيلي مواسير باربوسا. وقد كان باربوسا دون شك هو أفضل حارس مرمى فـي بلاده أيضاً، ساقان مثل النوابض، ورجل واثق من نفسه يبث الثقة فـي الفريق كله، وقد بقي الأفضل إلى أن انسحب من الملاعب، بعد

زمن من ذلك، وكان قد تجاوز الأربعين من العمر. طوال هذه السنوات صد باربوسا أهدافاً لا يمكن حصر عددها، دون أن يسبب الأذى لأي لاعب هجوم.

ولكن فـي تلك المباراة الأخيرة فـي مونديال 1950، فاجأه مهاجم فريق الأرغواي غيغيا بتسديدة صائبة موجهة من الزاوية اليمنى. ولأن باربوسا كان متقدماً، فقد قفز بسرعة إلى الوراء ولمس الكرة وسقط أرضاً. وعندما نهض وهو واثق من أنه قد حرف الرمية عن المرمى، وجد الكرة فـي عمق الشبكة. وكان هذا هو الهدف الذي جعل الصمت يطبق على استاد ماراكانا وكرس الارغواي بطلاً للمونديال.

مرت السنون دون أن ينعم باربوسا بالصفح. ففـي عام 1993، وخلال التصفيات من أجل مونديال الولايات المتحدة، أراد أن يشجع لاعبي المنتخب البرازيلي. فذهب لزيارتهم فـي معسكرهم، ولكن السلطات منعته من الدخول. وكان حتى ذلك الحين يعيش على الإحسان فـي بيتٍ لإحدى شقيقات زوجته، دون أن تكون لديه أي موارد سوى راتب تقاعدي بائس. وقد علق باربوسا بالقول:

ـ العقوبة القصوى على أي جريمة فـي البرازيل هي ثلاثون سنة سجناً. أما أنا فإنني أدفع منذ 43 سنة عقوبة عن جريمة لم أقترفها.

هـدف ثـارا

حدث ذلك فـي مونديال 1950. وكانت إسبانية تشدد الخناق على إنكلترا التي كانت تسدد الكرات إلى المرمى من بعيد.

نهب الهداف غاينثا الملعب من الجهة اليسرى متخطياً نصف الدفاع وسدد الكرة إلى المرمى الإنكليزي. تمكن حارس المرمى رامسي من لمس الكرة وهو يدير ظهره، بساقيه، عندئذ بادر ثارا إلى الهجوم وأدخل الكرة بجانب القائم الأيسر.

تيلمو ثارا، هداف إسبانية فـي ست بطولات، ووريث مصارع الثيران مانوليتي فـي الهوى الشعبي، كان يلعب بثلاث

أرجل. فرجله الثالثة كانت فـي رأسه الصاعق. وقد سجل به أشهر أهدافه. ولكن ثارا لم يسجل هدف الفوز ذاك برأسه، وإنما صرخ فرحاً وهو يشد بكلتا يديه على ميدالية تحمل رسم العذراء الطاهرة كان يعلقها فـي عنقه.

المسؤول الأعلى لكرة القدم الإسبانية آرماندو مونيوث كاليرو، الذي شارك فـي الغزو النازي ضد الأراضي الروسية، أرسل عبر الإذاعة رسالة إلى الجنيراليسمو فرانكو:

ـ صاحب الفخامة: لقد هزمنا الغدر الأبرص.

لقد كان الفوز ثأراً لتدمير «الأرمادا» الظافرة التي هُزمت جداً فـي عام 1588 فـي مياه قناة المانش.

أهدى مونيوث كاليرو المباراة «إلى أفضل كاوديّو[1] فـي العالم». ولكنه لم يهدِ المباراة التالية إلى أحد، عندما تواجهت إسبانية مع البرازيل وتلقت ستة أهداف.

هـدف زيـزينـهـو

حدث ذلك في مونديال 1950. فـي المباراة ضد يوغسلافيا، حين قام زيزينهو، لاعب هجوم الوسط البرازيلي بتسجيل هدف مكرر.

كان هذا السيد للظرافة فـي كرة القدم قد أدخل هدفاً نظيفاً، ولكن الحكم ألغى الهدف دون وجه حق. عندئذ كرر زيزينهو الهدف خطوة خطوة. دخل إلى منطقة الجزاء من المكان نفسه الذي دخل منه فـي المرة الأولى، وتجاوز لاعب الدفاع اليوغسلافـي نفسه بالمناورة المهذبة نفسها، وذلك بالانحراف يساراً مثلما فعل فـي المرة السابقة، وسدد الكرة إلى الزاوية نفسها بالضبط. ثم ركل الكرة بعد ذلك بغضب عدة مرات باتجاه الشباك.

عندئذ أدرك الحكم بأن زيزينهو قادر على تكرار ذلك الهدف عشر مرات أخرى، ولم يجد مفراً من قبول الهدف واحتسابه.

---

[1] كاوديو: أي الزعيم، وهو اللقب الذي كان يُطلق على الدكتاتور فرانكو.

الممتعـون

كان خوليو بيريث، أحد أبطال فريق الأرغواي فـي مونديال 1950 يرفع حماستي عندما كنتُ طفلاً. وكانوا يسمونه **الساق المجنونة،** لأنه كان يفكك جسده وهو فـي الهواء، وكان لاعبو الفريق الخصم يفركون عيونهم: لم يكن بإمكانهم أن يصدقوا بأنه يمكن للساقين أن تطيرا فـي جانب، بينما الجسد يطير بعيداً فـي جانب آخر. وبعد أن يناور عدداً من الخصوم بهذه الحركات الساخرة، كان خوليو بيريث يتراجع إلى الوراء، ويكرر شيطناته. وكنا نحن المتفرجين نحيي احتفالات الملاعب تلك بإفلات القهقهات وكل شيء مربوط فينا.

بعد سنوات من ذلك حالفني الحظ برؤية البرازيلي غارينشا الذي كان يستمتع كذلك بتقديم حركات مضحكة بساقيه، ويعمد أحياناً، حين يكون قريباً من تسجيل الهدف، إلى التراجع نحو الوراء لكي يطيل المتعة.

مـونـديـال 1954

تطلق يد فيلليني السحرية جيلسومينا وزامبانو فينطلقان للتهريج فـي فيلم الطريق دون تسرع، بينما يتكرس فرانغيو بأقصى سرعة بطلاً للعالم فـي سباق السيارات للمرة الثانية. ويجرب جوناس سالك اللقاح المضاد لشلل الأطفال. وفـي المحيط الهادي يجري تفجير أول قنبلة هيدروجينية. وفـي فيتنام، يوجه الجنرال جياب ضربة قاضية إلى الجيش الفرنسي فـي معركة ديان بيان فو الصاعقة. وفـي الجزائر، وهي مستعمرة فرنسية أخرى آنذاك، تبدأ حرب الاستقلال.

الجنرال ستروسنير يُختار رئيساً للأرغواي فـي منافسة صاخبة ضد لا أحد. وفـي البرازيل يشتد حصار العسكريين ورجال الأعمال، السلاح والمال، ضد الرئيس جيتوليو فارغاس الذي يعمد بعد ذلك بقليل إلى تمزيق قلبه برصاصة. طائرات

أمريكية تقصف غواتيمالا بمباركة من منظمة الدول الأمريكية، ويتقدم نحو غواتيمالا جيش مصنوع فـي الشمال ليغزو ويقتل وينتصر. وبينما كان يُعزف فـي سويسرا النشيد الوطني لستة عشر بلداً فـي افتتاح البطولة العالمية الخامسة بكرة القدم، كان المنتصرون فـي غواتيمالا ينشدون نشيد الولايات المتحدة محتفلين بسقوط الرئيس اربنز ومؤكدين أنه لم يكن هناك شك فـي أيديولوجيته الماركسية اللينينية، لأنه كان قد تجرأ على الدخول إلى أراضي شركة اليونايتد فروت.

فـي مونديال 1954 شارك أحد عشر فريقاً أوربياً وثلاثة فرق أمريكية، إضافة إلى تركية وكوريا الجنوبية. وقد دشنت البرازيل القميص الأصفر ذا الياقة الخضراء، نظراً لأن القميص السابق، أبيض اللون، كان شؤماً على البرازيل فـي ماراكانا. ولكن اللون الكناري الجديد لم يعط مفعوله على الفور: فقد خسرت البرازيل أمام هنغاريا فـي مباراة عنيفة، ولم تتمكن من الوصول إلى نصف النهائي. وقد تقدم الوفد البرازيلي بشكوى إلى الفيفا ضد الحكم الإنكليزي الذي عمل «على خدمة الشيوعية العالمية ضد الحضارة الغربية والمسيحية».

كانت هنغاريا هي المدلل الأكبر فـي هذه البطولة. فمنذ أربع سنوات كان فريق بوشكاش، وكوكسيس، وهيديغكوتي الساحق ينتقل من انتصار إلى آخر. وقبل البطولة بقليل، كان قد هزم إنكلترا 1/7. ولكن هذه البطولة على كأس العالم كانت مرهقة. فبعد المواجهة القاسية مع البرازيليين، جرب الهنغاريون قواهم ضد فريق الأرغواي. وقد لعبت هنغاريا والارغواي حتى الموت، دون رحمة، واستُنفد الفريقان كلاهما إلى أن حسم نتيجة المباراة هدفان سجلهما كوكسيس فـي التمديد.

وكانت مباراة النهاية ضد ألمانيا. وقد كانت هنغاريا قد هزمتها فـي بداية المونديال هزيمة منكرة (3/8)، وأصيب فـي تلك المباراة الكابتن بوشكاش وخرج من اللعب. أما فـي المباراة النهائية، فقد عاد بوشكاش للظهور، وكان يلعب بمشقة، وبساق واحدة فقط، وكان يقود فريقاً لامعاً، ولكنه مستنفد. وهنغاريا التي كانت متقدمة 2/صفر انتهت إلى الخسارة 2/3 وحققت ألمانيا

لقبها العالمي الأول. وأحرزت النمسا المكان الثالث. وأرغواي الرابع.

وكان هدّاف كأس العالم هو الهنغاري كوكسيس، بتسجيله أحد عشر هدفاً، يليه الألماني مورلوك، بثمانية أهداف، والنمساوي بروبست بستة أهداف. وكان أجمل أهداف كوكسيس الأحد عشر هو ذاك الذي سجله ضد البرازيل. فقد انطلق كوكسيس مثل طائرة، وحلّق لبعض الوقت فـي الهواء وسدد برأسه إلى الزاوية.

هـدف راهـن

كان ذلك فـي مونديال 1954. وكان الفريق الهنغاري صاحب الحظوة يتنافس فـي المباراة النهائية ضد ألمانيا.

وكان قد بقي ست دقائق على نهاية المباراة لتنتهي بالتعادل 2/2 عندما التقط لاعب الهجوم الألماني المربوع هيلموت راهن كرة ردها الدفاع الهنغاري عند قوس منطقة الجزاء. تخلص راهن من لانتوس وشاط الكرة بقدمه اليسرى لتدخل بمحاذاة القائم الأيمن إلى مرمى الحارس الهنغاري غروشكس.

وقد صرخ هيربيرت زيميرمان، أشهر معلق رياضي ألماني، معلناً الهدف على الطريقة الأمريكية الجنوبية:

- توووووووووووووررررررررررر !!!!!

كان ذلك هو أول مونديال تشارك فيه ألمانيا بعد الحرب، وقد أحس الشعب الألماني من جديد بأن له الحق فـي الوجود: فصرخة الهدف تلك تحولت إلى رمز للانبعاث الوطني. وبعد سنوات من ذلك، دوت كلمة «غول» التاريخية تلك فـي فيلم المخرج الألماني فاسبيندر «زواج ماريا براون»، الذي يتحدث عن نكبات امرأة لا تعرف كيف تشق طريقها وسط الدمار.

الإعلانـات الجـوالــة

فـي منتصف عقد الخمسينات، وقع نادي بينارول أول عقد

لطباعة إعلانات على قمصان فريقه. وقد ظهر عشرة لاعبين وعلى صدورهم اسم إحدى الشركات، أما ابدوليو فاريلا بالمقابل، فقد لعب بالقميص المعتاد دون إعلان، وقد أوضح ذلك بالقول:

ـ فيما مضى كانوا يعلقون لنا نحن الزنوج حلقة فـي أنفنا. ولكن ذلك الزمن مضى ولن يعود.

أما اليوم، فقد تحول كل لاعب كرة قدم إلى إعلان يلعب.

فـي عام 1989 لعب كارلوس منعم مباراة ودية وهو يرتدي قميص المنتخب الأرجنتيني مع مارادونا والآخرون. ولدى رؤيته فـي التلفزيون، يتساءل أحدنا عما إذا كان ذلك الرجل هو رئيس الأرجنتين أم رئيس شركة رينو: فقد كان يلمع على صدر منعم إعلان ضخم لشركة السيارات هذه.

على قمصان المنتخبات التي شاركت فـي مونديال 1994، كانت ماركة اديداس أو آمبرو تبدو بوضوح أكبر من الشعار الوطني لكل فريق. وعلى ملابس تدريب المنتخب الألماني، كانت تظهر إلى جانب النسر الاتحادي نجمة مرسيدس بنز. وتلمع النجمة نفسها على ملابس فريق VfB شتوتغارت. أما نادي بايرن ميونخ بالمقابل، فيفضل سيارات أوبل. وشركة التغليف تيترا باك ترعى نادي اينتراخت فرانكفورت. ولاعبو فريق بورسيا دورتموند يعلنون عن بوليصات تأمين شركة كونتيننتال، ولاعبو بورسيا مونيشنغلادباخ، يعلنون عن بيرة ديبيلس. أما تالسيد ولاريلين، وهما من منتجات شركة باير، فيظهران على قمصان الفريق الذي يحمل اسم شركة ليفيركوزين واويردينغن.

لقد صار الإعلان على الصدر أهم من الرقم على الظهر. فـي عام 1993 لم يجد نادي راسينغ من يرعاه، فنشر إعلاناً متلهفاً فـي جريدة **كلارين**: «نبحث عن **ممول**...» والإعلان أكثر أهمية كذلك من التقاليد المقدسة التي تدعو إليها الرياضة، مثلما يقولون. ففـي تلك السنة نفسها، وبينما كانت الأضرار فـي الاستادات التشيلية تتخذ أبعاداً مخيفة، مُنع بيع المشروبات الكحولية فـي أثناء المباريات، وكانت معظم أندية الفئة الأولى التشيلية تعرض مشروبات كحولية، بيرة أو نبيذ، على قمصان

لاعبيها.
وبمناسبة الحديث عن التقاليد المقدسة، فقد حوّلت إحدى معجزات بابا روما الروح القدس إلى مصرف اعتماد. وهو المصرف الذي يدعم حالياً نادي لاتسيو الإيطالي. وقد كُتب على قمصان النادي إعلان يقول: **مصرف الروح القدس**، كما لو أن كل لاعب هو صراف عند الرب.
فـي نهاية النصف الأول من عام 1992، نشرت شركة "موتا" الإيطالية حساباتها: فشارتها التي كان يحملها آنذاك لاعبو نادي ميلان على صدورهم، ظهرت 2225 مرة فـي صور الصحف، ورؤيت لمدة ست ساعات فـي لقطات قريبة فـي التلفزيون. وكانت شركة "موتا" قد دفعت لنادي ميلان أربعة ملايين ونصف مليون دولار، ولكن مبيعاتها من الخبز المحلى والحلويات الأخرى ارتفعت إلى خمسة عشر مليون دولار خلال تلك الفترة.
شركة إيطالية أخرى هي "بارمالتا" التي تبيع منتجات الحليب ومشتقاته فـي أربعين بلداً، حققت عاماً ذهبياً فـي سنة 1993. فقد كسب فريقها ـ بارما ـ كأس أوربا لأول مرة، كما فازت بالبطولات فـي أميركا الجنوبية فرق بالميراس، وبوكا، وبينارول، وهي ثلاث فرق تعرض على قمصانها شعارات الشركة المذكورة. وقد تفوقت "بارمالتا" على ثماني عشرة شركة منافسة، وفرضت نفسها فـي السوق البرازيلية، عن طريق كرة القدم، بينما كانت تشق طريقها أيضاً ما بين المستهلكين فـي الأرجنتين والارغواي. وبما أننا نتحدث عن شركة "بارمالتا"، فإننا نضيف أن الشركة قد أصبحت تملك عدداً من اللاعبين الأمريكيين اللاتينيين: ولا نعني أنها تملك قمصانهم وحسب، وإنما أرجلهم أيضاً. فقد اشترت الشركة فـي البرازيل مقابل عشرة ملايين دولار كلاً من أيدلسون، ومازينهو، وايدموندو، وكليبر، وزينهو الذين يلعبون أو لعبوا ضمن المنتخب الوطني، إضافة إلى ستة لاعبين آخرين من نادي بالميراس. وكل من يرغب فـي شراء هؤلاء اللاعبين، صار عليه أن يتوجه إلى مقر الشركة فـي بارما بإيطاليا.

منذ أن بدأ التلفزيون يعرض اللاعبين عن قرب، غزت الإعلانات التجارية ملابسهم من الرأس حتى القدمين. فعندما يتأخر أحد النجوم طويلاً في ربط حذائه، لا يكون السبب في ذلك خراقة أصابعه وإنما خبث جيبه: لأنه يعرض في أثناء ذلك ماركة أديداس أو نيكو أو ريبوك في قدميه. منذ أولمبياد العام 1936 التي نظمها هتلر، كان الرياضيون الفائزون ينتعلون أحذية تظهر عليها خطوط ماركة اديداس الثلاثة. وفي بطولة العالم بكرة القدم عام 1990، كانت خطوط اديداس تظهر على الأحذية وعلى كل شيء آخر. وقد لاحظ صحفيان إنكليزيان، هما سيمسون وجينينغس، أن الشيء الوحيد الذي لم يكن للشركة في المباراة النهائية بين ألمانيا والأرجنتين هو صافرة الحكم. فقد كانت الكرة وكل ما يغطي أجساد اللاعبين والحكم وحكام التماس من ماركة اديداس.

هـدف ديستيفانـو

حدث ذلك في عام 1957. وكانت إسبانية تلعب ضد بلجيكا.

تقدم ميغيل من خط الدفاع البلجيكي، وتوغل من الجهة اليمنى ووجه ضربة وسط. ألقى ديستيفانو بنفسه وسدد الكرة بكعبه إلى المرمى.

فقد كان من عادة ألفريدو ديستيفانو، النجم الأرجنتيني الذي حصل على الجنسية الإسبانية، أن يسجل أهدافاً بهذه الطريقة. فكل مرمى مفتوح هو جريمة لا تغتفر، ولا بد من عقوبة فورية، وكان هو ينفذ تلك الأحكام بضربات جني قاطع طريق.

ديستيفانـو

كان حذاؤه يتسع لأرض الملعب كلها. فالملعب يولد من قدميه، وانطلاقاً من قدميه يتسع ويكبر. فمن مرمى إلى آخر كان ديستيفانو يركض ويذرع الملعب جيئة وذهاباً: مغيراً الاتجاه، مغيراً الإيقاع، من الهرولة المتعبة إلى الجري الإعصاري حين

تكون الكرة معه؛ وعندما لا تكون الكرة معه، يشتد اللعب، ويرنو إلى الفضاءات الخالية باحثاً عن هواء.

لم يكن يقف ساكناً على الإطلاق. إنه رجل مرفوع الرأس، يرى الملعب كله ويجتازه مندفعاً ليفتح ثغرة ويطلق منها هجومه. لقد كان دائماً فـي بداية وفـي أثناء وفـي نهاية اللعبات التي تنتهي بالهدف، وكان يحقق أهدافاً من كل الألوان.

وعند خروجه من الملعب كان الناس يحملونه على الأكتاف.

لقد كان ديستيفانو محرك الفرق الثلاثة التي أذهلت العالم فـي الأربعينات والخمسينات: فريق ريفر بلات، حيث حل محل اللاعب بيديرنيرا؛ وفريق مليونيري بوغوتا، حيث تألق إلى جانب بيديرنيرا؛ وفريق ريال مدريد، حيث كان أعظم هدّاف فـي إسبانية طوال خمس سنوات متتالية. وفـي عام 1991، حين كان قد اعتزل منذ سنوات طويلة، خصصت مجلة **فرانس فوتبول** عنوانها الرئيسي «***أفضل لاعب كرة قدم أوربي فـي كل الأزمنة***» إلى هذا اللاعب المولود فـي بوينس آيرس.

هـدف غـارينشـا

فـي إيطاليا، فـي عام 1958، كان المنتخب البرازيلي يلعب ضد نادي فيورينتينا، فـي الطريق إلى مونديال السويد.

داهم غارينشا منطقة الجزاء مخلفاً أحد لاعبي الدفاع جالساً، وتخلص من آخر، ثم آخر. وعندما تمكن من تفادي حارس المرمى كذلك، اكتشف أن هناك لاعب على خط المرمى: أبدى غارينشا التردد، وتظاهر بأنه يسدد إلى الزاوية، فاصطدم أنف اللاعب المسكين بالقائم. عندئذ عاد حارس المرمى للإزعاج. فمرر غارينشا الكرة من بين ساقيه ليُدخلها فـي المرمى.

بعد ذلك، وبينما الكرة تحت إبطه، رجع ببطء إلى الملعب. كان يمشي ناظراً إلى الأرض، مثل تشابلن بكاميرا بطيئة، وكأنه يعتذر لهذا الهدف الذي أوقف مدينة فلورنسا بأسرها على قدميها.

مونـديـال 1958

الولايات المتحدة تطلق قمراً فضائياً إلى أعالي السماء: القمر الصغير يدور حول الأرض، ويلتقي فـي طريقه بأقمار سبوتنيك السوفـييتية ولا يحييها. وبينما القوتان العظميان تتنافسان فـي الفضاء الكوني، تبدأ على الأرض الحرب الأهلية فـي لبنان، وتلتهب الجزائر وتشعل فرنسا، فـيرفع الجنرال ديغول متري قامته فوق اللهيب ويعد بالخلاص. وفـي كوبا يخفق الإضراب العام الذي دعا إليه فـيدل كاسترو ضد دكتاتورية باتيستا، ولكن إضراباً عاماً آخر فـي فنزويلا يقلب دكتاتورية بيريث خيمينث. وفـي كولومبيا يبارك المحافظون والليبراليون تقاسمهما السلطة فـي انتخابات عامة، بعد عقد من حرب الإبادة المتبادلة، وبينما كان يجري استقبال ريتشارد نيكسون بالحجارة فـي جولته الأمريكية اللاتينية، ينشر خوسيه ماريا ارغويداس روايته **الأنـهار العميقة**. وتظهر رواية **المنطقة الأكثر شفافـية** لكارلوس فوينتس، وديوان **أشعار الحب** لإيديا فـيلارينيرو.

فـي هنغاريا يجري إعدام إيمري ناجي رمياً بالرصاص مع عدد من متمردي عام 1956 الذين أرادوا الديمقراطية بدل البيروقراطية، وفـي هاييتي يُقتل المتمردون الذين هاجموا القصر الذي كان يحكم منه البلاد **بابا دوك** دوفاليه محاطاً بالسحرة والجلادين. ويصبح يوحنا الثالث عشر، أو يوحنا الطيب، بابا روما الجديد، ويحدد الأمير تشارلز على أنه ملك إنكلترا المستقبلي، وتصبح باربي هي ملكة الدمى. ويستولي جو هافـيلانج البرازيلي على تاج تجارة كرة القدم، أما فـي فن كرة القدم فـيظهر شاب عمره سبعة عشر عاماً ويدعى بيليه ليتكرس ملكاً للعالم.

لقد جرى تكريس بيليه فـي السويد، خلال بطولة العالم السادسة. وقد شارك فـي تلك المنافسة اثنا عشر فريقاً أوربياً، وأربعة فرق أمريكية، ولم يكن هناك أي تمثيل لبقية أجزاء العالم.

وقد تمكن السويديون من مشاهدة المباريات فـي الملاعب وكذلك فـي بيوتهم. إذ كانت تلك هي المرة الأولى التي تُبث فـيها مباريات كأس العالم فـي التلفزيون، مع أنها لم تصل فـي بث حي

ومباشر إلا ضمن النطاق الوطني، أما بقية العالم فقد تلقاها فيما بعد.

وكانت تلك هي أول مرة أيضاً يكسب فيها فريقٌ كأسَ العالم وهو يلعب خارج قارته. ففي مونديال 1958، بدأ المنتخب البرازيلي بمستوى بين بين، ولكنه صار كاسحاً منذ اللحظة التي تمرد فيها اللاعبون واستطاعوا أن يفرضوا على المدير الفني تشكيل الفريق حسب مشيئتهم. وعندئذ تحول خمسة لاعبين احتياطيين إلى أساسيين. من بينهم بيليه، وكان مراهقاً مغموراً، وغارينشا الذي جاء بشهرة واسعة من البرازيل، وكان قد تألق كثيراً في المباريات التمهيدية، ولكنه استثني من اللعب في كأس العالم لأن الدراسات السيكولوجية شخصت إصابته بالضعف العقلي. هذان اللاعبان الزنجيان الاحتياطيان للاعبين أبيضين، تألقا في فريق النجوم الجديد، وتألق معهما زنجي ثالث مبهر هو ديدي الذي كان يرتب لهما السحر في المؤخرة.

لعب ونار: قالت جريدة وورلد سبورت الإنكليزية إنه كان لا بد للمشاهدين من فرك عيونهم لكي يصدقوا أن ما يحدث هو أمر من هذا الكوكب. وفي مباراة نصف النهائي، ضد فريق فرنسا الذي يضم كوبا وفونتين، كسب البرازيليون 2/5 ثم 2/5 أخرى في المباراة النهائية ضد البلد المضيف. كان كابتن الفريق السويدي ليدهولم، وهو واحد من أنظف اللاعبين وأكثرهم وجاهة في تاريخ كرة القدم، قد سجل الهدف الأول في المباراة، ولكن فافا وبيليه وزاغالو أعادوا الأمور إلى نصابها بعد ذلك، أمام أنظار الملك غوستاف أدولف المذهولة. وكانت البرازيل هي البطل الذي لم يخسر أي مباراة في الدورة. ولدى انتهاء المباراة، أهدى اللاعبون الكرة إلى مشجعهم الأكثر حماسة، وهو المدلك الزنجي أميركو.

احتلت فرنسا الموقع الثالث وألمانيا الموقع الرابع. وتصدر الفرنسي فونتين قائمة الهدافين بوابل من ثلاثة عشر هدفاً، ثمانية منها بقدمه اليمنى وأربعة بقدمه اليسرى وواحد برأسه، تلاه بيليه والألماني هيلموت راهن بستة أهداف لكل منهما.

هـدف نيلتـون

حدث ذلك فـي مونديال1958. وكانت البرازيل تتقدم 1/صفر فـي مباراتها مع النمسا.

فـي بداية الشوط الثاني، تقدم نيلتون سانتوس من موقعه، وكان حجر الأساس فـي الدفاع البرازيلي، وكانوا يسمونه **الموسوعة** لسعة معرفته فـي أمور كرة القدم. ترك نيلتون موقعه فـي المؤخرة، واجتاز خط الوسط، وتفادى اثنين من الخصوم وواصل طريقه إلى الأمام. كان المدير الفني البرازيلي فـيسنت فـيولا يركض أيضاً على حافة الملعب، ولكن من الجهة الخارجية، وكان يتعرق بغزارة ويصرخ به:

ـ ارجع، ارجع إلى مكانك!

ولكن نيلتون واصل جريه بإصرار نحو منطقة الخصم. فأمسك فـيولا البدين رأسه بيأس، لأن نيلتون لم يمرر الكرة إلى أي من لاعبي الهجوم: بل أكمل اللعبة كلها وحيداً، وأنهاها بتسجيل هدف.

عندئذ علق فـيولا بسعادة:

ـ أرأيتم؟ ألم أقل لكم؟ إنه يعرف ما الذي يفعله!

غـارينشـا

عمّده أحد أخوته الكثيرون باسم غارينشا، وهو اسم طائر بليد وقبيح. وعندما بدأ يلعب كرة القدم، وضع عليه الأطباء إشارة إكس: فقد شخصوا الحالة بأنه لا يمكن لهذا الشخص غير الطبيعي أن يصبح رياضياً على الإطلاق، فهو مجرد بقايا إنسان بائسة، وكتلة أمراض مستعصية، حمار وأعرج، وله دماغ طفل، وعمود فقري على شكل حرف s، وساقان معوجتان إلى الجهة نفسها.

لم يكن هناك هداف أيمن مثله على الإطلاق. وقد كان الأفضل فـي موقعه فـي مونديال 1958. وفـي مونديال 1962، كان أفضل لاعب فـي البطولة. ولكنه على امتداد سنواته فـي

الملاعب، كان غارينشا أكثر من ذلك: فهو الرجل الذي قدم أكبر قدر من السعادة فـي تاريخ كرة القدم كله.

فعندما يكون فـي الملعب، يتحول ميدان اللعب إلى حلبة سيرك؛ فالكرة تصبح حيواناً مدجناً؛ وتصبح المباراة دعوة إلى الاحتفال. ولم يكن غارينشا يسمح بأخذ الكرة منه، وكأنه طفل يدافع عن تميمته، ويقترف هو والكرة معاً شيطنات تقتل الناس من الضحك: فهو يقفز فوقها، وهي تنط فوقه.. هي تختبئ، وهو يهرب، فتلحق به. وفـي الطريق يتصادم الخصوم فيما بينهم، وتتشابك أرجلهم، ويغمى عليهم، ويسقطون جالسين على الأرض. كان غارينشا يمارس ألاعيبه الخبيثة عند حافة الملعب، فوق الخط الأيمن، بعيداً عن المركز: فهو الذي تربى فـي الضواحي الهامشية، كان يلعب فـي هوامش الملعب. لقد كان يلعب لنادٍ يدعى بوتافوغو، أي **مشعل النار**، وهذا ما كانه هو نفسه: إنه البوتافوغو الذي يشعل الاستادات، المجنون بالخمرة الكاوية وبكل ما يحرق، والذي يفر من الحفلات هارباً من النافذة، فقد كانت تستدعيه من المجاهل البعيدة كرةٌ تريد من يلاعبها، أو موسيقى تريد من يرقصها، أو امرأة تريد من يقبلها.

أهو رابح؟ إنه خاسر محظوظ. وحسن الطالع لا يدوم. ولسبب ما يقولون فـي البرازيل إنه لو كانت للخراء قيمة لوُلد الفقراء دون طيز.

لقد مات غارينشا فـي موته: فقيراً ومخموراً ووحيداً.

ديــدي

اختاره الصحفيون كأفضل مبدع فـي اللعب فـي مونديال 1958.

وكان محور المنتخب البرازيلي. جسد ضامر، عنق طويلة، قامة منتصبة. لقد كان ديدي أشبه بأيقونة أفريقية مغروسة فـي منتصف الملعب. وهناك كان السيد والآمر. ومن هناك كان يطلق سهامه المسمومة.

لقد كان المعلم فـي التمريرات إلى العمق، فنصف هدف منه

يتحول إلى هدف كامل بأقدام بيليه أو غارينشا أو فافا، ولكنه كان يحقق أهدافه الخاصة أيضاً. كان يسدد من بعيد، ويخدع حارس المرمى ب**الورقة اليابسة**؛ فهو يضرب الكرة بجانب قدمه فتدور وتدور وهي طائرة، وتنقلب وتبدل اتجاهها مثل ورقة يابسة تلعب بها الريح، إلى أن تدخل من الركن الذي لا ينتظر حارس المرمى أن تدخل منه.

كان ديدي يلعب بهدوء. ويشير إلى الكرة قائلاً:

- هي التي يجب عليها أن تركض.

لقد كان يعرف أنها تنبض بالحياة.

ديـدي وهي

لقد أحببتها على الدوام. لأنها لن تنقاد لأحدنا مالم يعاملها برقة. عندما تأتي أسيطر عليها، فتنقاد لي. قد تمضي بعيداً عني أحياناً، فأقول لها: «تعالي يا بنيتي»، فتأتي. أضربها بعقبي، بمشط قدمي، فتطيعني. إنني أعاملها برقة شديدة مثلما أعامل امرأة. وأهواها هوى رهيباً. لأنها نار. ستكسرُ ساقك إذا ما أسأتَ إليها. لهذا أقول دائماً: «هيا أيها الشباب، احترموها. إنها طفلة ولا بد من معاملتها بكثير من الحب...» وهي تحدد المصائر المختلفة، حسب *الموضع الذي يلمسها فيه أحدنا.*

(شهادة سجلها روبيرتو مورا)

ريمـون كـوبا

كانوا يسمونه **نابليون كرة القدم**، لأنه كان قصيراً وبارعاً في غزو الأراضي.

وحين تكون الكرة عند قدمه، يكبر حتى يغطي الملعب كله. إنه لاعب الحركة المتواصلة والنقلات المزهرة. كان ريمون كوبا ينسل نحو المرمى راسماً فسيفساء فوق العشب. وكان الفنيون يشدون شعورهم لكثرة ما يتأخر وهو يلهو بالكرة، وكان خبراء كرة القدم الفرنسيون يتهمونه بممارسة أسلوب أمريكي جنوبي

فـي اللعب. ولكن الصحفيين ضموا كوبا فـي مونديال 1958 إلى **الأحد عشر لاعباً مثالياً**، ونال فـي تلك السنة **الكرة الذهبية** التي تُمنح لأفضل لاعب أوربي.

لقد انتزعته كرة القدم من البؤس. وكان قد بدأ اللعب فـي فريق للناشئين. فكوبا، وهو ابن مهاجرين بولونيين، عمل منذ طفولته جنباً إلى جنب مع أبيه فـي أنفاق مناجم الفحم فـي «نوي»، حيث كان ينزل كل ليلة ولا يخرج إلا فـي مساء اليوم التالي.

كـاريثـو

أمضى ربع قرن وهو يجتذب كراتٍ بمغنطيس يديه، ويثير الرعب فـي ميدان الخصم. لقد أسس أماديو كاريثو أسلوباً خاصاً فـي كرة القدم الأمريكية الجنوبية. فهو أول حارس مرمى يتجرأ على الخروج من منطقة الجزاء لكي يصد الهجوم، فـي مجازفة محضة، مولداً الخطر، ومراوغاً الخصوم بحركات بارعة فـي أكثر من مناسبة. قبل كاريثو كان خروج حارس المرمى بهذه الصورة ضرباً من الجنون المحظور. ولكن عدوى الجرأة انتقلت إلى آخرين فيما بعد. فمواطنه غاتي، والكولومبي هيغويتا، والباراغويي تشيلافيرت لم يكونوا يقنعون بأن يكون حارس المرمى هو الرجل-الجدار الذي يلتصق بمرماه وحسب، وأثبتوا أنه يمكن لحارس المرمى أن يكون رجل-هجوم أيضاً.

إن المشجع ينمي، مثلما هو معروف، متعة إنكار الآخر: فلاعب الخصم لا يستحق منه على الدوام سوى الإدانة والازدراء. ولكن مشجعي مختلف الفرق الأرجنتينية كانوا يحتفلون بكاريثو ويتفقون عليه بهذه الدرجة أو تلك. وليس هناك من توغل مثله فـي ملاعب تلك البلاد. ومع ذلك، فـي عام 1958، حين رجع المنتخب الأرجنتيني من مونديال السويد وذيله بين ساقيه، كان المعبود هو آخر من تخلت عنه يد الرب. فقد خسرت الأرجنتين فـي مواجهة تشيكوسلوفاكيا 1/6، ومثل هذه الجريمة بحاجة إلى كفارة. وهكذا انهالت عليه الصحافة، وصفر

له الجمهور، وانحدرت معنويات كاريثو إلى الحضيض. وبعد سنوات من ذلك، اعترف في مذكراته بحزن:

- إنني أتذكر دوماً الأهداف التي سجلوها عليّ أكثر مما أتذكر الضربات التي صددتها.

حمّى القميص

الكاتب الارغوايي باكو إسبينولا لم يكن يهتم بكرة القدم. ولكنه في مساء أحد أيام صيف 1960، وبينما كان يبحث عن موسيقى يستمع إليها من المذياع، التقط بالصدفة بثاً لمباراة بكرة القدم. وكانت تلك هي مباراة القمة في الدوري المحلي. وفيها خسر نادي بينارول 4/صفر أمام نادي ناسيونال.

عندما خيم الليل، كان باكو حزيناً جداً إلى حد أنه قرر تناول العشاء وحيداً، حتى لا يسبب الكآبة لأحد. من أين جاءه كل ذلك الحزن؟ وكان باكو على وشك أن يقتنع بأن ما أصابه هو اكتئاب لمجرد الاكتئاب، أو لمجرد الحزن على كونه واحداً من الفانين في هذه الدنيا، ولكنه أدرك فجأة عندئذ أن سبب حزنه هو الهزيمة التي لحقت بنادي بينارول. لقد كان مشجعاً لبينارول دون أن يدري.

كم من الارغوايين كانوا حزينين مثله يومذاك؟ وكم هم الذين كانوا يتسلقون بالمقابل جدران السعادة؟ لقد توصل باكو إلى ذلك الكشف متأخراً. فنحن في الأرغواي **ننتمي** إلى الناسيونال أو . بينارول منذ يوم ولادتنا. فيقول أحدنا، على سبيل المثال: «**أنا من** الناسيونال». وهذا ما يجري منذ بداية القرن. ومؤرخو تلك الأزمنة يروون أن محترفات الحب في مواخير مونتيفيديو كن يجتذبن الزبائن بالجلوس أمام أبوابهن دون أن يرتدين أي شيء سوى قميص البينارول أو الناسيونال.

المتعة بالنسبة إلى المشجع المتعصب ليست في انتصار فريقه، وإنما في هزيمة الآخر. في عام 1993، أجرت إحدى صحف مونتيفيديو مقابلة مع جماعة من الشباب يقضون الأسبوع في تحميل الحطب لكي يستمتعوا بالحياة في أيام الآحاد

صارخين لنادي الناسيونال فـي الاستاد. وقد اعترف أحدهم: «عندما أرى قميص بينارول أشعر بالقرف. إنني أتمنى أن يخسر دائماً، حتى حين يلعب ضد فرق أجنبية».

وهذا أمر يحدث فـي مدن كثيرة مقسومة مثل مونتيفيديو إلى قسمين. ففـي عام 1988، ألحق فريق ناسيونال الهزيمة بفريق نيوللز فـي نهائي كأس أميركا. ونيوللز هو أحد الفريقين اللذين يتقاسمان حب مدينة روساريو الأرجنتينية الساحلية. عندئذ خرج مشجعو النادي الآخر، وهو روساريو سنترال، وملؤوا شوارع المدينة محتفلين بهزيمة نيوللز أمام فريق أجنبي.

وأظن أن أزفالدو سوريانو هو الذي روى لي قصة موت أحد مشجعي نادي بوكا جونيورز فـي بوينس آيرس. فقد أمضى ذلك المشجع حياته كلها وهو يكره نادي ريفر بلات، مثلما هو مفروض عليه، ولكنه طلب وهو على فراش الاحتضار أن يلفوه براية الفريق المعادي. وهكذا استطاع أن يحتفل وهو يلفظ نفسه الأخير:

- الميت واحد منهم.

إذا كان المشجعون **ينتمون** إلى ناديهم، فلماذا لا ينتمي اللاعبون إليه؟ نادراً ما يتقبل المشجع التحول الجديد فـي مصير اللاعب المعبود. فتغيير النادي ليس مثل تغيير مكان العمل، حتى ولو كان اللاعب محترفاً ويكسب عيشه بقدميه. فهوى القميص لم يعد مناسباً كثيراً فـي كرة القدم الحديثة، ولكن المشجع يعاقب اللاعب الذي يقترف جريمة الانشقاق. ففـي عام 1989، عندما انتقل اللاعب البرازيلي بيبيتو من نادي فلامنغو إلى الفاسكو دي غاما، كان هناك مشجعون للفلامنغو يذهبون إلى مباريات الفاسكو دي غاما لكي يعبروا عن استنكارهم للخائن وحسب. انهال عليه وابل من التهديدات، وألقى عليه اللعنات أشد سحرة ريو دي جانيرو رهبة. وقد أصيب بيبيتو بسلسلة من الجراح، فلم تعد تمر لعبة دون أن يصاب بأذى، ودون أن ينتقل الإحساس بالذنب إلى ساقيه. وكان يمضي من سيئ إلى أسوأ إلى أن قرر السفر إلى إسبانية. وقبل بعض الوقت من ذلك كان نجم نادي راسينغ الأرجنتيني طوال سنوات، روبيرتو بيرفومو، قد انتقل

إلى ريفر بلات. وقد خصه مشجعوه المعهودون بأطول صفير وأكثره صخباً فـي العالم. فقال بيرفومو يومذاك:

- لقد أدركت كم كانوا يحبونني.

المشجع الذي يحن إلى أزمنة الإيمان القديمة لا يتقبل كذلك حسابات المردود المادي التي كثيراً ما تحسم قرارات الإداريين فـي زمن يجبر النادي على التحول إلى مصنع يُنتج الاستعراضات. وعندما يسوء حال المصنع، تأمر الأرقام الحمراء بالتضحية بنشيط المؤسسة. فأحد محلات السوبر ماركت العملاقة، وهو سوبر ماركت كاريفور، فـي بوينس آيرس، شُيّد فوق أنقاض استاد نادي سان لورينزو. وعندما جرى تدمير الاستاد فـي منتصف عام 1983، كان المشجعون الباكون يلتقطون حفنات من التراب ويضعونها فـي جيوبهم.

النادي هو الهوية الشخصية الوحيدة التي يؤمن المشجع بها. وفـي أحيان كثيرة يجسد القميص والنشيد والراية تقاليد حميمة جداً، يجري التعبير عنها فـي ملاعب كرة القدم، ولكنها تأتي من أعماق تاريخ الجماعة البشرية. فنادي برشلونة بالنسبة إلى الكتلانيين هو «أكثر من نادٍ»: إنه رمز لنضال طويل من أجل تأكيد الهوية الوطنية فـي مواجهة المركزية المدريدية. ومنذ عام 1919 لا وجود لأجانب أو لإسبان آخرين فـي فرق نادي آتلاتيكو دي بيلباو: فالآتلاتيكو محراب مقدس للكرامة الباسكية، وهو لا يقبل فـي صفوفه سوى اللاعبين الباسكيين، وهم لاعبون يبروزن فـي مشاتله الخاصة على الدوام تقريباً. وفـي سنوات دكتاتورية فرانكو كان استاد كامب نو فـي برشلونة، واستاد سان ماميس فـي بيلباو، ملجأً للمشاعر القومية المحظورة. فقد كان الكتلانيون والباسكيون يصرخون هناك ويغنون بلغتهم الوطنية ويشهرون أعلامهم السرية. وقد كان استاد كرة قدم هو المكان الذي ظهرت فيه لأول مرة راية باسكية دون أن تسرع الشرطة إلى اعتقال حاملها: وبعد سنة من موت فرانكو، ظهر لاعبو الآتلاتيكو والريال سوسيداد فـي الملعب وهم يرفعون الراية.

وحرب تفكك يوغسلافيا التي أربكت العالم كله، جرت فـي ملاعب كرة القدم قبل وقوعها فـي ميادين المعارك. فالأحقاد

القديمة بين الصرب والكروات كانت تبرز إلى السطح كلما تواجه ناديا بلغراد وزغرب. وعندئذ كان المشجعون يكشفون عواطفهم الدفينة ويُظهرون رايات وأغنيات من الماضي وكأنها فؤوس حربية.

هـدف بـوشـكاش

حدث ذلك فـي 1961. وكان ريال مدريد يواجه فـي ملعبه فريق اتلاتيكو مدريد.

ما كادت المباراة تبدأ حتى أدخل فـيرنيك بوشكاش هدفاً مكرراً، مثلما فعل زيزينهو فـي مونديال 1950. فبعد إحدى المخالفات، سدد اللاعب الهنغاري فـي فريق ريال مدريد الضربةَ عند حافة منطقة جزاء الخصم، ودخلت الكرة المرمى. ولكن الحكم اقترب من بوشكاش الذي كان يرفع ذراعيه إلى أعلى محتفلاً بالهدف، وقال له معتذراً:

ـ آسف، ولكننـي لم أُصفر.

فأعاد بوشكاش التسديد. ضرب الكرة بقدمه اليسرى مثلما فعل فـي المرة الأولى، واتخذت الكرة المسار نفسه تماماً: مرت فوق رؤوس اللاعبين أنفسهم الذين شكلوا الحاجز ودخلت المرمى، مثلما حدث فـي الهدف الملغى، من الزاوية اليسرى لمرمى الحارس مادينابيتيا الذي قفز مثلما قفز فـي المرة السابقة، ولم يستطع، كما فـي المرة السابقة، أن يلمس الكرة.

هـدف سـانفـيليبـو

عزيزي إدواردو:

سأخبرك بأننـي كنت منذ أيام فـي سوبرماركت «كاريفور»، وهو المكان الذي كان يقوم فـيه من قبل ملعب نادي سان لورينزو. لقد ذهبت إلى هناك مع خوسيه سانفـيليبو، بطل طفولتـي الذي كان هدّاف سان لورينزو فـي أربعة مواسم متتالية. مشينا ما بين الرفوف، محاطين بالقدور والأجبان وحبال المقانق. وفجأة،

وبينما نحن نقترب من الصندوق، فتح سانفيليبو ذراعيه وقال لي: «إنني أفكر كيف غرستُ الكرة بنزق شديد في مرمى الحارس روما، في تلك المباراة ضد فريق بوكا». يمر من أمام امرأة بدينة تجر عربة مملوءة بالمعلبات واللحم والخضار، ويقول: «لقد كان أسرع هدف في التاريخ».

ويروي لي وهو يركز انتباهه، وكأنه ينتظر ضربة ركنية: «قلت للرقم خمسة الذي سيفتتح اللعب: فور بدء المباراة، حوّل لي رمية نحو منطقة الجزاء. لا تخف، فلن أخذلك. وكنت كبيراً وكان هو أصغر سناً. لقد كان اسمه كابديفيا، وقد خاف، وفكر: قد لا أتمكن من إنجاز وعدي له». وحينئذ أشار سانفيليبو إلى كومة من مرطبانات المايونيز وصرخ: «لقد وجه الكرة إلى هنا!». وبدأ الناس ينظرون إلينا بارتباك. «سقطت الكرة وراء لاعبي الوسط، فأسرعتُ ولكنها مضت قليلاً نحو ذلك الاتجاه، حيث يوجد الرز، أترى؟» - وأشار إلى الرفوف السفلية، ثم ركض فجأة مثل أرنب بالرغم من البدلة الزرقاء والحذاء اللامع، وقال: - «تركتها تصطدم بالأرض، ثم بلووووم!». وشاط بقدمه اليسرى. جميعنا التفتنا لننظر باتجاه الصندوق، حيث كان المرمى قبل بضع وثلاثين سنة، وبدا لنا جميعنا أن الكرة قد دخلت من الأعلى، حيث توجد بطاريات أجهزة المذياع وشفرات الحلاقة بالضبط. رفع سانفيليبو ذراعيه للاحتفال بالهدف. وتمزقت أكف الزبائن وعاملات الصندوق من شدة التصفيق. وكدتُ أن أبكي من التأثر. لقد أعاد سانفيليبو "النيني" مجدداً ذلك الهدف الذي سجله عام 1962، من أجل أن يجعلني أراه وحسب.

ازفالدو سوريانو

موندیال1962

منجمون هنود وملاويون يتنبؤون بنهاية العالم، ولكن العالم واصل دورانه، وبين دورة ودورة تولد منظمة تُعمّد باسم منظمة العفو الدولية، وتخطو الجزائر خطواتها الأولى في الحياة المستقلة بعد سبع سنوات من الحرب ضد فرنسا. وفي إسرائيل يشنقون المجرم النازي أدولف أيخمان، عمال المناجم في أستورياس يعلنون الإضراب، والبابا يوحنا يريد تغيير الكنيسة وإعادتها إلى الفقراء. تُصنع أول اسطوانات الحواسيب، وتُجرى أول العمليات بأشعة الليزر، وتفقد مارلين مونرو الرغبة في العيش.

بكم كان يباع صوت أحد البلدان عالمياً؟ هاييتي باعت صوتها مقابل خمسة عشر مليون دولار، وشق طريق، وإقامة سد ومستشفى، وهكذا وفرت لمنظمة البلدان الأمريكية الأغلبية اللازمة من أجل طرد كوبا، النعجة السوداء في المنظمة الأمريكية. مصادر شديدة الإطلاع في ميامي تعلن أن سقوط فيدل كاسترو صار وشيكاً، وأن انهياره هو مسألة ساعات فقط. خمسة وسبعون طلب حظر تقدم إلى المحاكم الأمريكية ضد رواية ***مدار السرطان*** لهنري ميللر التي نشرت لأول مرة دون رقابة. لينوس باولينغ الذي سيتلقى جائزة نوبل للمرة الثانية، كان يتمشى أمام البيت الأبيض حاملاً يافطة احتجاج ضد التفجيرات النووية، بينما كان الملاكم بيني كيد باريت، الكوبي الزنجي الأمي، يسقط صريعاً تحت وقع الضربات، على حلبة ماديسون سكوار جاردن.

في ممفيس، يعلن ألفيس برستلي اعتزاله بعد أن باع ثلاثمئة مليون اسطوانة، ولكنه يندم على قراره على الفور. وفي لندن، ترفض شركة ديكا للاسطوانات تسجيل أغنيات لفريق من ذوي الشعور الطويلة يسمون أنفسهم البيتلز. ينشر كاربينتير رواية ***عصر الأنوار***، وجيلمان ينشر ***غوتان***، وعسكريو الأرجنتين يقلبون نظام الرئيس فرونديزي، ويموت الرسام البرازيلي كانديدو بورتيناري. تظهر **القصص الأولى** لجيماراييس روسا، والقصائد التي كتبها فينيسيوس دي موراييس **من أجل أن**

يعيش حباً عظيماً، وفـي أثناء ذلك كان لاعبو البرازيل يحطون فـي تشيلي، مستعدين لكسب بطولة العالم السابعة بكرة القدم فـي مواجهة خمسة بلدان أمريكية أخرى وعشرة بلدان أوربية.

فـي مونديال 1962 لم يحالف الحظ ديستيفانو. كان سيلعب ضمن المنتخب الاسباني، بلده بالتبني. وكانت تلك هي فرصته الأخيرة بعد أن بلغ السادسة والثلاثين من العمر. وعشية افتتاح البطولة أصيبت ركبته اليمنى، ولم تكن هناك طريقة لمشاركته. ديستيفانو، **السهم الأشقر**، كان أحد أفضل اللاعبين فـي تاريخ كرة القدم، ولكنه لم يستطع المشاركة فـي أي مونديال. وبيليه، وهو نجم آخر فـي كل الأزمنة، لم يستطع المضي بعيداً فـي مونديال تشيلي: فقد أصيب منذ البدء بتمزق عضلي وبقي خارج اللعب. وهناك مسخ مقدس آخر فـي كرة القدم هو الروسي ياشين، حالفه سوء الحظ فـي مونديال تشيلي: فقد أكل أفضل حارس مرمى فـي العالم أربعة أهداف فـي المواجهة مع كولومبيا، لأنه زاد العيار على ما يبدو بتناول المشروب الذي كانوا يضعونه له فـي صالة استبدال الملابس.

ربحت البرازيل المنافسة. دون وجود بيليه وتحت قيادة ديدي. وقد تألق آماريلدو فـي موقع بيليه الصعب، وفـي المؤخرة كان دجالما سانتوس سوراً منيعاً، وكان غارينشا فـي الهجوم يهذي ويجعل الجميع يهذون. «من أي كوكب أتى غارينشا؟»، هكذا تساءلت صحيفة **الميركوريو**، بينما كانت البرازيل تُخرج البلد المضيف من المنافسة. كان التشيليون قد تغلبوا على إيطاليا فـي مباراة كانت أشبه بمعركة حربية، وكانوا قد تغلبوا كذلك على سويسرا وعلى الاتحاد السوفييتي. لقد هزموا الاسباغيتي والشيكولاته والفودكا، ولكنهم غصوا بالقهوة: فقد فاز عليهم البرازيليون 2/4.

فـي المباراة النهائية تغلبت البرازيل على تشيكوسلوفاكيا 1/3، وكانت البطل الذي لم يخسر أي مباراة، مثلما حدث فـي مونديال 1958. ولأول مرة أمكن مشاهدة المباراة النهائية مباشرة فـي التلفزيون فـي بث دولي، مع أنه كان بالأبيض والأسود ولم يصل إلا إلى عدد محدود من البلدان.

احتلت تشيلي الموقع الثالث، وهو أفضل تصنيف لها في تاريخها، وكان الموقع الرابع من نصيب يوغسلافيا بفضل عصفور اسمه دراغوسلاف سيكولارش لم يستطع أي مدافع الإمساك به.

لم يكن هناك هدّاف للبطولة، ولكن عدداً من اللاعبين سجلوا أربعة أهداف: البرازيليان غارينشا وفافا، والتشيلي سانتشيز، واليوغسلافي جيركوفيش، والهنغاري ألبيرت والسوفييتي إيفانوف.

هـدف تشـارلتـون

حدث ذلك في مونديال 1962. وكانت إنكلترا تلعب ضد المنتخب الأرجنتيني.

بوبي تشارلتون بدأ اللعبة التي حققت الهدف الإنكليزي الأول، إلى أن بقي فلورز وحيداً قبالة حارس المرمى الأرجنتيني روما. أما الهدف الثاني فكان له من أوله إلى آخره. فتشارلتون، سيد ميسرة الملعب كلها، فكك دفاع الفريق الأرجنتيني مثلما تتفكك عثة بعد صفعة، وبينما هو يجرى بدّل قدمه التي يشوط بها، وسدد باليمنى ليصعق حارس المرمى برمية متصالبة.

لقد كان ناج من الموت. ومثله جميع لاعبي فريقه تقريباً، فريق المانشستر يونايتد الذين بقوا متشبثين بالحديد المحطم في طائرة محترقة. لقد أفلت الموت بوبي لكي يتمكن ابن عامل المناجم هذا من مواصلة تقديم نُبل كرة القدم الراقي إلى الناس.

كانت الكرة تنصاع له. فهي تجوب الملعب مستجيبة لتعليماته وتدخل المرمى قبل أن يشوطها.

يـاشـين

كان ليف ياشين يسد المرمى كله دون أن يترك فيه ثقباً صغيراً. هذا المارد الذي له ذراعا عنكبوت طويلين، كان يرتدي الأسود على الدوام، لقد كان له أسلوب مجرد، أناقة عارية

تزدري استعراضية الحركات الفائضة عن الحاجة. فقد كان يوقف الضربات الصاعقة برفع يد واحدة فقط، الكماشة التي تمسك أو تحبط أي قذيفة، بينما يبقى جسده ثابتاً مثل صخرة. ودون أن يتحرك، كان بإمكانه أيضاً أن يحرف أي كرة بمجرد توجيه نظرة إليها.

اعتزل كرة القدم عدة مرات، تلاحقه هتافات الشكر على الدوام، وتراجع عدة مرات عن الاعتزال. لم يكن هناك مثيل له. خلال أكثر من ربع قرن ردّ حارس المرمى الروسي أكثر من مئة ضربة جزاء، وأنقذ مرماه من عدد لا حصر له من الأهداف المؤكدة. عندما سألوه ما هو سره، أجاب بأن المعادلة تتلخص في تدخين سيجارة لتهدئة الأعصاب وتناول كأس من خمرة قوية لدوزنة العضلات.

هـدف خينتـو

حدث ذلك في عام 1963. كان ريال مدريد يواجه نادي بونتيفيدرا.

ما إن أطلق الحكم صفارة البدء، حتى كان هناك هدف سجله ديستيفانو. وما كاد الشوط الثاني يبدأ حتى سجل بوشكاش هدفاً. منذ تلك اللحظة بدأ المشجعون ينتظرون الهدف التالي بفارغ الصبر، لأنه سيكون الهدف رقم 2000 الذي يسجله ريال مدريد مذ بدأ المنافسة في الدوري الإسباني سنة 1928. كان مشجعو ريال مدريد يتضرعون من أجل مجيء الهدف وهم يقبّلون أصابعهم التي ترسم إشارة الصليب، بينما مشجعو الخصم يتوسلون العكس وهم يشكلون بإصبعيهما الصغرى والسبابة قرنين موجهين إلى الأرض.

انقلب الوضع في المباراة. وهيمن فريق بونتيفيدرا على اللعب. ولكن عندما بدأ الغروب، ولم يبق سوى القليل لانتهاء المباراة، وكان قد غاب عن الأنظار ذلك الهدف الذي يتمناه كثيرون بشدة ويخشاه كثيرون غيرهم، وجه آمانثيو ضربة مخالفة خطرة: لم يتمكن ديستيفانو من الوصول إلى الكرة،

فالتقطها خينتو، الظهير الأيسر لريال مدريد الذي تخلص من حصار المدافعين وسدد وأصاب. فانقلب الاستاد رأساً على عقب.
كان فرانثيسكو خينتو، قاطع الطريق الذي تطالب كل فرق الخصوم باحتجازه. وقد كانوا يتمكنون من حبسه أحياناً في سجون شديدة التحصين، ولكنه كان يعرف كيف يفلت دائماً من الحصار.

سيلير

وجه لذة كبيرة. لا يمكن للمرء أن يتصوره إلا وفي يده إبريق بيرة تعلوه الرغوة. لقد كان على الدوام الأقصر قامة والأكثر بدانة في الملاعب الألمانية: إنه هامبورغي مربوع ومتأنق، يمشي مترنحاً، وله ساق أطول من الأخرى. ولكن يووي سيلير كان برغوثاً حين يقفز، وأرنباً برياً حين يركض، وثوراً حين ينطح.
في عام 1964، جرى اختيار لاعب هجوم الوسط في نادي هامبورغ هذا، كأفضل لاعب ألماني. وقد كان ينتمي إلى نادي هامبورغ جسداً وروحاً، فكان يقول:
- إنني مشجع آخر، والهامبورغ هو بيتي.
ازدرى يووي سيلير كل العروض التي قُدمت إليه، وهي كثيرة ومغرية، للعب في أقوى الفرق الأوربية.
لقد شارك في أربع بطولات عالمية. وكان الهتاف **يووي، يووي** هو أفضل طريقة للقول: **ألمانيا، ألمانيا**.

ماتهيوز

في عام 1965، حين كان ستانلي ماتهيوز في الخمسين من عمره، كان ما يزال يسبب حالات هذيانية في كرة القدم الإنكليزية. وكان الأطباء النفسانيون مشغولين على الدوام بمعالجة الضحايا الذين كانوا طبيعيين تماماً قبل اللحظة التي التقوا فيها بهذا الجد الشيطاني الذي يسبب الجنون للاعبي

الدفاع.

لقد كان المدافعون يشدونه من قميصه أو من سرواله، ويطبقون عليه حركات المصارعة الحرة، أو يركلونه متعمدين، ولكنهم لا يستطيعون وقفه لأنهم لا يتمكنون مطلقاً من إمساك جناحيه. لقد كان ماتهيوز هدافاً، أو ما يسمونه بالإنكليزية winger. و wing تعني جناح، وقد كان ماتهيوز أعلى جناح يحلق فوق الأرض الإنكليزية، فوق ضفاف الملعب.

وكانت الملكة إيزابيل تعرف ذلك جيداً، ولهذا منحته لقب «سير».

موندیال 1966

العسكريون يغرقون إندونيسيا فـي حمام دم، نصف مليون قتيل، أو مليون، من يدري. ويبدأ الجنرال سوهارتو دكتاتوريته الطويلة باغتيال القلة المتبقية من الحمر والورديين، أو من الأحياء المشكوك فيهم. عسكريون آخرون ينقلبون على نيكروما، رئيس غينيا ونبي الوحدة الأفريقية، بينما زملاؤهم الأرجنتينيون يعزلون الرئيس إيليا بانقلاب عسكري.

وللمرة الأولى فـي التاريخ تحكم الهند امرأة هي أنديرا غاندي. والطلاب يطيحون بالدكتاتورية العسكرية فـي الإكوادور. طيران الولايات المتحدة يقصف هانوي، فـي هجمة جديدة، ولكن الرأي العام الأمريكي يزداد قناعة بأنه ما كان عليهم الدخول إلى فيتنام مطلقاً، وأنه ما كان عليهم أن يبقوا هناك، وأنه لا بد لهم من الخروج بأسرع ما يمكن.

ترومان كابوت ينشر رواية **بدم بارد**. وتظهر **مئة عام من العزلة** لغارسيا ماركيز، و**باراديس** لليثما ليما. يسقط القس كاميليو توريس صريعاً وهو يناضل فـي جبال كولومبيا، ويمتطي تشي غيفارا حصانه النحيل روسينانتي فـي أرياف بوليفيا، ويطلق ماو الثورة الثقافية فـي الصين. تسقط عدة قنابل ذرية على ساحل ألميرية الإسباني، ومع أنها لا تنفجر، إلا أنها تنشر الرعب والهلع. مصادر شديدة الإطلاع فـي ميامي تعلن أن سقوط

فيدل كاسترو صار وشيكاً، وأن انهياره مسألة ساعات.
في لندن، يمضغ هارولد ويلسون غليونه ويحتفل بفوزه في الانتخابات، الفتيات يخرجن بالميني جوب، كانابي ستريت يملي الموضة والجميع في العالم يدندنون أغنيات البيتلز، بينما يجري افتتاح بطولة العالم الثامنة بكرة القدم.
كان هذا هو مونديال غارنيشيا الأخير، وكان كذلك مونديال الوداع لحارس المرمى المكسيكي أنطونيو كارباخال، اللاعب الوحيد الذي شارك خمس مرات في المنافسة العالمية.
شارك في البطولة ستة عشر فريقاً: عشرة فرق أوربية، وخمسة أمريكية، والحدث النادر: كوريا الشمالية. والمذهل أن المنتخب الكوري أخرج إيطاليا من المنافسة بالهدف الذي سجله باك، وهو طبيب أسنان من مدينة بيونغ يانغ يشارك في لعب كرة القدم في أوقات فراغه. كان لاعبو المنتخب الإيطالي من وزن جياني ريفيرا وساندرو مازولا. وكان بيير باولو بازوليني يقول عنهم إنهم يلعبون كرة القدم في نثر جيد تتخلله أشعار لامعة، ولكن طبيب الأسنان أسكتهم.
لأول مرة جرى نقل البطولة كلها مباشرة بالأقمار الاصطناعية، وتمكن العالم بأسره أن يرى، بالأبيض والأسود، **استعراض** الحكام. ففي المونديال السابق كان الحكام الأوربيون قد حكموا في ست وعشرين مباراة؛ وفي هذا المونديال حكموا أربعاً وعشرين مباراة من أصل اثنتين وثلاثين مباراة. حكمٌ ألماني أهدى إلى إنكلترا مباراتها ضد الأرجنتين، بينما أهدى حكم إنكليزي إلى ألمانيا مباراتها ضد الأرغواي. ولم تكن البرازيل أوفر حظاً: فقد جرى اصطياد بيليه بالركلات دون عقاب في المباريتين مع بلغاريا والبرتغال، مما أخرجه من البطولة.
حضرت الملكة إيزابيل المباراة النهائية. لم تصرخ محيية أي هدف، ولكنها صفقت بوقار. جرت المباراة بين إنكلترا بوبي تشارلتون، رجل الهجمات والتسديدات المرهوبة، وألمانيا بيكينباور الذي كان قد بدأ مشواره الرياضي حديثاً، وكان يلعب بأناقة القفاز والبسطون. وكان أحدهم قد سرق كأس ريميه، ولكن

كلباً يدعى بيكلز وجده ملقى في إحدى حدائق لندن. وهكذا وصلت الغنيمة فـي الوقت المناسب إلى يدي المنتصر. لقد فازت إنكلترا 2/4. واحتلت البرتغال الموقع الثالث، وجاء الاتحاد السوفييتي فـي الموقع الرابع. منحت الملكة إيزابيل لقباً نبيلاً إلى آلف راميس، المدير الفني للمنتخب الفائز، وتحول الكلب بيكلز إلى بطل قومي.

لقد سيطر على مونديال 1966 التكتيك الدفاعي. فكل الفرق كانت تمارس أسلوب **القفل** وتترك لاعباً **مكنسة** يكنس خط النهاية وراء المدافعين. ومع ذلك، فإن ايزيبيو الهداف الأفريقي فـي فريق البرتغال، تمكن من اختراق أسوار دفاع الخصوم الصارمة تسع مرات. تلاه فـي قائمة الهدافـين الألماني هالير بتسجيل ستة أهداف.

غريفز

لو كان فـي فيلم رعاة بقر، لكان أسرع قدم فـي الغرب الأمريكي. لقد حقق فـي ملاعب كرة القدم مئة هدف قبل أن يكمل العشرين من عمره، وحين كان فـي الخامسة عشرة لم تكن قد أخترعت بعد مانعة الصواعق القادرة على الإمساك به. فهو لم يكن يركض، وإنما ينفجر: إنه جيمي غريفز الذي كان ينقض بسرعة مفاجئة إلى حد أن الحكام كانوا يخطئون ويحسبونه خارج اللعب، لأنهم لا يعرفون أبداً من أين تأتي هجماته المفاجئة، ولا تسديداته الصائبة: كانوا يرونه يأتي، ولكنهم لا يرونه أبداً حين ينصرف.

وكان يقول:

- إنني أحب الأهداف إلى حد الوجع.

لم يحالف الحظ غريفز فـي مونديال 1966. فهو لم يسجل أي هدف، وكانت إصابته المفاجئة بداء اليرقان قد أخرجته من المباراة النهائية.

هـدف بيكينبـاور

حدث ذلك فـي مونديال 1966. وكانت ألمانيا تلعب ضد سويسرا.

شن يووي سيلير هجوماً مع فرانز بيكينباور، فكانا مثل سانتشو بانسا ودون كيخوتة أطلقهما زناد غير مرئي، خذ وهات، لك ولي، وعندما أصبح الدفاع السويسري كله غير مجدٍ، مثل أذن الأصم، واجه بيكينباور حارس المرمى إيلسنر الذي أسرع إلى الجهة اليسرى، فاتخذ بيكينباور القرار وهو يركض: انحرف يساراً وسدد وأدخل.

كان عمر بيكينباور حينئذ عشرين سنة، وكان هذا هو هدفه الأول فـي بطولة عالمية. وقد شارك بعد ذلك فـي أربع بطولات أخرى، كلاعب وكمدير فني، ولم يتراجع مطلقاً عن الموقع الثالث، ورفع بيديه كأس العالم مرتين: فـي عام 1974 وهو لاعب، وفـي عام 1990 وهو مدير للفريق. وعلى العكس من الاتجاه السائد فـي كرة قدمٍ تعتمد على القوة المحضة، كان هو يثبت أنه يمكن للأناقة أن تكون أقوى من الدبابة وللرقة أن تكون أنفذ من قذيفة المدفع.

فـي الحي العمالي فـي ميونخ ولد هذا الإمبراطور لنصف الملعب، وكانوا يسمونه **القيصر**، لأنه كان الآمر بوجاهة فـي الدفاع وفـي الهجوم: فـي الخلف لم تكن تفلت منه أي كرة أو ذبابة أو ناموسة تريد المرور؛ وعندما يندفع إلى الأمام، كان ناراً تخترق الملعب.

ايـزيبيـو

كان مقدراً له عندما ولد أن يصبح ماسح أحذية، أو بائع فستق سوداني، أو نشالاً يسرق الساهين. ومنذ طفولته كانوا يسمونه **نينغوم**: أي لا أحد. إنه ابن لأم أرملة، وكان يلعب كرة القدم مع أخوته الكثيرين على رمال الأحياء الهامشية، منذ الفجر وحتى حلول الظلام.

وصل إلى الملاعب راكضاً مثلما يمكن للمرء أن يركض

هارباً من الشرطة أو من الجوع الذي يعض عقبيه. وهكذا، وهو منطلق فـي حركة زيك-زاك، صار بطل أوربا وهو فـي العشرين من عمره. وعندئذ أطلقوا عليه لقب **الفهد**.

فـي مونديال 1966، خلّفت خطواته الواسعة صفوفاً من الخصوم مطروحين على أرض الملعب، وكانت أهدافه التي يوجهها من زوايا مستحيلة تفجر تصفيقاً لا ينقطع.

لقد كان أفضل لاعب فـي تاريخ البرتغال أفريقياً من موزامبيق. إنه ايزيبيو: ساقان طويلتان، ذراعان متهدلان، ونظرة حزينة.

لعنـة العوارض الثـلاث

كانت تقاطيع وجه حارس المرمى ذاك محفورة بفأس ومنخورة بالجدري. وكانت يداه الكبيرتان بأصابعهما الملتوية تغلقان المرمى بمزلاج وقفل، وقدماه تطلقان قذائف مدفعية. بين كل حراس المرمى البرازيليين الذين رأيتهم، بقي مانغا هو أكثرهم رسوخاً فـي الذاكرة. ففـي إحدى المرات، فـي مونتيفيديو، رأيته يسجل هدفاً من مرمى إلى مرمى: أطلق الكرة من مرماه ودخلت فـي المرمى المقابل دون أن يلمسها أي لاعب آخر. كان يلعب حينذاك مع نادي ناسيونال الارغواي، كعقوبة وكفارة. إذ لم يجد أمامه من مفر سوى مغادرة البرازيل. ذلك أن المنتخب البرازيلي كان قد رجع منكس الرأس، ومهزوماً هزيمة مريرة أكثر منها مجيدة فـي مونديال 1966، وكان مانغا هو كبش الفداء لتلك النكبة الوطنية. لقد لعب مباراة واحدة. وارتكب خطأه الذي لم يغفر له: خروج غير صحيح من المرمى. وقد كان من سوء حظه أن سجلت البرتغال هدفاً فـي المرمى الخاوي. وكانت تلك اللحظة المشؤومة كافية لكي تُسمى أخطاء حراس المرمى لوقت طويل: **لعبات مانغالية**.

شيء مشابه كان قد حدث فـي مونديال 1958، حين دفع حارس المرمى آماديو كاريثو ثمن إخفاق المنتخب الأرجنتيني. وقبل ذلك فـي عام 1950، حين كان مواسير باربوسا كبش الفداء

فـي هزيمة البرازيل فـي نهائي ماراكانا.
وفـي مونديال 1990 أزاحت الكاميرون كولومبيا التي كانت قد تألقت فـي مباراتها مع ألمانيا. وكان هدف الفريق الأفريقي الحاسم قد جاء بسبب تهور حارس المرمى الكولومبي رينيه هيغويتا الذي توغل إلى منتصف الملعب، وهناك فقد الكرة. والناس أنفسهم الذين كانوا يحتفلون بمثل هذه الحركات الجريئة حين يحالفها التوفـيق، كادوا أن يأكلوا هيغويتا نيئاً فور عودته إلى كولومبيا.
وفـي عام 1993، هزم المنتخب الكولومبي ـ ولم يكن هيغويتا موجوداً ـ منتخب الأرجنتين 5/صفر فـي بوينس آيرس. وكانت تلك الهزيمة المذلة تستدعي تحميل أحد المسؤولية، فكان لا بد للمذنب من أن يكون ـ ومن سواه ـ حارس المرمى. فدفع سبرخيو غويكوتشيا ثمن الأطباق المكسورة. وكان منتخب الأرجنتين قد لعب قبل ذلك أكثر من ثلاثين مباراة ظافرة، وكان غويكوتشيا بالنسبة إلى الجميع هو بطل تلك المآثر. ولكن بعد الأهداف الكولومبية الخمسة، لم يعد من صدّ كرات ضربات الجزاء هو القديس غويكو الذي فقد موقعه فـي المنتخب ونصحه أكثر من شخص بالانتحار.

سـنوات بينـارول

فـي عام 1966 تواجه بطلا أميركا وأوربا، بينارول وريال مدريد، مرتين. وفـي المرتين فاز بينارول 2/صفر، دون أن يبلل قميصه، وبلعب بديع وأنيق.
فـي الستينات ورث بينارول مركز ريال مدريد الذي كان أعظم الفرق فـي العقد السابق. وقد أحرز بينارول فـي تلك السنوات كأس العالم للأندية مرتين، وبطولة أميركا ثلاث مرات.
وعندما كان هذا الفريق الأول فـي العالم يخرج إلى الملعب، كان لاعبوه يحذرون خصومهم:
ـ هل أحضرتم كرة لكي تلعبوا بها؟ لأننا نحن الذين سنلعب بهذه الكرة.

كان محظوراً على الكرة أن تدخل مرمى مازوركيفيتش، وكانت تنقاد في منتصف الملعب لتيتو غونسالفين، وتئز في المقدمة بقدمي سبنسر وجويا. وتمزق الشباك بأوامر بيبي ساسيا. ولكنها كانت تستمتع بصورة خاصة عندما يؤرجحها بيدرو روتشا.

هـدف روتشـا

حدث ذلك في عام 1969. وكان بينارول يلعب ضد نادي ستوديانتيس دي لا بلاتا.

كان روتشا في منتصف الملعب، مديراً ظهره إلى مرمى الخصم، وكان هناك لاعبان يرصدانه عندما تلقى الكرة من ماتوساس. عندئذ أوقفها عند قدمه اليمنى، ثم التفت إلى الوراء والكرة ملتصقة بقدمه، خطفها من الخلف بقدمه الأخرى وأفلت من مراقبة الخصمين اتشيكوبار وتافيرنا. ركض ثلاث خطوات واسعة، وترك الكرة لزميله سبينسر وواصل الجري. تلقاها حين أعيدت إليه عالية عند قوس منطقة الجزاء. هدّأ الكرة بصدره، وتخلص من دفاعي الخصم ماديرو وسبادارو وأطلق كرة مرتفعة. لم يُتح يومئذ لحارس المرمى فلوريس أن يراها.

كان بيدرو روتشا ينسل مثل أفعى على العشب. وكان يلعب بمتعة، ويهدي المتعة: متعة اللعب، متعة الهدف. وكان يفعل كل ما يريده بالكرة، وكانت هي تقتنع بكل شيء منه.

مسكينـة أمي الحبيبـة

في نهاية الستينات رجع الشاعر خورخي إنريكي آدوم إلى الإكوادور، بعد غياب طويل. وما إن وصل، وأنجز بعض الطقوس الإجبارية في مدينة كيتو، حتى ذهب إلى الاستاد ليشاهد لعب فريق أوكاس. كانت مباراة مهمة، وكان الملعب ممتلئاً.

قبل بدء المباراة كانت هناك دقيقة صمت حداداً على أم الحكم

التي توفيت في اليوم السابق. لقد نهض الجميع واقفين، وبقوا صامتين كلهم. وبعد ذلك ألقى أحد مسؤولي كرة القدم كلمة أبرز فيها سلوك الرياضي المثالي الذي سيحكم المباراة، والذي يؤدي واجبه حتى في أشد الظروف حزناً. وفي منتصف الملعب كان يقف مطرق الرأس الرجل ذو الملابس السوداء الذي تلقى تصفيق الجمهور كله. فرك الشاعر آدوم رموشه، وقرص ذراعه: فهو لا يستطيع أن يصدق ما يسمعه ويراه. في أي بلاد هو؟ لقد تبدلت الأمور كثيراً. ففي السابق لم يكن الناس يتذكرون الحكم إلا عندما يصرخون به: **يا ابن العاهرة**.

وبدأت المباراة. وبعد خمس عشرة دقيقة انفجر الملعب بالدوي: هدف لفريق أوكاس. ولكن الحكم ألغى الهدف بسبب التسلل، وعلى الفور تذكرت الحشودُ تلك المتوفية التي منحته الحياة، وزمجرت المدرجات:

- يا يتيم العاهرة!

الدموع لا تأتي من المنديل

كرة القدم هي صورة مجازية للحرب، ويمكن لها أن تتحول أحياناً إلى حرب حقيقية. وعندئذ يتخلى ***الموت المفاجئ*** عن كونه مجرد اسم لطريقة دراماتيكية في التعادل في المباريات. فالتعصب الكروي في زماننا احتل الموقع الذي كان يقتصر في السابق على الحماسة الدينية، والعاطفة الوطنية والهياج السياسي. ومثلما يحدث مع الدين والوطن والسياسة، هناك فظاعات كثيرة ترتكب باسم كرة القدم وكثير من التوترات تنفجر بسببها.

هناك من يعتقد أن الرجال المصابين بمس الكرة الشيطاني يطلقون الزبد من بين أسنانهم، ويجب الاعتراف بأنهم يصورون بهذا الشكل، وبطريقة جيدة، أكثر من مشجع موتور؛ ولكن لا بد أن أكثر نواب الادعاء سخطاً يدركون أن العنف الذي يحدث في كرة القدم لا يأتي في أغلب الحالات من كرة القدم نفسها، تماماً مثلما يدركون أن الدموع لا تأتي من المناديل.

في عام 1969 اندلعت الحرب بين هندوراس والسلفادور،

وهما بلدان صغيران في أميركا الوسطى، وفقيران جداً، كانا يراكمان أحقاداً متبادلة منذ أكثر من قرن من الزمان. فكل منهما كان يشكل التفسير السحري لمشاكل الآخر. لماذا لا يجد أبناء الهندوراس عملاً؟ لأن السلفادوريين يأتون لانتزاعه منهم. ولماذا يجوع السلفادوريون؟ لأن الهندوراسيين يسيئون استغلالهم. كل شعب منهما يرى أن العدو هو الشعب المجاور، وتبذل الدكتاتوريات العسكرية المتتالية في كلا البلدين كل جهودها للإبقاء على ذلك الالتباس.

لقد أُطلق على تلك الحرب اسم حرب ***كرة القدم***، لأن الشرارات التي أشعلت الحريق بدأت في استادي تيغوسيغالبا وسان سلفادور. فخلال التصفيات من أجل مونديال 1970، بدأت المشاكل. حدثت مشاجرات، وسقط بعض القتلى وعدد من الجرحى. وبعد أسبوع من ذلك قطع البلدان علاقاتهما الدبلوماسية. وطردت هندوراس مئة ألف فلاح سلفادوري يعملون منذ الأزل في زراعة وحصاد تلك البلاد، وعندئذ اجتازت الدبابات السلفادورية الحدود.

استمرت الحرب أسبوعاً وأودت بحياة أربعة آلاف شخص. وكانت حكومتا البلدين، الدكتاتوريتان المصنوعتان في أميركا، تنفخان نيران الحقد المتبادل. كان الشعار في تيغوسيغالبا هو: ***أيها الهندوراسي، تناول خشبة واقتل سلفادوري***. وفي سان سلفادور كان الشعار: ***لا بد من تلقين هؤلاء البرابرة درساً***. أسياد الأراضي وسادة الحروب لم يريقوا قطرة واحدة من دمائهم، بينما كان شعبا الحفاة، المتماثلان في بؤسهما، ينتقمان في الوجهة غير الصحيحة ويقتتلان فيما بينهما بحماسة وطنية.

هدف بيليه

حدث ذلك في عام 1969. وكان نادي سانتوس يلعب ضد فاسكو دي غاما في استاد ماراكانا.

اجتاز بيليه الملعب مثل وابل، متفادياً الخصوم في الجو، دون أن يلمس الأرض، وعندما كان يدخل إلى المرمى مع الكرة

وكل شيء، أُوقع أرضاً.

صفر الحكم معلناً ضربة جزاء. ولم يشأ بيليه تسديد تلك الرمية. ولكن مئة ألف شخص أجبروه على ذلك وهم يصرخون باسمه.

كان بيليه قد سجل الكثير من الأهداف قبل ذلك فـي استاد ماراكانا. أهداف عجيبة مثل ذاك الذي سجله فـي عام 1961 ضد نادي فلومينينسي، حين كان قد راوغ سبعة لاعبين وأتبعهم بحارس المرمى أيضاً. ولكن ضربة الجزاء تلك كانت مختلفة: فقد أحس الناس بأن فـيها شيئاً مقدساً. ولهذا صمت الجمهور الأكثر صخباً فـي العالم. فقد سكن هياج الناس فجأة، وكأنهم قد انصاعوا لأمر: لم يعد هناك من يتكلم، لم يعد هناك من يتنفس، لم يعد هناك أحد. لم يعد على المدرجات أحد فجأة، ولا فـي الملعب أيضاً. بيليه وحارس المرمى آندرادا كانا وحيدين. ووحيدان كانا ينتظران. بيليه وقفاً بجانب الكرة عند نقطة ضربات الجزاء البيضاء. وعلى بعد اثنتي عشرة خطوة منه يقف آندرادا، منكمشاً، مترصداً، بين العوارض.

لقد تمكن حارس المرمى من لمسها، ولكن بيليه غرس الكرة فـي الشباك. لقد كان ذاك هو هدفه رقم ألف. ولم يكن أي لاعب قد سجل ألف هدف فـي تاريخ كرة القدم الاحترافية.

وعندئذ عادت الحشود إلى الوجود، وقفزت مثل طفل مجنون من السعادة، مضيئة الليل.

بيليـه

مئة أغنية تذكر اسمه. فـي السابعة عشرة من عمره كان بطل العالم وملك كرة القدم. ولم يكن قد أكمل العشرين حين اعتبرته الحكومة البرازيلية ***ثروة وطنية*** ومنعت تصديرة. كسب ثلاث بطولات عالمية مع المنتخب البرازيلي وبطولتين مع نادي سانتوس. وبعد تسجيل هدفه الألف، واصل تسجيل الأهداف. لعب أكثر من ألف وثلاثمئة مباراة، فـي ثمانين بلداً، مباراة بعد أخرى بإيقاع أشبه بالجلد، وأدخل قرابة ألف وثلائمئة هدف. وفـي إحدى

المرات أوقف حرباً: فقد توصلت نيجيريا وبيافرا إلى هدنة لمشاهدته وهو يلعب.

فرؤيته وهو يلعب تستحق هدنة وأكثر من هدنة بكثير. عندما ينطلق بيليه راكضاً، يخترق الخصوم وكأنه سكين. وعندما يتوقف يضيع الخصوم في المتاهات التي ترسمها قدماه. وحين يقفز، يعلو في الهواء كما لو أن الهواء سُلّماً. وعندما يسدد ضربة حرة يرغب الخصوم الذين يشكلون الحاجز بالوقوف بالعكس، وجوههم إلى المرمى، كي لا يضيعوا رؤية الهدف الذي سيحققه.

لقد ولد في بيت فقير، في قرية نائية، ووصل إلى ذرى السلطة والثروة، حيث يحظر على الزنوج الدخول. لم يكن يهدي خارج الملاعب لحظة من وقته إلى أحد، ولم تكن تسقط من جيبه قطعة نقد واحدة. ولكن نحن الذين حالفنا الحظ برؤيته وهو يلعب، تلقينا هدايا من جمال نادر: لحظات من تلك الجديرة بالخلود والتي تتيح لنا الإيمان بأن الخلود موجود.

مونديال 1970

في براغ يموت جيري ترنكا، المعلم في سينما العرائس المتحركة، وفي لندن يموت بيرتراند راسل، بعد قرن تقريباً من الحياة شديدة الحيوية. وفي ماناغوا يستشهد الشاعر روغاما وهو في العشرين من عمره، خلال مواجهته منفرداً لكتيبة من جيش دكتاتورية سوموزا. العالم يفقد موسيقاه: فقد تفكك فريق البيتلز، وبسبب جرعة زائدة من النجاح، وجرعة زائدة من المخدرات يموت عازف الجيتار جيمي هيندريكس والمغنية جانيس جوبلين.

إعصار يعيث خراباً في باكستان، وهزة أرضية تمحو خمس عشرة مدينة في جبال الأنديز البيروية. وفي واشنطن لم يعد هناك من يؤمن بحرب فيتنام ولكن الحرب تتواصل، ويصل عدد القتلى إلى مليون شخص حسب أرقام البينتاغون، بينما الجنرالات الأمريكيون يهربون إلى الأمام بغزوهم أراضي كمبوديا. سلفادور أليندي يبدأ حملته لرئاسة تشيلي، بعد ثلاث

هزائم سابقة، ويعد بتقديم الحليب لكل الأطفال وبتأميم النحاس. مصادر حسنة الإطلاع فـي ميامي تعلن أن سقوط فيدل كاسترو صار وشيكاً، وأنه سينهار خلال ساعات. يبدأ أول إضراب فـي تاريخ الفاتيكان، ففـي روما يقاطع موظفو الأب المقدس أيديهم على صدورهم، بينما يحرك أرجلهم فـي المكسيك لاعبو ستة عشر بلداً وتبدأ البطولة العالمية التاسعة بكرة القدم.

شارك فـي البطولة تسعة فرق أوربية، وخمسة فرق أمريكية، وإسرائيل والمغرب. فـي مباراة الافتتاح رفع الحكم البطاقة الصفراء لأول مرة. والبطاقة الصفراء هي إشارة توبيخ، أما البطاقة الحمراء فهي إشارة طرد، ولم يكن استخدام البطاقات هو التجديد الوحيد فـي مونديال مكسيكو. بل بدأت الأنظمة تسمح باستبدال اثنين من اللاعبين فـي أثناء كل شوط. ولم يكن بالإمكان حتى ذلك الحين استبدال أحد سوى حارس المرمى فـي حال إصابته، ولم يكن من الصعب تقليص عدد الفريق الخصم بالركلات.

صور من كأس 1970: صورة بيكينباور مربوط الذراع وهو يواصل اللعب حتى اللحظة الأخيرة. حماسة توستياو الذي كانت قد أجريت له عملية جراحية فـي عينه وقد صمد بثبات فـي كل المباريات. طيرانات بيليه فـي مونديالـه الأخير، فقد روى بورغنيتش، المدافع الإيطالي الذي كان يرصده: «قفزنا معاً، ولكنني حين رجعت إلى الأرض، رأيت أن بيليه ما زال يطفو فـي الأعلى».

أربعة أبطال للعالم تنافسوا فـي الدور قبل النهائي: البرازيل، إيطاليا، ألمانيا، أرغواي. وقد احتلت ألمانيا الموقع الثالث، وأرغواي الموقع الرابع. أما فـي المباراة النهائية فقد هزمت البرازيل إيطاليا 1/4. وقد علقت الصحافة الإنكليزية: «يجب حظر مثل هذا اللعب الجميل بكرة القدم». الهدف الأخير يذكر مقترناً بالقدم: فقد مرت الكرة على جميع لاعبي البرازيل، ولمسها الأحد عشر لاعباً، وقدمها بيليه أخيراً، ودون أن ينظر، جاهزة على طبق لكي يشوطها كارلوس ألبيرتو الذي كان يندفع كالإعصار.

الطوربيد مولر، من الفريق الألماني، تصدر قائمة الهدافين بتسجيل عشرة أهداف، تلاه البرازيلي جايرزينهو بسبعة أهداف.
والبرازيل التي احتفظت للمرة الثالثة بلقب البطل الذي لم يخسر أي مباراة خلال البطولة، احتفظت كذلك بكأس ريميه. وفي أواخر عام 1983 سُرق الكأس وبيع بعد أن صُهر وتحول إلى حوالى كيلوغرامين اثنين من الذهب الخالص. وهناك الآن كأس مقلد يشغل مكانه في الواجهة الزجاجية.

هدف جايرزينهو

حدث ذلك في مونديال 1970. وكانت البرازيل تواجه انكلترا.
تلقى توستايو الكرة من باولو سيزر وتقدم بها إلى حيث استطاع. ووجد أن انكلترا كلها قد انتشرت في منطقة الجزاء. حتى الملكة نفسها كانت هناك. راوغ توستايو أحدهم، ثم آخر، ثم آخر غيره، وحوّل الكرة إلى بيليه. فخنقه ثلاثة لاعبون آخرون على الفور: تظاهر بيليه بأنه سيواصل التقدم، فتلاشى الخصوم الثلاثة كأنهم الدخان، ولكنه شد مكابحه، ودار على عقبيه وترك الكرة عند قدمي جايرزينهو الذي كان قادماً نحوه. كان جايرزينهو قد تعلم الافلات من المراقبة حين كان يبحث عن لقمة عيشه في أشد أحياء ريو دي جانييرو بؤساً: فاندفع منطلقاً مثل رصاصة سوداء، وتفادى إنكليزياً، ودخلت الكرة، القذيفة البيضاء، إلى مرمى الحارس بانكس.
لقد كان هدف الفوز. وبالرغم من الدفاع المتين، تمكن الهجوم الأرجنتيني من التخلص من سبعة حراس. وانهار الحصن الفولاذي بتلك الريح الحارة الآتية من الجنوب.

الحفلة

هنالك بعض القرى والدساكر التي ليست فيها كنائس في البرازيل، ولكن لا توجد أي قرية دون ملعب لكرة القدم. ويوم

الأحد هو أكثر الأيام عملاً لأطباء القلب فـي البلاد. ففـي يوم الأحد يمكن لأي شخص هناك أن يموت من الانفعال فـي أثناء طقوس قداس الكرة. وفـي يوم أحد دون كرة قدم يمكن لأي واحد أن يموت من الملل.

عندما غرق المنتخب البرازيلي فـي مونديال 1966، كانت هناك انتحارات، وانهيارات عصبية، ورايات وطنية منكسة عند منتصف السارية، وقصاصات حريرية سوداء على الأبواب، وموكب جنائزي راقص غطى الشوارع ودفن كرة القدم الوطنية فـي تابوت ومع كل لوازم الجنازة الأخرى. وعندما فازت البرازيل بعد سنوات من ذلك ببطولة العالم للمرة الثالثة، كتب نيلسون رودريغيس يقول إن البرازيليين لم يعودوا يخشون أن يسيطر عليهم بكاء الرضع، وتحولوا جميعهم إلى ملوك يرتدون عباءات من القطيفة ويضعون تيجاناً بارزة.

وفـي مونديال عام 1970، لعبت البرازيل كرة قدم برغبة ناسها الاحتفالية ومشيئتهم الجمالية. وكانت قد فرضت فـي العالم عدم مصداقية كرة القدم الدفاعية، التي تترك كل الفريق فـي المؤخرة، ليُحكم القفل، وتترك لاعباً أو اثنين فـي المقدمة ليلعبا منفردين؛ فقد صارت العفوية الإبداعية محظورة. فكانت البرازيل فـي تلك السنة حدثاً مذهلاً: لقد قدمت فريقاً مندفعاً إلى الهجوم، فريقاً يلعب بأربعة مهاجمين، هم جايرزينهو، وتوستايو، وبيليه، وريفيلينو، وقد يصبحون خمسة أحياناً، بل ستة أيضاً عندما يأتي جيرسون وكارلوس ألبيرتو من المؤخرة. وفـي المباراة النهائية سحقت هذه المحدلة إيطاليا.

بعد ربع قرن من ذلك، صارت تلك الجرأة تعتبر انتحاراً. ففـي مونديال 1994، فازت البرازيل بمباراة نهائية أخرى ضد إيطاليا. ولكنها كسبت فـي الدفاع بضربات الجزاء الترجيحية، بعد مئة وعشرين دقيقة دون أهداف. ولولا ضربات الجزاء تلك، لبقي مرمى البرازيل نظيفاً إلى الأبد.

الجنـرالات وكـرة القـدم

فـي أوج كرنفال الفوز بمونديال 1970، أهدى الجنرال ميديشي، دكتاتور البرازيل، نقوداً إلى اللاعبين، ووقف أمام المصورين وهو يحمل الكأس بين يديه، ومضى أبعد من ذلك حين ضرب كرة برأسه أمام الكاميرات. ومارش ***إلى الأمام أيتها البرازيل*** الذي وضعت ألحانه خصيصاً من أجل المنتخب، تحول إلى الموسيقى الرسمية للحكومة، بينما كانت صورة بيليه وهو يطير فوق العشب ترافق فـي التلفزيون الإعلانات التي تهتف: ***لم يعد بإمكان أحد وقف البرازيل***. وعندما فازت الأرجنتين فـي مونديال 1978، استخدم الجنرال فيديلا صورة كيمبيس المندفع كإعصار لأهداف مماثلة تماماً.

كرة القدم هي الوطن، والسلطة هي كرة القدم: ***أنا الوطن***، هكذا كانت تقول تلك الدكتاتوريات العسكرية.

وفـي أثناء ذلك، كان الجنرال بينوشيت، الآمر الأعلى فـي تشيلي، يعيين نفسه رئيساً لنادي كولو-كولو، أوسع أندية البلاد شعبية، أما الجنرال غارسيا ميزا الذي استولى على بوليفيا، فقد صار رئيساً لنادي ويلستيرمان، وهو ناد له جمهور واسع ومتحمس.

كرة القدم هي الشعب، والسلطة هي كرة القدم: ***أنا الشعب***، هكذا كانت تقول تلك الدكتاتوريات العسكرية.

رمشـة عـين

إدواردو اندريس ماغليوني، مهاجم نادي انديبنديتي الأرجنتيني احتل موقعاً فـي كتاب غينيس للأرقام القياسية العالمية. فهو اللاعب الذي حقق أكبر عدد من الأهداف فـي أقصر وقت.

فـي عام 1979، وعند بدء الشوط الثاني من مباراة انديبنديتي مع إيغريما دي لابلاتا، سجل ماغليوني ثلاثة أهداف ضد حارس المرمى غوروثياغا خلال دقيقة واحدة وخمسين ثانية.

هـدف مـارادونـا

حدث ذلك فـي عام 1973. فـي أثناء اختبار لفريقي الأطفال فـي ناديي أرجنتينوس جينيور وريفر بلات فـي بوينس أيرس.

تلقى الرقم 10 فـي أرجنتينوس الكرة من حارس مرماه، فراوغ هجوم وسط ريفر بلات وانطلق يعدو. خرج عدد من اللاعبين لمواجهته: فمرر الكرة من وراء أحدهم، ومن بين ساقي آخر، وخدع ثالث بضرب الكرة بكعبه. وبعد ذلك، ودون أن يتوقف، شل لاعبي الدفاع وترك حارس المرمى مطروحاً على الأرض ودخل ماشياً مع الكرة إلى مرمى الخصم. لقد خلّف وراءه فـي الملعب سبعة أطفال مقليين وأربعة لا يستطيعون إطباق أفواههم.

فريق الصغار ذاك، ***الأبصال الصغيرة***، كان قد لعب مئة مباراة دون أن يخسر أي واحدة منها وكان يلفت أنظار الصحفيين. وقد صرح أحد لاعبي الفريق، ويدعى ***السّمّ***، وعمره ثلاث عشرة سنة:

ـ نحن نلعب من أجل المتعة. لن نلعب من أجل المال مطلقاً. فعندما يدخل المال فـي الموضوع، يقتتل الجميع من أجل أن يصبحوا نجوماً، وعندئذ يأتي الحسد والأنانية.

تكلم وهو يعانق اللاعب المحبوب من الجميع، وهو أشدهم مرحاً وأقصرهم قامة: إنه دييغو آرماندو مارادونا. وكان عمره اثنتي عشرة سنة، وهو الذي أدخل ذلك الهدف غير المعقول.

كان من عادة مارادونا إخراج لسانه حين يكون فـي أوج الإرسال. لقد سجل كل أهدافه ولسانه خارج فمه. وكان ينام فـي الليل وهو يحتضن الكرة وفـي النهار يصنع العجائب بها. وكان يعيش فـي بيت فقير، فـي حي فقير، ويرغب فـي أن يصبح فنياً صناعياً.

مـونـديـال 1974

الرئيس نيكسون كان محاصراً عند الحبال، وركبتاه ترتعشان، ومضروباً دون هوادة بسبب فضيحة التجسس في مبنى ووترغيت، بينما كان مسبار فضائي ينطلق نحو المشتري، وقُضي في واشنطن بتبرئة ملازم الجيش الذي قتل مئة مدني فيتنامي، ذلك أنهم كانوا في نهاية المطاف مجرد مئة، ومدنيين، وفيتناميين.

يموت الروائيان ميغل آنخل أستورياس وبار لاكجيرفيست، والرسام دافيد ألفريدو سيكيروس. ويحتضر الجنرال بيرون الذي أثر بعمق في تاريخ الأرجنتين. ويموت دوك ايليتغتون، ملك الجاز. وتقع ابنة ملك الصحافة باتريشيا هارست في حب خاطفيها، وتشهر بأبيها وتنعته بأنه خنزير برجوازي، وتبدأ السطو على البنوك. مصادر حسنة الإطلاع في ميامي تعلن أن سقوط فيدل كاسترو صار وشيكاً، وان انهياره مسألة ساعات.

في اليونان تسقط الدكتاتورية، وتسقط الدكتاتورية كذلك في البرتغال، حيث تنطلق ثورة القرنفل على إيقاع أغنية ***غرانولا، سمراء جميلة***. دكتاتورية أغوسطو بينوشيت تترسخ في تشيلي، وفي اسبانيا يجري إدخال فرانثيسكو فرانكو إلى مستشفى فرانثيسكو فرانكو، مريضاً بداء السلطة وتراكم السنين.

الإيطاليون يصوتون في استفتاء تاريخي لإقرار الطلاق الذي بدا لهم أفضل من الخنجر والسمّ ومن الأساليب الأخرى التي تنصح بها التقاليد لحل الخلافات الزوجية. وفي تصويت آخر لا يقل تاريخية، يختار مسؤولو كرة القدم الدولية جو هافيلانج رئيساً للفيفا، وبينما كان هافيلانج يزيح في سويسرا ستانلي روس الشهير، بدأت في ألمانيا البطولية الدولية العاشرة بكرة القدم.

تم تدشين كأس جديد. وكان أقبح من كأس جول ريميه، ولكنه كان موضع منافسة بين تسعة فرق أوربية، وخمسة أمريكية إضافة إلى استراليا وزائير. وكان الاتحاد السوفييتي قد خرج في المرحلة السابقة. فخلال مباريات التصفية من أجل المونديال، رفض السوفييت أن يلعبوا في الاستاد الوطني في تشيلي، لأنه كان قد حُوّل قبل قليل من ذلك إلى معسكر اعتقال

ومنصة إعدامات رمياً بالرصاص. عندئذ خاض المنتخب التشيلي، فـي ذلك الاستاد، المباراة الأكثر إثارة للأسى فـي تاريخ كرة القدم: فقد لعب ضد لا أحد، وأدخل فـي المرمى الخاوي عدة أهداف كانت تقابل بالتصفيق من الجمهور. وبعد ذلك، لم تربح تشيلي فـي المونديال أية مباراة.

مفاجأة: اللاعبون الهولنديون سافروا إلى ألمانيا برفقة زوجاتهم أو خطيباتهم أو صديقاتهم، وأقاموا معهن. كانت تلك هي المرة الأولى التي يحدث فيها مثل ذلك. ومفاجأة أكبر: كانت أقدام الهولنديين مجنحة، وقد وصلوا إلى المباراة النهائية دون أن يخسروا أية مباراة، مع أربعة عشر هدفاً لصالحهم وهدف واحد ضدهم، وقد أدخله أحدهم فـي مرماهم بسوء حظ محض. كان مونديال 1974 يدور حول ***البرتقالة الآلية***، الاختراع الصاعق الذي أبدعه كرويف ونيسكينس ورينسنبرينك وكرول وغيرهم من اللاعبين الذين يقودهم المدير الفني رينوس ميشيل.

فـي بداية المباراة النهائية تبادل كرويف الأعلام مع بيكينباور. وحدثت المفاجأة الثالثة: ***القيصر*** وجماعته ألقوا ماء بارداً على الحفلة الهولندية. فماير الذي كان يقطع كل لعبة، ومولر الذي كان يُدخل كل لعبة، وبريتين الذي كان يحل كل مشكلة، تولوا إلقاء دلاء من الماء البارد على الفريق المفضل، وعلى العكس من كل النبوءات فاز الألمان 1/2. لقد تكررت بذلك قصة عام 1954 فـي سويسرا، عندما فازت ألمانيا على الفريق الهنغاري الظافر.

بعد ألمانيا الاتحادية وهولندا، جاءت بولونيا. والمركز الرابع احتلته البرازيل التي لم تستطع أن تكون مثلما كانت من قبل. وكان اللاعب البولوني لاتو هو هدّاف الكأس، بتسجيله سبعة أهداف، تلاه بولوني آخر هو شارماش والهولندي نيسكينس، بخمسة أهداف لكل منهما.

كرويف

كانوا يطلقون على المنتخب الهولندي اسم ***البرتقالة الآلية***،

ولم يكن هناك أي شيء آلي في ذلك العمل التخيلي الذي أربك الجميع بتبديل المواقع الدائم. ومثل *آلة* نادي ريفر، الاسم الافترائي ذاته، كانت تلك النار البرتقالية تذهب وتجيء، تدفعها رياح حكيمة: فالجميع يهاجمون والجميع يدافعون، ينتشرون ويجتمعون بصورة دوارية على شكل مروحة، فيفقد الخصم الأثر أمام فريقٍ كل واحد فيه هو أحد عشر لاعباً.

لقد أطلق صحفي برازيلي على ذلك اللعب اسم ***الفوضى المنظمة***. وقد كان لدى هولندا موسيقى، ومن كان يقود لحن الأنغام الفورية متفادياً الصخب والنشاز هو جوهان كرويف. قائد الاوركسترا والعازف فيها، وكان كرويف يعمل أكثر من أي شخص آخر.

لقد دخل هذا الكهربائي النحيل إلى نادي آجاكس حين كان طفلاً: بينما كانت أمه تخدم في كافيتيريا النادي، كان هو يلتقط الكرات التي تذهب خارجاً، وينظف أحذية اللاعبين، ويغرس الأعلام في زوايا الملعب، ويعمل كل ما يطلبونه منه ولا يعمل شيئاً مما يأمرونه به. كان يرغب في أن يلعب، ولم يسمحوا له بسبب جسده الضعيف جداً وطبعه الحاد جداً. وعندما سمحوا له، بقي. وحين كان فتى مبتدئاً في المنتخب الهولندي لعب بصورة رائعة، سجل هدفاً وأوقع الحارس مغمياً عليه بلكمة.

وبقي فيما بعد مندفعاً، ساخناً، شغيلاً، وموهوباً. وعلى امتداد عقدين من الزمان كسب اثنتين وعشرين بطولة، في هولندا وفي اسبانيا. اعتزل وهو في السابعة والثلاثين، بعد أن سجل هدفه الأخير، وحملته الحشود يومئذ على محفة من الاستاد حتى بيته.

مــولــر

قال له المدير الفني لنادي TSV ميونخ:

- لن تصل بعيداً في لعب كرة القدم. من الأفضل لك أن تتوجه إلى عمل آخر.

بعد إحدى عشرة سنة من ذلك، في عام 1974، تحول هذا

اللاعب ذو ضربات الكعب والمشط إلى بطل العالم. ليس هناك من سجل أهدافاً أكثر منه فـي تاريخ الدوري الألماني وتاريخ المنتخب الوطني.

لم يكن ذلك الذئب الشرس يظهر فـي الملعب. كان يتنكر بزي الجدة العجوز، مخبئاً أنيابه ومخالبه، وكان يوجه تمريرات بريئة ويقدم أعمال إحسان أخرى. وفـي أثناء ذلك، ودون أن ينتبه أحد، ينزلق نحو منطقة الجزاء. وأمام المرمى المفتوح يلعق شفتيه: فالشبكة هي طرحة عروس لا يمكن مقاومتها. وعندئذ ينزع قناع التنكر، ويعض بأنيابه.

هـافيـلانـج

فـي عام 1974، وبعد تسلق طويل، احتل جان ماريه فاوستين دي غوديفرويد هافيلانج قمة الفيفا. وأعلن:

ـ لقد جئت لأبيع سلعة اسمها كرة القدم.

منذ ذلك الحين يمارس هافيلانج السلطة المطلقة على كرة القدم العالمية. بجسده الملتصق بالعرش، ومحاطاً ببطانة من التكنوقراطيين النهمين، يحكم هافيلانج من قصره فـي زيوريخ. إنه يحكم بلداناً أكثر من الأمم المتحدة، ويسافر أكثر من البابا ولديه من الأوسمة أكثر مما لدى أي بطل حربي.

ولد هافيلانج فـي البرازيل، وهو يملك هناك شركة ***كوميتا***، أهم شركة نقل فـي البلاد، وأعمالاً تجارية أخرى فـي المضاربات المالية وبيع الأسلحة والتأمين على الحياة. ولكن آراءه قليلة البرازيلية. لقد سأله صحفـي إنكليزي من صحيفة التايمز اللندنية:

ـ ما هو أكثر ما يروقك فـي كرة القدم؟ أهو المجد؟ أم الجمال؟ أم الفوز؟ أم الشعر؟

فأجابه:

ـ الانضباط.

هذا الملك العجوز بدّل جغرافية كرة القدم وحوّلها إلى أكثر التجارات العالمية ازدهاراً. فتحت رئاسته تضاعف عدد البلدان

المشاركة فـي بطولات العالم: كان العدد ستة عشر بلداً فـي عام 1974، وسيصبح اثنين وثلاثين فـي عام 1998. ومن خلال ما يمكن استشفافه من ضباب الميزانيات، فإن الأرباح التي تدرها هذه البطولات قد تضاعفت بصورة عجيبة تضاهي أعجوبة تكثير ذلك الخبز والسمك الإنجيلي، بل إن المقارنة تبدو مضحكة.

المشاركون الجدد فـي كرة القدم العالمية من بلدان أفريقيا والشرق الأوسط وآسيا يقدمون قاعدة دعم واسعة لهافيلانج، ولكن سلطته تتغذى بصورة خاصة، من المشاركة مع بعض الشركات العملاقة، مثل كوكا كولا وآديداس. وقد كان هافيلانج هو الذي تمكن من جعل شركة آديداس تمول ترشيح صديقه خوان أنطونيو سامارانش لرئاسة اللجنة الأولمبية الدولية. وسامارانش الذي عرف كيف يكون رجل القميص الأزرق والراحة المرفوعة[1] خلال دكتاتورية فرانكو، صار منذ عام 1980 ملكاً آخر من ملوك الرياضة العالمية. وكلاهما يتحكمان بمبالغ هائلة من الأموال. كم هي؟ لا أحد يعرف. وهما خجولان جداً فـي هذا الشأن.

أسـياد الكـرة

أن الفيفا التي تملك عرشاً وبلاطاً في زيوريخ، واللجنة الأولمبية الدولية التي تحكم فـي لوزان، ومؤسسة الاعلان ISL ماركتنغ التي تنسج لهما تجارتهما من لوسرن، تتحكم ببطولات كرة القدم العالمية والدورات الأولمبية. وكما هو واضح فإن مقر المنظمات المقتدرة الثلاث هو سويسرا، البلاد التي اشتهرت بدقة تصويب ويلم تل، وبدقة ساعاتها وبورعها الديني فـي الحفاظ على الأسرار المصرفية. وبالصدفة وحدها تشعر المنظمات الثلاث بحياء استثنائي فـي كل ما يتعلق بالمال الذي تتداوله

[1] القميص الأزرق هو أحد رموز حزب الفالانج (الكتائب) الفاشي في اسبانيا فرانكو، والراحة المرفوعة هي التحية الفاشية المعروفة.

وبالمال الذي يبقى بين يديها.
تملك ISL ماركتينغ حتى نهاية القرن على الأقل الحق الحصري ببيع الإعلانات في الاستادات، والأفلام وأشرطة الفيديو، وشارات وأعلام وتمائم المنافسات الدولية. وهذه التجارة تتبع لورثة أدولف داسلير، مؤسس شركة آديداس، شقيق وعدو مؤسس شركة بوما المنافسة. وعندما منح هافيلانج وسامارانش هذا الامتياز لعائلة داسلير كانا يمارسان الواجب النبيل برد الجميل. فشركة آديداس، أضخم منتج للأدوات الرياضية في العالم، كانت قد ساهمت بسخاء في تشييد سلطتيهما. في عام 1990 باع آل داسلير شركة آديداس إلى رجل الأعمال الفرنسي برنار تابيه، ولكنهم احتفظوا بـ ISL، التي ما زالت الأسرة تديرها بالمشاركة مع وكالة دينتسو اليابانية للإعلان.
إن السلطة على كرة القدم العالمية ليست مجرد تبجح طاووسي. ففي أواخر عام 1994، وأثناء الحديث في نيويورك أمام جماعة من رجال الأعمال، اعترف هافيلانج ببعض الأرقام، وهو أمر نادر بالنسبة إليه:
- يمكنني أن أؤكد أن الحركة المالية لكرة القدم في العالم تصل إلى مبلغ 225 ألف مليون دولار.
وتباهي بمقارنة هذه الثروة بملبلغ الـ 136 ألف مليون دولار الذي حققته في عام 1993 شركة جنرال موتورز، وهي التي تتصدر قائمة أكبر الشركات متعددة الجنسيات.
وفي ذلك الخطاب نفسه، نبه هافيلانج إلى أن «كرة القدم هي سلعة تجارية يجب تسويقها بأكبر حكمة ممكنة»، وذكّر بقانون الحكمة الأول في العالم المعاصر:
- يجب توخي الحذر الشديد بشأن التعامل بالحزمة.
فبيع حقوق البث التلفزيوني هي الطبقة الأكثر مردوداً ضمن منجم البطولات الرياضية العالمية العجيب، والفيفا واللجنة الأولمبية الدولية تتلقيان حصة الأسد مما تدفعه الشاشة الصغيرة. وقد تضاعفت الأموال بصورة استعراضية منذ بدأ التلفزيون بنقل البطولات العالمية في بث مباشر إلى جميع البلدان. فدورة برشلونة الأولمبية تلقت من التلفزيون في عام 1993، مبلغاً أكبر

بستمئة وثلاثين مرة من المبلغ الذي تلقته دورة أولمبياد روما عام 1960، حين اقتصر البث على النطاق الوطني الإيطالي فقط.

وعندما يراد حسم مسألة اختيار الشركات التي ستظهر دعاياتها فـي كل بطولة، يكون الأمر واضحاً تماماً لدى هافيلانج وسامارانش وآل داسلير: يجب اختيار الشركات التي تدفع أكثر. فالآلة التي تحوّل كل عاطفة إلى أموال لا يمكنها أن تهتم بتشجيع المنتجات الأكثر صحية وفائدة للحياة الرياضية؛ بل تضع نفسها على الدوام بنعومة ورقة فـي خدمة من يدفع أكثر، فهي لا تهتم إلا بما إذا كانت ماستركارد ستدفع أفضل من فيزا، وإذا ما كانت فوجي فيلم تضع على الطاولة نقوداً أكثر من كوداك. أما كوكاكولا فتحافظ دوماً على الإكسير الذي لا يمكن أن يخلو منه جسد أي رياضي، وهي تبقى على رأس قائمة المعلنين على الدوام. ففضائلها المليونيرية تضعها فوق أي جدال.

فـي كرة قدم نهاية القرن هذه، المرتبطة بالسوق والممولين، ليست هناك أي مفاجأة فـي أن تكون أهم الأندية الأوربية شركات تنتمي إلى شركات أخرى. فنادي جوفينتوس تورينو هو جزء، مثل شركة فيات، من مجموعة آجنيللي. ونادي ميلان هو واحد من ثلاثمئة شركة تشكل مجموعة بيرلوسكوني. ونادي بارما يتبع لشركة بارمالتا. ونادي سامبدوريا هو جزء من مجموعة مانتوفاني البترولية. ونادي فيورينتينا يتبع للمنتج السينمائي شيكي غوري. ونادي أوليمبيك مارسليا وصل إلى صدارة كرة القدم الأوربية عندما تحول إلى شركة من شركات بيرنار تابيه، إلى أن أطاحت فضيحة رشوات برجل الأعمال الناجح. ونادي باريس سان جيرمان يتبع لقناة بلوس التلفزيونية. وشركة بيجو التي تمول نادي سوشو، هي مالكة استاده أيضاً. وشركة فيليبس تملك نادي PSV ايندهوفين الهولندي. ويُطلق اسم باير على ناديي الفئة الأولى الألمانيين اللذين تمولهما شركة باير نفسها، وهما: باير ليفيركوزين وباير اوردينغين. ومخترع وصاحب كمبيوترات آستراد هو مالك نادي توتينهام هوتسبير البريطاني أيضاً، وهو ناد يجري تداول أسهمه فـي البورصة. أما نادي بلاكبرن ريفر فينتمي إلى مجموعة ووكر. وفـي اليابان، حيث

كرة القدم الاحترافية حديثة العهد، أسست الشركات الكبرى أندية وتعاقدت مع نجوم عالميين انطلاقاً من قناعتها بأن كرة القدم هي لغة عالمية يمكنها أن تساهم في ترويج منتجاتها في العالم بأسره. فشركة الإلكترونيات فوروكازا أسست نادي جيف يونايتد ايتشيهارا وتعاقدت مع النجم الألماني بيتر ليتبارسكي واللاعبين التشيكيين فلانتشك وبافيل. وأنجبت شركة تويوتا نادي ناغويا غرامبوس الذي ضم إلى صفوفه الهداف الإنكليزي غاري لينكر. أما اللاعب المخضرم واللامع أبداً زيكو فيلعب مع نادي كاشيما الذي ينتمي إلى مجموعة سوميتومو الصناعية والمالية. وشركات مازدا، وميتسوبيشي، ونيسان، وباناسونيك، والخطوط الجوية اليابانية، تملك أنديتها الخاصة بكرة القدم.

يمكن للنادي أن يخسر نقوداً، ولكن هذا التفصيل لا قيمة له إذا ما كان النادي يعكس صورة جيدة للمجموعة الاقتصادية التي تحتضنه. ولهذا فإن امتلاك الأندية ليس سريا: فكرة القدم تخدم الدعاية للشركات، وليس هناك في العالم وسيلة أوسع شعبية من أجل العلاقات العامة. فعندما اشترى سيلفيو بيرلوسكوني نادي ميلان الذي كان يعاني الإفلاس، بدأ حقبة جديدة بانطلاقة إعلانية واسعة. وفي مساء أحد أيام 1987، نزل لاعبو ميلان الأحد عشر ببطء من طائرة هليوكوبتر وسط الاستاد، بينما كانت مكبرات الصوت تبث موسيقى فارسات والكيريا لفاغنر. أما بيرنار تابيه، وهو متخصص آخر في بطولته، فقد اعتاد الاحتفال بانتصارات نادي أوليمبك في احتفالات ضخمة، تتلألأ بالألعاب النارية وأشعة الليزر، وتشارك فيها أفضل فرق موسيقى الروك.

إن كرة القدم، مصدر الهوى الشعبي، تولّد الشهرة والسلطة. وبعض الفرق التي تتمتع بشيء من الاستقلال الذاتي، ولا تتبع مباشرة لشركات أخرى، توجّه عادة من قبل رجال أعمال مغمورين أو سياسيين من الدرجة الثانية يستخدمون كرة القدم كمنجنيق دعائي للوصول إلى الصدارة في الإعلان. وهناك أيضاً حالات نادرة معكوسة: رجال يضعون أموالهم التي كسبوها بجدارة في خدمة كرة القدم، مثل المغني الإنكليزي ألتون جون الذي ترأس نادي واتفورد، نادي حبه وهواه؛ أو المخرج

السينمائي فرانثيسكو لومباردي الذي يترأس نادي سبورتنغ كريستال فـي البيرو.

خيســوس

فـي منتصف عام 1969 أفتتحت صالة حفلات كبرى لإقامة الأعراس وحفلات التعميد والمؤتمرات، فـي جبال غوادراما الاسبانية. وفـي أوج مأدبة الافتتاح، غارت الأرض، وانهار السقف ودفن المدعوون تحت الأنقاض. ومات اثنان وخمسون شخصاً. لقد شيّد المحل بمساعدة مالية من الدولة، ولكن دون تصريح رسمي، ودون مخطط مسجل، ودون مهندس مسؤول.

من بنى ذلك المبنى المشؤوم، ويدعى خيسوس خيل آي خيل، اعتقل وسجن. وأمضى وراء القضبان سنتين وثلاثة أشهر، أو بمعدل خمسة عشر يوماً عن كل ميت، إلى أن أحاطه كرم فرانكو بالعفو. وما إن خرج من السجن، حتى رجع خيسوس إلى صفقاته وواصل خدمة الوطن فـي مجال البناء والإعمار.

بعد فترة من ذلك، تحول رجل الأعمال هذا إلى صاحب نادٍ لكرة القدم، الآتلاتيكو مدريد. وبفضل كرة القدم التي حولته إلى شخصية تلفزيونية ومنحته الشعبية، تمكن خيسوس من شق طريقه السياسي. وفـي عام 1991، جرى انتخابه عمدة لمدينة ماربييا، بأعلى نسبة تصويت فـي اسبانيا كلها. وقد تعهد فـي حملته الانتخابية بأن ينظف المدينة من المتشردين والسكارى ومدمني المخدرات، لأنها مركز سياحي مكرس للتبذير الصحي الذي يمارسه بعض الشيوخ العرب ورجال المافيا العالمية المتخصصون فـي تجارة الأسلحة والمخدرات.

ومازال نادي آتلاتيكو مدريد هو ركيزة سلطته وشهرته، بالرغم من أن الفريق يخسر أكثر فأكثر. والمديرون الفنيون للفريق لا يستمرون لأكثر من أسبوعين. ذلك أن خيسوس خيل آي خيل يستشير فـي هذا الأمر امبريوسو، وهو جواده الأبيض وشديد الخصوبة:

ـ لقد خسرنا يا امبريوسو.

ـ أعرف ذلك يا خيل.
ـ ومن هو المذنب؟
ـ لا أعرف يا خيل.
ـ بل أنت تعرف يا امبريوسو. المذنب هو المدير الفني.
ـ اطرده إذن.

مونديال 1978

في ألمانيا تموت «خنفساء» فولكسفاغن الشعبية، وفي إنكلترا يولد أول طفل أنابيب، وفي إيطاليا يصبح الإجهاض مشروعاً. يموت أول ضحايا داء الإيدز، وهو اللعنه التي ما زالت معروفة بهذا الاسم. منظمة الألوية الحمراء تغتال ألدو مورو، والولايات المتحدة تتعهد بأن تعيد إلى بنما القناة المغتصبة منذ بدايات القرن. مصادر حسنة الإطلاع في ميامي تعلن أن سقوط فيدل كاسترو صار وشيكاً، وأن انهياره هو مسألة ساعات. وفي نيكاراغوا تميد الأرض تحت أقدام سلالة آل سوموزا، وفي إيران تهتز سلالة الشاه، وعسكريو غواتيمالا يمطرون بوابل من رصاص الرشاشات حشوداً فلاحية في قرية بانزوس. وتبدأ دوميتيلا باربوس وأربع نساء آخريات من مناجم القصدير، إضراباً عن الطعام احتجاجاً على الدكتاتورية العسكرية في بوليفيا، وسرعان ما تعلن بوليفيا بأسرها الإضراب عن الطعام، فتسقط الدكتاتورية. أما الدكتاتورية العسكرية في الأرجنتين بالمقابل، فكانت بصحة جيدة، ولكي تؤكد ذلك نظمت البطولة العالمية الحادية عشرة بكرة القدم.

شاركت في البطولة عشرة بلدان أوربية وأربعة بلدان أمريكية، وإيران وتونس. وبعث بابا روما مباركته. وعلى إيقاع مارش عسكري قام الجنرال فيديلا بتقليد هافيلانج وساماً في حفل الافتتاح في استاد مونومينتال في بوينس آيرس. وعلى بعد خطوات من هناك، كان يوجد أوشفيتز الأرجنتين، مركز التعذيب والإبادة في المدرسة العسكرية الآلية. وعلى بُعد كيلومترات أخرى، كانت الطائرات تلقي بالمعتقلين أحياء إلى

البحر.

«يمكن للعالم أخيراً أن يرى الصورة الحقيقية للأرجنتين»، قال ذلك رئيس الفيفا محتفلاً أمام كاميرات التلفزيون. وأعلن المدعو الخاص هنري كيسنجر:

- لهذه البلاد مستقبل عظيم على كل المستويات.

وكابتن الفريق الألماني بيري فوغتس الذي وجه ركلة الافتتاح، صرح بعد أيام من ذلك:

- الأرجنتين بلاد يسودها النظام. وأنا لم أر أي معتقل سياسي.

فاز أصحاب البيت ببعض المباريات، ولكنهم خسروا أمام إيطاليا، وتعادلوا مع البرازيل. ولكي يصلوا إلى مباراة النهاية ضد هولندا، كان عليهم أن يُغرقوا البيرو تحت وابل من الأهداف. وحصلت الأرجنتين بذلك على نتيجة أكبر مما تحتاجه للتأهل، ولكن كثرة الأهداف (6/صفر) ملأت خبيثي النوايا بالشكوك، وملأت بالشكوك طيبي النوايا أيضاً. وقد رُجم اللاعبون البيروويين بالحجارة لدى عودتهم إلى ليما.

المباراة النهائية بين الأرجنتين وهولندا حُسمت بالتمديد. وكسب الأرجنتينيون 1/3، وقد كان ذلك الفوز ممكناً إلى حد ما بفضل وطنية قائم المرمى الذي أنقذ المرمى الأرجنتيني من هدف في اللحظة الأخيرة من الوقت النظامي. وذلك القائم الذي صد رمية وجهها رينسنبرينك لم ينل أي تكريم عسكري، بسبب نكران الجميل البشري. ومع ذلك، فقد كانت أهداف ماريو كيمبيس أشد حسماً من القائم، وكيمبيس هو حصان مندفع تألق بناصية شعره المتطايرة مع الريح وهو يعدو على العشب المغطى بثلج من قصاصات ورقية.

وعند توزيع الجوائز، رفض اللاعبون الهولنديون مصافحة قادة الدكتاتورية الأرجنتينية. وقد احتلت البرازيل الموقع الثالث، وكان الموقع الرابع من نصيب إيطاليا.

كان كيمبيس هو أفضل لاعبي البطولة، وهدّافها أيضاً بتسجيله ستة أهداف. وتلاه البيروي كوبيلاس والهولندي رينسنبرينك، بخمسة أهداف لكل منهما.

خمسة آلاف صحفـي من كل أنحاء العالم، ومركز فخم للصحافة والتلفزيون، واستاد لا تشوبه شائبة، ومطارات جديدة: إنه نموذج فـي الكفاءة. وقد اعترف الصحفـيون الألمان الأكبر سناً بأن مونديال 1978 ذكّرهم بدورة عام 1936 الأولمبية التي أقامها هتلر بكل أبهة فـي برلين.

الميزانيات كانت سراً من أسرار الدولة. لقد أُنفقت وهدرت ملايين وملايين الدولارات، لا أحد يدري مقدارها، ولم يُعرف ذلك أبداً، من أجل أن تذاع فـي أربعة أركان الأرض ابتسامات بلد سعيد تحت الوصاية العسكرية. وفـي أثناء ذلك، كان القادة الكبار الذين ينظمون المونديال يواصلون، بالحرب أو بالشكوك، تطبيق خطتهم فـي التصفية. وكانوا يسمونها ***الحل النهائي***، وذلك باغتيال آلاف مؤلفة من الأرجنتينيين دون أن يخلفوا لهم أثراً. لا أحد يعرف عدد القتلى، ولم يعرف ذلك العدد مطلقاً: فكل من حاول التقصي، كانت تبتلعه الحرب. وكان الفضول، مثله مثل الاختلاف أو الشك، هو دليل دامغ على التمرد. رئيس الجمعية الريفية الأرجنتينية سيليدونيو بيريدا أعلن أنه بفضل كرة القدم «سيتم القضاء على الافتراءات التي ينشرها الأرجنتينيون العاقون فـي وسائل الإعلام فـي الغرب، مستخدمين فـي ذلك منتجات هجماتهم وعمليات الاختطاف التي يمارسونها». لم يكن بالإمكان انتقاد اللاعبين أو المدير الفني. لقد تعرض الفريق الأرجنتيني لبعض الزلات خلال البطولة، ولكن التصفيق له كان إجبارياً من قبل المعلقين المحليين.

ومن أجل تجميل صورتها عالمياً، دفعت الدكتاتورية نصف مليون دولار إلى شركة أمريكية متخصصة. وقد كان عنوان تقرير خبراء شركة بارسون-ماستيللر: ***ما يصح على المنتجات، يصح أيضاً على البلدان***. وفـي مقابلة معه أوضح رجل المونديال القوي الأميرال كارلوس ألبيرتو لاكوستي:

- إذا ما ذهبتُ إلى أوربا أو الولايات المتحدة، ما هو الشيء

الذي سيسبب لي أكبر قدر من الإعجاب؟ المشاريع الضخمة، المطارات الضخمة، السيارات الفاخرة، والمحلات الفخمة...

هذا الأميرال البارع في تبخير الدولارات وفي صنع ثروات مفاجئة، استولى على المونديال بعد الاغتيال الغامض لعسكري آخر كان مكلفاً بمهمة الإشراف على المونديال. لقد تصرف لاكوستي دون أي رقابة بمبالغ هائلة من النقود، ويبدو أنه كان يغض نظره عن بعض «الفراطة». حتى أن وزير أشغال الحكومة الدكتاتورية خوان آليمان، تساءل عن مغزى ذلك التبذير للأموال العامة ووجّه بعض الأسئلة غير المناسبة. فكان من عادة الأميرال أن يحذر:

- يجب ألا تتذمروا بعد ذلك إذا ما وضعوا لكم قنبلة...

وقد انفجرت قنبلة في بيت الوزير آليمان، في اللحظة التي كان فيها الأرجنتينيون يصرخون محيين الهدف الرابع في المباراة ضد البيرو بالضبط.

ومع انتهاء المونديال، واعترافاً بتفانيه، تم تعيين الأميرال لاكوستي نائباً لرئيس الفيفا.

هدف غيميل

حدث ذلك في مونديال 1978. وكانت هولندا التي تتقدم بصورة جيدة تلعب ضد اسكتلندا التي تسوء أمورها.

تلقى اللاعب الاسكتلندي آرشيبالد غيميل الكرة من مواطنه هارتفورد وكان من اللياقة بحث دعا الهولنديين إلى الرقص على إيقاع مزمار قربة واحدة.

وكان الهولندي ويلدشوت هو أول من سقط دائخاً عند قدمي غيميل. ثم تجاوز بعد ذلك سوربيير الذي بقي يترنح. أما بالنسبة إلى كرول فكان الوضع أسوأ: فقد مرر غيميل الكرة من بين ساقيه. وعندما ألقى حارس المرمى جونغبلود بنفسه عليه، ألبسه الاسكتلندي الكرة كقبعة.

هـدف بيتيغـا

كان ذلك فـي مونديال 1978. وكانت إيطاليا قد هزمت البلد المضيف 1/صفر.

رسمت لعبة الهدف الإيطالي مثلثاً تاماً فـي الملعب، وقد بقي الدفاع الأرجنتيني ضمن ذلك المثلث أشد ضياعاً من أعمى وسط تبادل إطلاق نار. أرسل أنطوغونوني الكرة إلى بيتيغا، فقذفها بدوره نحو روسي الذي كان مديراً ظهره، فأعادها روسي بكعبه بينما كان بيتيغا قد توغل إلى منطقة الجزاء. ثم تجاوز بيتيغا لاعبين أرجنتينيين وسدد بقدمه اليسرى نحو حارس المرمى فيلول.

ومع أن أحداً لم يعرف ذلك، إلا أن المنتخب الإيطالي كان قد بدأ عندئذ بكسب المونديال الذي سيجري بعد أربع سنوات.

هـدف سـانـدرلانـد

حدث ذلك فـي عام 1979. فـي استاد ويمبلي، وكان فريقا ارسينال ومانشستر يونايتد يتنافسان فـي نهائي الكأس الإنكليزي.

لقد كانت مباراة جميلة، ولكن لم يكن هناك ما يشير إلى أنها ستتحول إلى المباراة النهائية الأشد كهربة منذ عام 1871، أي منذ بدء تاريخ الكأس الإنكليزية. كان الارسينال يفوز 2/صفر، ولم يكن قد بقي سوى وقت قليل لانتهاء اللعب. لقد كانت المباراة بحكم المنتهية، وكان الناس قد بدؤوا بمغادرة الملعب. وفجأة انهال وابل من الأهداف. ***ثلاثة أهداف فـي دقيقتين***: تسديدة صائبة من ماكوين تلاها توغل جميل من مكللوري الذي تجاوز اثنين من المدافعين ثم حارس المرمى، فتوصل الفريق بذلك إلى التعادل مع مانشستر ما بين الدقيقتين 86 و87، وقبل أن تنهي الدقيقة 88، حقق أرسينال الفوز.

كان آلان برادي هو نجم المباراة كالعادة، وقد بدأ اللعبة التي أدت إلى نتيجة 2/3 النهائية، وكان آلان ساندرلاند هو الذي توج تلك اللعبة برمية نظيفة.

ميفيستو للمخرج استفان سابو، وهو فيلم بارع حول الفن والخيانة، بفوز بالأوسكار في هوليود، بينما تنطفئ في ألمانيا باكراً حياة فاسبندر، أحد مبدعي السينما المعذبين والموهوبين. تنتحر رومي شنيدر، وتُعتقل صوفيا لورين بسبب التهرب من الضرائب. وفي بولونيا يدخل إلى السجن ليش فاليسا، زعيم النقابات العمالية.

يتلقى غارسيا ماركيز جائزة نوبل باسم شعراء، ومتسولي، وموسيقيي، وأنبياء، وفدائيي، وتعساء أميركا اللاتينية. الجيش يقترف مجزرة في إحدى قرى السلفادور: يسقط أكثر من ستمئة فلاح قتلى بالرصاص، نصفهم من الأطفال. وفي غواتيمالا يستولي الجنرال ريوس مونت على السلطة، لكي يضاعف المجازر ضد الهنود: كان يعلن أن الرب قد عهد إليه بقيادة البلاد، ويقول إن الروح القدس سيوجه أجهزة مخابراته.

مصر تستعيد شبه جزيرة سيناء التي احتلتها إسرائيل منذ حرب الأيام الستة. أول قلب اصطناعي يخفق في صدر أحدهم. مصادر حسنة الإطلاع في ميامي تعلن أن سقوط فيدل كاسترو بات وشيكاً، وأنه سينهار في غضون ساعات. في إيطاليا ينجو البابا من محاولة اغتيال ثانية. وفي إسبانيا يصدر حكم بالسجن ثلاثين عاماً على الضباط الذين نظموا الهجوم على مجلس النواب، ويبدأ فيليبيه غونثالث مسيرته الصاعقة نحو رئاسة الحكومة، بينما كانت تُفتتح في برشلونة البطولة العالمية الثانية عشرة بكرة القدم.

شارك في البطولة أربعة وعشرون بلداً، ثمانية بلدان أكثر من المرة السابقة، ولكن أميركا لم تستفد من التوزيع الجديد: كان هناك أربعة عشر فريقاً أوربياً، وستة فرق أمريكية، وفريقان

أفريقيان، إضافة إلى الكويت ونيوزيلندا.

الفريق الأرجنتيني، بطل العالم، سقط مهزوماً في الجولة الأولى في برشلونة. وبعد ساعات قليلة من ذلك، وبعيداً جداً من هناك، في جزر المالوين، خسر العسكريون الأرجنتينيون الحرب ضد بريطانيا. أولئك الجنرالات الرهيبون الذين كسبوا الحرب طوال سنوات الدكتاتورية ضد مواطنيهم، استسلموا بوداعة أمام العسكريين الإنكليز. وقد نقل التلفزيون الصور: قائد البحرية ألفريدو استيث، خارق كل حقوق الإنسان، يحني رأسه ويوقع وثيقة الذل.

وعلى امتداد الأيام التالية، عرض التلفزيون صوراً من كأس العالم: عباءة الشيخ فهد الأحمد الصباح المتطايرة في الهواء وهو يقتحم الملعب محتجاً على هدف فرنسي ضد الكويت؛ وهدف الإنكليزي بريان روبسون بعد نصف دقيقة من بدء المباراة، أسرع هدف في التاريخ وفي المونديالات؛ عدم مبالاة حارس المرمى شوماخير بعد أن تسبب بضربة من ركبته في الإغماء على المهاجم الفرنسي باتيستون. (قبل أن يصبح حارس مرمى، كان شوماخير يعمل حداداً.)

احتلت أوربا المواقع الأولى في البطولة، بالرغم من أن البرازيل عرضت أفضل كرة قدم بأقدام زيكو وفالكاو وسقراط. لم يحالف الحظ المنتخب البرازيلي، ولكنه متع الجمهور، وزيكو الذي كان قد نال لقب أفضل لاعب في أميركا، استطاع أن يبرر مرة أخرى ***الهوى الزيكوي*** الذي ساد المدرجات.

ذهب الكأس إلى إيطاليا. وكان المنتخب الإيطالي قد بدأ بصورة سيئة، متعثراً من تعادل إلى تعادل، ولكنه أعاد الأمور إلى نصابها بعد ذلك بفضل جودة هيكله الجماعي وتسديدات باولو روسي الدقيقة. وفي المباراة النهائية ضد ألمانيا، فازت إيطاليا 1/3.

ودخلت بولونيا إلى الموقع الثالث تقودها موسيقى بونيك الجيدة. وذهب الموقع الرابع إلى فرنسا، وكانت تستحق أكثر من ذلك بسبب الفعالية الأوربية والسعادة الأفريقية في خط وسطها التاريخي.

الإيطالي روسي تصدر قائمة الهدافين بتسجيل ستة أهداف، تلاه الألماني رومينغ الذي سجل خمسة أهداف وأسرف في التألق.

الأجاص على شجر الدردار

شكل آلان جريس مع بلاتيني وتيغانا وجينغيني خط الوسط الأكثر استعراضية في مونديال 1982 وفي تاريخ كرة القدم الفرنسية كله. وكان جريس يبدو على شاشة التلفزيون صغيراً على الدوام كما لو أنه بعيد جداً.

لقد كان الهنغاري بوشكاش مربوعاً وأقرب إلى البدانة، ومثله الألماني سيلير. وكان الهولندي كرويف والإيطالي جياني ريفر لاعبين ضعيفي البنية. وكان بيليه مسطح القدمين، مثل نيستور روسي، لاعب الوسط الأرجنتيني المتين. والبرازيلي ريفيلينو كان يسجل أسوأ النتائج في اختبار كوبر، ولكن لم يكن هناك من يستطيع مجاراته، وكان لمواطنه سقراط جسد كجسد مالك الحزين: ساقان طويلتان ونحيلتان وقدمان صغيرتان تتعبان بسهولة، ولكنه كان معلماً بضربات الكعب، ولم يكن يتورع عن توجيه ضربات جزاء بكعبه.

يخطئ كثيراً من يظن أن المعايير الجسدية ومؤشرات السرعة والقوة هي التي تحدد فعالية لاعب كرة القدم، كما يخطئ كثيراً من يؤمن بأن لاختبارات الذكاء علاقة بالموهبة أو بأن هناك علاقة ما بين حجم العضو الذكري واللذة الجنسية. إذ يمكن للاعبين الجيدين ألا يكونوا عمالقة منحوتين مثل تماثيل مايكل آنجلو، أو أقل منهم بكثير. فالمهارات في كرة القدم هي أكثر فعالية وحسماً من الشروط الرياضية، وتتلخص المهارات في حالات كثيرة في فن تحويل النقائص إلى فضائل.

ساقا الكولومبي كارلوس فالديراما معوجتان، وهو يستخدم هذا العيب ليخبئ الكرة جيداً. وهذا ما كان يحدث مع قدمي غارنيشا الفكحاوين. أين هي الكرة؟ أهي في الأذن؟ أهي داخل الحذاء؟ أين ذهبت؟ والأرغوايي كوكوتشو ألفاريث الذي كان

يعرج فـي المشي، وكانت كل قدم من قدميه تتجه نحو الأخرى، كان واحداً من المدافعين القليلين الذين استطاعوا أن يرصدوا بيليه دون أن يلحقوا به الأذى.

وقد كان نجما مونديال 1994، روماريو ومارادونا، قصيرين وأقرب إلى البدانة. وهناك لاعبان مثلهما من الأرغواي حققا شهرة واسعة فـي إيطاليا فـي السنوات الأخيرة، هما روبين سوزا وكارلوس آغيليرا. أما البرازيلي ليونيداس والإنكليزي كيفن كيغان، والايرلندي جورج بيست، والهولندي آلان سيموسين الذي كان يسمى ***البرغوث***، فقد كانوا جميعهم، بفضل ضآلة أجسادهم، قادرين على اختراق خط الدفاع المتماسك، والإفلات بسهولة من المدافعين الضخمين الذين كانوا يضربونهم بكل شيء، ولكنهم يفشلون فـي إيقافهم.

بــلاتيــني

ولم يكن لميشيل بلاتيني كذلك جسد رياضي. ففـي عام 1972، قرر طبيب نادي ميتز أن بلاتيني يعاني من ***قصور فـي القلب وضعف فـي القدرة التنفسية***. وقد أدى تقريره إلى رفض نادي ميتز هذا اللاعب المستجد، مع أن الطبيب لم ير يومئذ أن لبلاتيني كاحلين هشين يمكن أن يُكسرا بسهولة، وأن لديه ميلاً إلى السمنة بسبب ولعه بالمعكرونة. ولكن بعد عشر سنوات من ذلك، وقبل قليل من مونديال 1982 فـي اسبانيا، تمكن هذا المشوه من الثأر: فقد فاز فريقه سانت إيتيان على نادي ميتز 2/9.

لقد كان بلاتيني خلاصة أفضل ما فـي كرة القدم الفرنسية: فقد جمع ما بين دقة تصويب جوست فونتين الذي سجل فـي مونديال 1958 ثلاثة عشر هدفاً، وهو رقم قياسي لم يُحطم على الإطلاق؛ وحركة ودهاء ريمون كوبا. فلم يكن بلاتيني يكتفـي بأن يقدم فـي كل مباراة حفلة أهداف مبهرة، من تلك الأهداف التي لا يمكن لها أن تبدو حقيقية، بل كان يلهب الجمهور كذلك بقدرته على تنظيم لعب الفريق كله. فتحت قيادته كان المنتخب الفرنسي يقدم كرة قدم متناسقة ومدروسة خطوة خطوة.

فـي المباراة قبل النهائية فـي مونديال 1982، خسرت فرنسا أمام ألمانيا التي ربحت بضربات الترجيح. وقد كانت تلك المباراة مبارزة ما بين بلاتيني ورومينغ الذي كان مصاباً، ولكنه قفز رغم ذلك إلى أرض الملعب وحسم المباراة. وبعد ذلك، خسرت ألمانيا أمام إيطاليا فـي المباراة النهائية. لم يستطع بلاتيني ولا روميننغ، وهما اللاعبان اللذان صنعا تاريخاً فـي كرة القدم، أن يستمتعا بالفوز فـي بطولة عالمية.

ضحـايـا الحفلـة المـدفـوعـة

فـي عام 1985 أقدم ***الهوليغانز***، المتعصبون ذوو الشهرة البائسة، على قتل تسعة وثلاثين مشجعاً إيطالياً على مدرجات استاد هيسيل القديم فـي بروكسل. كان نادي ليفربول الإنكليزي يتنافس على كأس أوربا فـي مواجهة جوفينتوس الإيطالي، عندما تحول أولئك ***الهوليغانز*** إلى وحوش ضارية. الإيطاليون المحاصرون بجدار من الخلف سقطوا مسحوقين تحت أقدام بعضهم بعضاً، أو ألقي بهم من أعلى. وقد نقل التلفزيون المجزرة فـي بث مباشر، ونقل كذلك المباراة التي تواصلت.

منذ ذلك الحين، أصبحت إيطاليا أرضاً محرمة على المشجعين الإنكليز، بمن فيهم أولئك الذين يحملون شهادات حسن سلوك. وفـي مونديال 1990، لم تجد إيطاليا مفراً من السماح للمشجعين بالدخول إلى جزيرة سردينيا، حيث سيلعب المنتخب الإنكليزي، ولكن عدد رجال سكوتلند يارد بينهم كان أكبر من عدد هواة كرة القدم، وقد تولى وزير الرياضة فـي الحكومة البريطانية شخصياً مهمة مراقبتهم بنفسه.

قبل قرن من ذلك، فـي العام 1890، حذرت صحيفة ***التايمز*** اللندنية من أن «*الهوليغانز* لدينا يمضون من سيئ إلى أسوأ، والأسوأ من كل ذلك أنهم يتكاثرون... إنهم زائدة خبيثة فـي حضارتنا». وفـي أيامنا هذه، ما زالت تلك الزائدة الخبيثة تمارس الجريمة متذرعة بكرة القدم.

حيث يظهر *الهوليغانز*، ينتشر الرعب والهلع. أجسادهم

موشومة من الخارج وممتلئة بالكحول من الداخل، أدوات وطنية عديدة تتدلى من آذانهم وعلى صدورهم المكشوفة، وهم يستخدمون قبضات البونيا الحادة والقضبان الحديدية وينضحون بالعنف بينما هم ينبحون «تقدمي يا بريطانيا» Rule Britannia وصرخات حقد أخرى من أيام الإمبراطورية الضائعة. وكثيراً ما يرفع هؤلاء القتلة فـي إنكلترا وفـي بلدان أخرى الرموز النازية، ويعلنون كراهيتهم للزنوج أو العرب أو الأتراك أو الباكستانيين أو اليهود:

ـ ***فليذهبوا إلى أفريقيا!*** هكذا صرخ أحد متعصبي ريال مدريد وهو يستمتع بضرب الزنوج «لأنهم جاؤوا ليحتلوا مكاني فـي العمل».

وبحجة كرة القدم يصفر النازيون الإيطاليون للاعبين الزنوج ويطلقون تسمية اليهود على مشجعي الخصم، صارخين بهم بازدراء:

ـ ***عبري.***

ولكن القضبان الحديدية النزقة التي تثير حفيظة كرة القدم، مثلما يثير السكير حفيظة النبيذ، ليست امتيازاً يقتصر على أوربا وحدها. فكل بلدان الكوكب تقريباً تعاني منهم بهذه الدرجة أو تلك، وتتكاثر فـي هذه الأزمنة التي نعيشها كلاب كرة القدم المسعورة. فإلى ما قبل سنوات كان مشجعو كرة القدم فـي تشيلي هم من أكثر المشجعين الذين رأيتهم مودة. أما اليوم، فلدى نادي كولو-كولو التشيلي عصاباته من ذوي الأدوات الحديدية و***الحرب البيضاء***، أما عصابات نادي أونيفرسيداد تشيلي فيطلقون على أنفسهم اسم ***لوس دي أباخو*** (الذين فـي الأسفل).

فـي عام 1993، قدر خورخي فالدانو أن أكثر من مئة شخص قد ماتوا خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة، ضحية العنف فـي الملاعب الأرجنتينية. ويقول فالدانو إن العنف يتصاعد فـي نسب طردية مع اشتداد المظالم الاجتماعية والاحباطات التي تتراكم لدى الناس فـي الحياة اليومية. واستخدام القضبان الحديدية يتغذى فـي كل مكان بشباب معذبين بافتقاد العمل وانعدام الأمل. بعد شهور من هذه التصريحات، خسر فريق بوكا جونيورز فـي

بوينس آيرس 2/صفر أمام ريفر بلات، خصمه التقليدي. وعند مخرج الاستاد، سقط اثنان من مشجعي ريفر قتيلين بالرصاص. «لقد تعادلنا الآن 2/2» هكذا علق فـي لقاء مع التلفزيون شاب من مشجعي بوكا.

فـي خبر كتبه فـي أزمنة أخرى، وبرسم رياضات أخرى، وصف ديوني كريسوستومو المشجعون الرومان فـي القرن الثاني للميلاد كما يلي: «عندما يذهبون إلى الاستاد يكونون مثل من اكتشف مستودع مخدرات. فهم ينسون أنفسهم تماماً ويقولون ويفعلون دون أي حياء أول من يخطر فـي بالهم». وأسوأ كارثة فـي تاريخ الرياضة حدثت هناك، فـي روما، بعد أربعة قرون من ذلك. ففـي عام 512 ميلادية، مات آلاف الأشخاص ـ يقال إن العدد هو ثلاثون ألفاً، وهذا يصعب تصديقه ـ فـي حرب شوارع استمرت عدة أيام بين مشجعين متخاصمين. ولكنهم لم يكونوا مشجعي كرة قدم، وإنما مشجعو سباقات عربات.

أما فـي استادات كرة القدم، فإن المأساة التي خلّفت أكبر عدد من الضحايا جرت عام 1964، فـي عاصمة البيرو. عندما ألغى الحكم هدفاً فـي الدقائق الأخيرة خلال مباراة ضد الأرجنتين، هطل مطر من البرتقال وعلب البيرة وقذائف أخرى من المدرجات الملتهبة بالغضب. وعندئذ تسببت غازات الشرطة ورصاصها فـي حالة هلع عام. وحشر الهجوم الشرطي الجموع عند أبواب الخروج التي كانت مغلقة. سقط أكثر من ثلاثمئة قتيل. وفـي تلك الليلة، اجتمع حشد من الناس للاحتجاج فـي شوارع ليما: ولكن المظاهرة الاحتجاجية لم تكن ضد الشرطة، وإنما ضد حكم المباراة.

مـونـديـال 1986

بابي دوك دوفالييه يهرب من هايتي سارقاً كل شيء، وسارقاً كل شيء أيضاً يهرب فيرديناند ماركوس من الفيليبين، بينما تكشف وثائق المحفوظات الأمريكية ـ ومجيء الكشف متأخراً خير من عدم مجيئه ـ أن ماركوس، البطل الفيليبيني المبجل فـي

الحرب العالمية الثانية، كان فـي الواقع هارباً من التجنيد.
المذنب هالي يزور سماءنا بعد غياب طويل، وتُكتشف تسعة أقمار حول كوكب أورانو، ويظهر أول ثقب فـي طبقة الأوزون التي تحمينا من الشمس. ينتشر عقار جديد، هو ابن الهندسة الوراثية، ضد سرطان الدم. وفـي اليابان تنتحر مغنية رائجة هناك فيختار الموت بعدها ثلاثة وعشرون من المعجبين بها. هزة أرضية تخلف مئتي ألف سلفادوري دون بيوت وكارثة المفاعل النووي السوفييتي فـي تشرنوبيل تطلق مطراً من السموم الإشعاعية التي من المستحيل قياسها أو وقفها، فوق من يدري كم من الأراضي والبشر.
رئيس وزراء اسبانيا فيلبيه غونثالث يقول **نعم** للناتو، الحلف العسكري الأطلسي، بعد أن صرخ **لا**، واستفتاء عام يبارك هذا التحول بينما إسبانيا والبرتغال تدخلان السوق الأوربية المشتركة. العالم يبكي موت أولف بالمه، رئيس وزراء السويد الذي اغتيل فـي الشارع. إنه زمن حداد بالنسبة للفنون والآداب: فقد غادرنا النحات هنري مور والكتّاب سيمون دي بوفوار وجان جينيه وخوان رولفو وخورخي لويس بورخيس.
تنفجر فضيحة إيران غيت حول تورط الرئيس ريغان والـ CIA والكونترا فـي نيكاراغوا بتهريب أسلحة ومخدرات، وينفجر مكوك الفضاء شالينجر لدى إطلاقه فـي كاب كانيافيرال وعلى متنه ستة رواد. الطيران الأمريكي يقصف ليبيا ويقتل إحدى بنات العقيد القذافـي انتقاماً لهجوم يُنسب بعد سنوات من ذلك إلى إيران.
فـي أحد سجون ليما يموت برصاص الرشاشات أربعمئة سجين. مصادر حسنة الإطلاع فـي ميامي تعلن أن سقوط فيدل كاسترو صار وشيكاً، وأن انهياره هو مسألة ساعات. انهارت عدة أبنية بسبب نقص الإسمنت، والناس فـي داخلها، عندما هز زلزال مدينة مكسيكو فـي السنة السابقة، وكان قسم لا بأس به من المدينة مدمراً ومتحولاً إلى أنقاض عندما جرى هناك افتتاح البطولة العالمية الثالثة عشرة بكرة القدم.
شارك فـي كأس العالم عام 1986 أربعة عشر بلداً أوربياً

وستة بلدان أمريكية، إضافة إلى المغرب وكوريا الجنوبية والعراق والجزائر. وفـي مكسيكو ولدت ***الموجة*** على المدرجات، فمنذ ذلك الحين اعتاد مشجعو العالم على التحرك وفق إيقاع بحر صاخب. وكانت هناك مباريات من تلك التي توقف شعر البدن، مثل مباراة فرنسا ضد البرازيل، حيث اللاعبون المنزهون عن الخطأ، بلاتيني وزيكو وسقراط، أخفقوا فـي رميات الجزاء؛ وكانت هناك مبارتان استعراضيتان بكثرة الأهداف لعبتهما الدنمارك، فأدخلت ستة أهداف ضد الارغواي وتلقت خمسة أهداف من اسبانيا.

ولكن هذا المونديال كان مونديال مارادونا. ففـي المباراة ضد إنكلترا ثأر مارادونا بهدفـين أعسرين للكرامة الوطنية المهدورة فـي جزر المالوين: سجل هدفاً بيده اليسرى، وسماها يد الرب، وسجل الهدف الثاني بقدمه اليسرى بعد أن أوقع أرضاً الدفاع الإنكليزي.

تنافست الأرجنتين على المباراة النهائية ضد ألمانيا. وكان مارادونا هو صاحب التمريرة الحاسمة التي تركت بوروشاغا وحده لكي تحقق الأرجنتين 2/3 وتفوز بالبطولة حينما كانت الساعة تشير إلى نهاية المباراة، ولكن هدفاً تاريخياً آخر كان قد حدث قبل ذلك: انطلق فالدانو بالكرة من المرمى الأرجنتيني، واجتاز الملعب كله، وعندما خرج شوماخير للقائه، سددها باتجاه القائم الأيمن. وكان فالدانو فـي أثناء ذلك يكلم الكرة متوسلاً إليها:

- أرجوك أن تدخلـي.

احتلت فرنسا الموقع الثالث وتلتها بلجيكا. وتصدر الإنكليزي لينكير قائمة الهدافين بتسجيل ستة أهداف. وسجل مارادونا خمسة أهداف، ومثله البرازيلي كاريكا والاسباني بوتراغينيو.

التيـليقـراطيــة

لقد تحول الاستاد اليوم إلى استوديو تلفزيوني ضخم. فاللعب يجري من أجل التلفزيون الذي يقدم لك المباراة فـي بيتك. والتلفزيون هو الذي يأمر.

فـي مونديال 1986، احتج فالدانو ومارادونا ولاعبون آخرون لأن المباريات الرئيسية كانت تجري فـي منتصف النهار، تحت شمس تقلي كل ما تلمسه. ولكن الظهيرة فـي المكسيك هي ساعة الغروب فـي أوربا، وهو التوقيت الذي يناسب التلفزيون الأوربي. وقد روى حارس المرمى الألماني هارلد شوماخير ما كان يجري:

ـ أتعرق. تجف حنجرتي. ويكون العشب مثل البراز اليابس: قاسياً، وغريباً، ومعادياً. وتسقط الشمس عمودية على الملعب وتنفجر فوق رؤوسنا. لا تتشكل لنا ظلال. يقولون إن هذا جيد من أجل التلفزيون.

هل بيع الاستعراض أهم من نوعية اللعب؟ مهمة اللاعبين هي الركل وليس المجادلة؛ ووضع هافيلانج نقطة الحسم للقضية المثيرة للغضب حين أصدر حكمه:

ـ فليلعبوا وليطبقوا أفواههم.

من الذي قاد مونديال 1986؟ أهو الاتحاد المكسيكي لكرة القدم؟ لا، أرجوك، يكفـي وسطاء. فمن قاد المونديال هو غيلليرمو كانييدو، نائب رئيس شركة تليفـيزا ورئيس القناة الدولية للشركة. لقد كان مونديال تليفيزا، الشركة الاحتكارية الخاصة التي تسيطر على وقت فراغ المكسيكيين وتسيطر كذلك على كرة القدم المكسيكية. ولا شيء يهم أكثر من الأموال التي يمكن لتليفـيزا أن تتلقاها، ومعها الفيفا، مقابل البث إلى الأسواق الأوربية. وعندما اقترف صحفـي مكسيكي وقاحة السؤال عن نفقات المونديال وأرباحه، قاطعه كانييدو بصلف:

ـ هذه شركة خاصة وليست مضطرة إلى أن تقدم كشفاً بحساباتها إلى أحد.

وبعد انتهاء المونديال، بقي كانييدو نديماً لهافـيلانج كأحد نواب الرئاسة فـي الفيفا، وهي شركة خاصة أخرى لا تقدم حساباتها أمام أحد أيضاً.

وتليفـيزا لا تملك بين يديها البث المحلي والدولي لكرة القدم المكسيكية وحسب، وإنما تملك كذلك ثلاثة من أكبر أندية الفئة الأولى: فالشركة هي صاحبة نادي أميركا، أكثر الأندية سلطة

وقوة، ونادي نيكاكسا وآتلانت.

فـي عام 1990 قدمت تليفيزا استعراضاً لسطوتها على كرة القدم المكسيكية. ففـي تلك السنة، خطرت لرئيس نادي بويبلا، إيميليو ماورير، فكرة قاتلة: فكر فـي أنه يمكن لتليفيزا أن تدفع مزيداً من المال مقابل حقوقها الحصرية فـي بث المباريات. وقد وجدت فكرة ماورير أصداء جيدة لدى بعض مسؤولي الاتحاد المكسيكي لكرة القدم. فالشركة الاحتكارية لا تدفع فـي نهاية المطاف سوى ما يزيد قليلاً على ألف دولار لكل ناد، بينما هي تربح ثروات طائلة من بيع الإعلانات.

عندئذ أظهرت تليفيزا من هو السيد الآمر. فقد تعرض ماورير إلى قصف متواصل: فوجد بين عشية وضحاها أن هناك حجزاً على أعماله وبيته بسبب الديون، وتعرض للتهديد، وهُوجم، واعتبر خارجاً على القانون وصدر بحقه أمر اعتقال. ثم طلع الصباح فـي أحد الأيام على ملعب ناديه، نادي بويبلا، وقد أغلق دون إنذار مسبق. ولكن هذه الأساليب المافياوية لم تكن كافية لإنزاله عن حصانه، فلم يعد هناك مفر من زج ماورير فـي السجن وكنسه من النادي المتمرد ومن الاتحاد المكسيكي لكرة القدم، ومعه كل حلفائه.

فـي العالم بأسرة، وعبر سبل مباشرة أو غير مباشرة، التلفزيون هو الذي يقرر أين ومتى وكيف يجري اللعب. فقد باعت كرة القدم نفسها جسداً وروحاً وملابس إلى الشاشة الصغيرة. واللاعبون هم الآن نجوم تلفزيون. من يمكنه أن ينافس استعراضاتهم؟ البرانامج الذي شدّ أكبر عدد من المتفرجين فـي فرنسا وإيطاليا عام 1993 هو نهائي كأس أوربا للأبطال، حيث تنافس ناديا أولمبيك مرسيليا وميلان. ونادي ميلان كما هو معروف يتبع لسيلفيو بيرلوسكوني، قيصر التلفزيون الإيطالي. أما بيرنار تابيه فلم يكن صاحب التلفزيون الفرنسي، ولكن ناديه، الأولمبيك، كان قد تلقى من الشاشة الصغيرة فـي عام 1993 ثلاثة أضعاف ما تلقاه عام 1980 من أموال. ولهذا لم تكن تنقصه الأسباب لحبها.

يمكن الآن لملايين الأشخاص أن يشاهدوا المباريات، لأن

الأمر لم يعد يقتصر على الآلاف الذين تتسع لهم الاستادات. والمشجعون تكاثروا جداً وتحولوا إلى مستهلكين محتملين لكل ما يرغب محتكرو الصور في بيعهم إياه. ولكن على خلاف لعبة البيسبول وكرة السلة، فإن كرة القدم هي لعبة متواصلة، وهي لا توفر انقطاعات كثيرة تفيد في تمرير الإعلانات. فاستراحة واحدة لا تكفي. لقد اقترح التلفزيون الأميركي تعديل هذا الخلل غير اللطيف بتقسيم المباراة إلى أربعة أشواط مدة كل منها خمس وعشرون دقيقة، وهافيلانج موافق على هذا الاقتراح.

بجـد وبـالجملـة

المدير الفني للمنتخب الإنكليزي دون هوو، أكد في عام 1987:

ـ لا يمكن أن يصبح لاعب كرة قدم جيد ذاك الذي يشعر بالسعادة بعد خسارة مباراة.

كرة القدم الاحترافية تصبح كل يوم أكثر سرعة وأقل جمالاً، وتميل إلى التحول إلى احتفال للسرعة والقوة، وقوده الخوف من الخسارة.

كثير من الركض، وقليل أو لا شيء مطلقاً من المجازفة. لأن الجسارة غير مربحة. فخلال أربعين سنة، ما بين مونديال 1954 ومونديال 1994 مُنحت نقطة إضافية عن كل انتصار، بهدف التخفيف من التعادل. إنه تشجيع لكفاءة الوسطية: ففي كل يوم تزداد في كرة القدم الحديثة الفرق المؤلفة من موظفين متخصصين في تفادي الهزيمة، بدلاً من اللاعبين الذين يجازفون بإلهام وينقادون للارتجال.

اللاعب التشيلي كارلوس كاسلي كان يسخر من كرة القدم الجشعة بالقول:

ـ إنه تكتيك الخفاش. فالأحد عشر لاعباً يتعلقون بعارضة المرمى لمنع الأهداف.

واللاعب الروسي نيكولاي ستاروستين كان يشكو من كرة القدم الموجهة بجهاز تحكم عن بعد:

ـ اللاعبون جميعهم يبدون الآن متشابهين. إذا ما بدلوا لهم قمصانهم فلن يتعرف عليهم أحد. فجميعهم يلعبون بصورة متشابهة.

إنه اللعب بجدية وبالجملة.. أهو لعب؟ حسب ما يفهم من جذر الكلمة ومعناها، فإن ***لعب*** تعني مزاح، وكلمة ***صحة*** تعبر عن أقصى الحرية والانطلاق للجسد. والفعالية المدروسة للحركات الآلية المكرورة هي عدوة الصحة، وتُصيب كرة القدم بالمرض.

أليس الربح دون سحر ودون مفاجآت أو جمال أسوأ من الخسارة؟ في عام 1994، وخلال البطولة الإسبانية، تعرض ريال مدريد للهزيمة في لقائه مع سبورتينغ خيخون. ولكن رجال ريال مدريد كانوا قد لعبوا ***بحماس***، وهي كلمة تعني في الأصل «امتلاك الآلهة في الجسد». وقد استقبل المدير الفني فالدانو اللاعبين في صالة الملابس بوجه بشوش قائلاً لهم:

ـ عندما يكون اللعب جيداً لا مانع من الخسارة.

الصيدليات الراكضة

في مونديال 1954، عندما حققت ألمانيا الإسراع المذهل الذي أخرج الهنغاريين من الحساب، قال فيرنيك بوشكاش إن صالة استبدال ملابس الفريق الألماني تعبق برائحة حديقة شقائق نعمان، وإن هذا له علاقة ما بحقيقة أن الفائزين قد ركضوا وكأنهم القطارات.

وفي عام 1987، نشر حارس مرمى الفريق الألماني توني شوماخير كتاباً قال فيه:

ـ ***هنا تفيض العقاقير وتنقص النساء*** ـ وكان يشير بذلك إلى كرة القدم الألمانية، وبالتالي إلى كرة القدم الاحترافية بأسرها. وفي كتابه Der anfiff (صافرة البداية)، روى شوماخير أن لاعبي المنتخب الألماني قد تلقوا في مونديال 1986، كميات لا حصر لها من الحقن والحبوب وجرعات كبيرة من مياه معدنية غامضة كانت تسبب لهم الإسهال. هل كان ذلك الفريق يمثل بلاده

أم الصناعة الكيميائية الجيرمانية؟ وحتى من أجل النوم، كان اللاعبون مجبرون على تناول حبوب خاصة. وقد كان شوماخير يبصقها، لأنه كان يفضل تناول البيرة من أجل النوم.

ويؤكد حارس المرمى أنه يكثر استخدام العقاقير المنشطة فـي كرة القدم الاحترافية. فقوانين المردودية التي تستدعي الربح بأي حال، تضطر كثيرين من اللاعبين إلى التحول إلى صيدليات تركض. والنظام نفسه الذي يجبرهم ***على ذلك***، يدينهم أيضاً ***من أجل ذلك*** كلما انكشفت المسألة.

شوماخير الذي اعترف أيضاً بأنه قد تعاطى تلك العقاقير أحياناً، أتُهم بخيانة الوطن. هذا المعبود الشعبي الذي كان البطل الثاني فـي بطولتين عالميتيين، أسقط من محفة القداسة وألقي به بين أقدام الخيول. وبعد استبعاده من فريقه، فريق كولونيا، فقد موقعه فـي المنتخب الوطني ولم يجد مفراً من الذهاب للعب فـي تركية.

أغنيـات الازدراء

إنه غير مثبت على الخرائط، ولكنه موجود. إنه غير مرئي، ولكنه موجود. هناك جدار تبدو ذكرى جدار برلين مضحكة أمامه: إنه ينتصب لكي يفصل الذين يملكون عمن يحتاجون، وهو يقسم العالم بأسره إلى شمال وجنوب، ويخط كذلك حدوداً فـي كل بلد وضمن كل مدينة. وعندما يتجرأ جنوب العالم على اجتياز هذا الجدار ويدخل حيث لا يمكنه الدخول، يذكره الشمال ـ مسخدماً الهراوة ـ أين هو مكانه. والشيء نفسه يحدث للغزوات الآتية من المناطق الملعونة فـي كل بلاد وفـي كل مدينة.

وكرة القدم التي هي مرآة لكل شيء، تعكس هذا الواقع. ففـي منتصف الثمانينات، عندما بدأ نادي نابولي بلعب أفضل كرة قدم فـي إيطاليا بتأثير مارادونا السحري، كان رد فعل شمال البلاد هو أنها استلت أسلحة الازدراء القديمة. فالنابوليون الذين اغتصبوا الأمجاد المحظورة عليهم، كانوا ينتزعون بذلك الغنائم من المتسلطين الأزليين، فما كان من هؤلاء إلا أن عاقبوا

الغوغاء الدخيلة القادمة من الجنوب. فعلى مدرجات استادات ميلان أو تورين، كانت تُرفع اليافطات المهينة: ***أيها النابوليون، أهلاً بكم فـي إيطاليا***، أو تلك القاسية: ***إننا نعتمد عليك يا بركان فـيزوف***.

وبقوة أكبر من أي وقت مضى كانت تدوي أغنيات هي ابنة الخوف وحفيدة العنصرية:

يا للرائحة الكريهة،
حتـى الكلاب تـهرب،
النـابوليون قد وصلوا .
آه للملونيين، للمزلزلين،
لا يمكن حتـى للصابون أن ينظفهم.
نـابولـي أيتها البراز ، نـابولـي أيتها الطاعون،
أنت عار علـى إيطاليا كلها.

وفـي الأرجنتين يحدث الشيء نفسه مع نادي بوكا جونيورز. فبوكا هو النادي المفضل للفقراء ذوي الشعور المجعدة والبشرة السمراء الذين اقتحموا مدينة الأسياد بوينس آيرس، قادمين من الأرياف الداخلية أو من البلدان المجاورة. ويهتف مشجعو الخصوم بالتعويذات التي تطرد الشياطين:

الكل يعرفون أن البوكا فــي حِداد.

فجميعهم سود، جميعهم قحاب،
لا بد من قتل هذا الروث،
لا بد من رميهم إلـى نـهر رياتشويلو.

كل شــيء مبــاح

فـي عام 1988، ندد الصحفـي المكسيكي ميغيل آنخل راميريث بينبوع الشباب الدائم. لأن بعض اللاعبين الشباب المكسيكيين ممن استحموا بمياه ذلك الينبوع السحري كانوا قد تجاوزوا السن القانونـي بسنتين وثلاث، أوحتى ست سنوات: فقد زيف المسؤولون شهادات ميلادهم واصطنعوا لهم جوازات سفر

مزيفة. وبخضوعهم لهذا العلاج السحري، تمكن أحد اللاعبين من أن يصبح أصغر من أخيه التوأم بسنتين.

عندئذ صرح نائب رئيس نادي غوادالوبي:

ـ لست أقول أن هذا جيد، ولكنه يحدث دائماً.

أما رافائيل كاستيّو، وهو الآمر الأعلى فـي كرة القدم، فقد تساءل:

ـ لماذا لا تكون المكسيك حاذقة، بينما بلدان أخرى تمارس ذلك بصورة طبيعية؟

وبعد قليل من مونديال 1966، صرح فالينتين سواريث، مراقب جمعية كرة القدم الأرجنتينية:

ـ ستانلي روس رجل غير مستقيم. لقد نظم المونديال لكي تكسبه إنكلترا. أنا سأفعل الشيء نفسه إذا ما جرى المونديال فـي الأرجنتين.

أخلاق السوق، التي هي أخلاق العالم فـي زماننا، تبيح استخدام كل مفاتيح النجاح، حتى ولو كانت تلك المفاتيح "فشاشة لصوص". ليس هناك فـي كرة القدم الاحترافية وساوس ضمير، لأنها تقوم على نظام سلطة بلا ضمير هدفه شراء الكفاءة بأي ثمن. ثم إن وساوس الضمير لم تكن فـي أي يوم من الأيام مسألة كبيرة الشأن. فقد كان وسواس الضمير Escrupulo هو وحدة الوزن الدنيا، الأقل قيمة، فـي إيطاليا عصر النهضة. وبعد خمسة قرون من ذلك، أوضح بول ستينر، اللاعب الألماني فـي نادي كولونيا:

ـ أنا ألعب من أجل المال والنقاط. والخصم يريد أن ينتزع مني المال والنقاط. لهذا علي أن أناضل ضده بكل الوسائل.

واللاعب الهولندي رونالد كومين يبرر الركلة التي وجهها مواطنه جيلهاوس إلى بطن الفرنسي يتجانا عام 1988 بالقول:

ـ لقد كان عملاً صحيحاً تماماً. فتيجانا هو أخطر لاعبي الفريق الفرنسي، وكان لا بد من إخراجه بأي ثمن.

الهدف يبرر الوسيلة، وأي قذارة مقبولة، ولكن من المناسب تنفيذها خفية. فباسيل بولي لاعب الدفاع فـي أولمبيك مارسيليا متهم بأنه يلحق الأذى بكواحل أقدام الآخرين، وقد روى قصة

تعميده بالنار كما يلي: فـي عام 1983 أوقع بضربة من رأسه روجر ميلا الذي كان قد جننه بضربات مرفقه. ثم طور بولي تجربته بعد ذلك:

ـ وهذا هو الدرس الأول: اضرب قبل أن يضربوك، ولكن افعل ذلك خفية.

يجب الضرب بعيداً عن الكرة. فالحكم وكاميرات التلفزيون يركزون عيونهم على الكرة. فـي مونديال عام 1970 أصيب بيليه بكدمة سببها له الإيطالي بيرتيني. وقد امتدحه بيليه فيما بعد بالقول:

ـ لقد كان بيرتيني فناناً فـي اقتراف المخالفات دون أن يروه. لقد كان يغرس قبضته فـي أضلاعي أو فـي معدتي، وكان يركل كاحلي... إنه فنان.

وكثيراً ما يصفق الصحفيون الأرجنتينيون للخدع التي تُنسب إلى كارلوس بيلاردو، لأنه عرف كيف يمارسها بمهارة وبنتائج جيدة. ويقال أنه عندما كان بيلاردو لاعباً كان يوخز خصومه بإبرة ثم يبدي البراءة فـي وجهه الذي يقول لست أنا. وحين كان مديراً فنياً للمنتخب الأرجنتيني، تمكن من أن يوصل زمزمية ماء ممزوج بمُقَيِّءٍ إلى اللاعب البرازيلي برانكو الذي يعطش كثيراً، وذلك خلال أصعب مباراة فـي مونديال 1990.

لقد اعتاد الصحفيون فـي الارغواي أن يطلقوا على هذا النوع من الجرائم الغادرة تسمية ***لعبة الساق القوية***، وقد أشاد أكثر من واحد منهم بـ ***الركلة اللينة*** لإخافة الخصوم فـي المباريات الدولية. وهذه الركلات يجب توجيهها فـي الدقائق الأولى من اللعب. لأنها قد تُعرّض اللاعب إلى الطرد إذا ما اقترفت بعد ذلك. لقد كان العنف فـي كرة القدم فـي الأرغواي وليد الانحدار. ففـي السابق كانت تسمية ***مخلب تشاروا*** تُطلق على الشجاعة وليس على الركلات. ففـي مونديال 1950، دون الحاجة إلى المضي إلى أبعد من ذلك، حين جرت مباراة النهاية الشهيرة فـي ماراكانا، اقترفت البرازيل ضعف عدد المخالفات التي ارتكبتها الارغواي. أما فـي مونديال 1990، عندما تمكن المدير الفني أوسكار باباراز من جعل منتخب الارغواي يستعيد

اللعب النظيف، راح بعض المعلقون المحليون يؤكدون أن هذا الأسلوب لا يؤدي إلى نتائج جيدة. وهناك الكثير من المشجعين، ومن مسؤولي كرة القدم أيضاً، يفضلون الربح دون شرف على الخسارة بشرف.

ويروي بيبي ساسيا، لاعب الهجوم في منتخب الارغواي:

- أتقول ذر التراب في عيني حارس المرمى؟ إن الإداريين يرونه عملاً سيئاً.. عندما يُكتشف.

لقد تحدث المشجعون الأرجنتينيون بافتتان عن الهدف الذي سجله مارادونا بيده في مونديال 1986، ***لأن الحكم لم يره***. وفي مونديال 1990، تظاهر حارس المرمى التشيلي روبيرتو روخاس بأنه قد جُرح، بأن أحدث شقاً في جبهته، ولكنهم اكتشفوا خدعته. عندئذ أطلق عليه المشجعون التشيليون لقب *الكوندون*، وحولوه إلى وغد الفيلم ***لأن خدعته انكشفت***.

في كرة القدم الاحترافية، مثلما هو الحال في كل شيء آخر، لا أهمية للجنحة طالما كانت هناك وسيلة جيدة لتنفيذها. الثقافة تعني زراعة[1]. فما الذي تزرعه فينا ثقافة السلطة؟ ما هي المحاصيل البائسة التي يمكن أن يقدمها التسامح مع جرائم العسكريين وسرقات السياسيين، وتحويلها إلى مآثر؟

الكاتب ألبير كامو الذي كان حارس مرمى في الجزائر، لم يكن يعني كرة القدم الاحترافية عندما قال:

- إنني مدين إلى كرة القدم بكل ما أعرفه عن الأخلاق.

عسير الهضم

في عام 1989، في بوينس آيرس، انتهت مباراة بين أرجنتينوس جونيورز وراسينغ بالتعادل. فاقتضت الأنظمة حسم المباراة بضربات الجزاء الترجيحية.

نهض الجمهور واقفاً وراح يقضم أظفاره وهو يشاهد

---

[1]. كلمة ثقافة بالاسبانية هي كولتورا (cultura) ومن معانيها أيضاً: كولتيفو (cultivo) أي: زراعة.

الضربات الموجهة عن مسافة اثنتي عشرة خطوة. هتف المشجعون لهدف راسينغ، ثم جاء على الفور هدف ارجنتينوس جونيورز، فهتف له المشجعون في الجانب الآخر من المدرجات. وثار الحماس عندما ألقى حارس مرمى راسينغ بنفسه نحو القائم وحرف الكرة. ثم تلاه تصفيق آخر لتهنئة حارس مرمى أرجنتينوس الذي لم تخدعه إيماءات الرامي وانتظر الكرة في منتصف المرمى.

وعندما نُفذت الضربة العاشرة، كان هناك بعض التصفيق المتفرق. وغادر بعض المشجعين الاستاد بعد الهدف العشرين. وعندما قذفوا رمية الترجيح رقم ثلاثين قدمت لها القلة المتبقية من الجمهور بعض التثاؤب، فقد كانت الرميات تذهب وتجيء والتعادل مستمر.

وبعد أربع وأربعين ضربة جزاء، انتهت المباراة. وكان ذلك هو الرقم العالمي في ضربات الجزاء الترجيحية. ولكن لم يكن هناك أحد في المدرجات ليحتفل، ولم يُعرف من الذي ربح المباراة.

موندیال 1990

نيلسون مانديلا ينال حريته بعد أن قضى سبعاً وعشرين سنة في السجن في جنوب أفريقيا، لكونه زنجياً وجديراً بالاحترام. وفي كولومبيا يتم اغتيال بيرناردو خاراميّو، مرشح اليسار للرئاسة، وتصرع الشرطة الكولومبية من طائرة هيلوكبتر تاجر المخدرات رودريغيث غاتشا، أحد أغنى عشرة رجال في العالم. تشيلي تستعيد ديمقراطيتها الجريحة، ولكن الجنرال بينوشيت الذي بقي يأمر العسكريين، يراقب السياسيين ويسجل عليهم خطواتهم. فوجيموري، وهو يمتطي جراراً، يهزم ماريو بارغاس

يوسا فـي انتخابات الرئاسة فـي البيرو. وفـي نيكاراغوا يخسر الساندينيون الانتخابات بعد أن هدهم تعب عشر سنوات من الحرب ضد الغزاة المسلحين والمدربين على يد الولايات المتحدة، بينما تبدأ الولايات المتحدة احتلالاً جديداً لبنما، بعد أن أنجزت بنجاح غزوها الحادي والعشرين لهذا البلد.

فـي بولونيا، ينتقل النقابي فاليسا، رجل الصلاة اليومية، من السجن إلى الحكومة. وفـي موسكو، تصطف حشود عند أبواب **ماكدونالد**. سور برلين يباع فتاتاً، وتبدأ عملية توحيد ألمانيا وتفكيك يوغسلافيا. انتفاضة شعبية تُسقط نظام شاوسيسكو فـي رومانيا، وتعدم رمياً بالرصاص الدكتاتور المخضرم، الذي كان ينادي ب**الدانوب الأزرق للاشتراكية**. فـي كل أنحاء أوربا الشرقية يتحول البيروقراطيون القدماء إلى رجال أعمال جدد وتسحل الرافعات تماثيل ماركس الذي لم تكن لديه طريقة ليقول: «أنا بريء». مصادر حسنة الإطلاع فـي ميامي تعلن أن سقوط فيدل كاسترو صار وشيكاً، وأن انهياره هو مسألة ساعات فقط. وهناك فـي الفضاء، تزور آلات أرضية كوكب الزهرة وتتجسس على أسراره، بينما هنا على الأرض، يجري فـي إيطاليا افتتاح بطولة العالم الرابعة عشرة بكرة القدم.

شارك فـي البطولة أربعة عشر فريقاً أوربياً، وستة فرق أمريكية، ومصر وكوريا الجنوبية والإمارات العربية المتحدة والكاميرون التي أذهلت العالم بفوزها على المنتخب الأرجنتيني فـي مباراة الافتتاح ولعبت مع بريطانيا فـي مواجهة الند للند. وقد كان ميلا، اللاعب المخضرم الذي فـي الأربعين، هو الطبل الأساسي فـي هذه الأوركسترا الأفريقية.

ومارادونا الذي كانت قدمه متورمة مثل يقطينة، تدبر الأمر كيفما اتفق ليقود جماعته. وكانت ألحان التانغو الأرجنتينية لا تكاد تُسمع. فبعد خسارتها أمام الكاميرون، تعادلت الأرجنتين مع رومانيا وإيطاليا، وكادت أن تخسر أمام البرازيل. فقد سيطر اللاعبون البرازيليون طوال المباراة، إلى أن تمكن مارادونا الذي كان يلعب بساق واحدة، من التخلص من ثلاثة خصوم كانوا يحاصرونه في منتصف الملعب، ووفر تمريرة إلى كانيغيا ذهبت نحو المرمى وكأنها بخار.

واجهت الأرجنتين ألمانيا في المباراة النهائية، كما في المونديال السابق، ولكن ألمانيا فازت هذه المرة 1/صفر بفضل ضربة جزاء غير مرئية وبفضل الإدارة الفنية التي مارسها بيكينباور.

احتلت إيطاليا الموقع الثالث، وإنكلترا الرابع. وتصدر الإيطالي شيلاسي قائمة الهدافين، بتسجيله ستة أهداف، تلاه سكوهارافي، من تشيكوسلوفاكيا، بخمسة أهداف. هذه البطولة المملة الخالية من الجرأة ومن الجمال، سجلت أدنى متوسط أهداف في تاريخ المونديالات.

هدف رينكون

حدث ذلك في مونديال 1990. كانت كولومبيا قد لعبت أفضل من ألمانيا، ولكنها كانت تخسر 1/صفر، وكانت المباراة قد وصلت إلى الدقيقة الأخيرة.

وصلت الكرة إلى منتصف الملعب. وكانت تبحث عن تاج من شعر مكهرب: تلقى فالديراما الكرة وهو يدير ظهره، فالتفت، وراوغ ثلاثة لاعبين ألمان كانوا يحيطون به ومررها إلى رينكون، وأعادها رينكون إلى فالديراما، ثم فالديراما إلى رينكون، لك ولي، لي ولك، إلى أن خطا رينكون خطوة زرافة وصار وحيداً قبالة حارس المرمى الألماني إيلنجر. وكان إيلنجر

يسد المرمى. لذلك لم يقذف رينكون الكرة، بل داعبها. فانزلقت بنعومة شديدة من بين ساقي حارس المرمى، وكانت هدفاً.

هوغو سانتشيز

كان ذلك في عام 1992، وكانت يوغسلافيا قد تشظت إلى فتات، وبدأت الحرب تعلم الأخوة كيف يتبادلون الأحقاد ويقتلون ويغتصبون دون أي إحساس بتأنيب الضمير.

وكان هناك صحفيان مكسيكيان، هما إيبي إبارّا وهيرنان فيرا، يريدان الوصول إلى سرايفو. وكانت سرايفو المحاصرة والمعرضة للقصف الدائم مدينة محرمة على الصحافة الدولية، وكان أكثر من صحفي قد دفعوا حياتهم ثمن جرأتهم في محاولة الوصول إلى المدينة.

وفي محيط المدينة كانت تسود الفوضى. الجميع ضد الجميع: فلا أحد يعرف أحداً، ولا ضد من يقاتل في تلك الخنادق المختلطة، والبيوت المحترقة والجثث غير المدفونة. وتدبر إيبي وهيرنان الأمر، وفي يديهما خريطة، ليجتازا مناطق سقوط القذائف المدفعية ورمايات الرشاشات الثقيلة، إلى أن التقيا فجأة بجماعة من الجنود، على ضفاف نهر درينا. طرحهما الجنود أرضاً بالقوة وسددوا أسلحتهم إلى صدريهما. وكان الضابط يقول أشياء لا يفهمان منها شيئاً، بينما هما يتلعثمان بأشياء لا يفهم الآخرون منها شيئاً، ولكن عندما مر الضابط بإصبعه على عنقه وصدر عن الأسلحة صوت (تك)، أدرك الصحفيان أنهم يحسبونهما جاسوسين وأنه لم يعد أمامهما سوى الوداع والصلاة إذا كانت هناك سماء تسمع.

وعندئذ خطر للمحكوم عليهما أن يعرضا جوازي سفرهما. فأشرق وجه الضابط، وهتف:

- المكسيك! هوغو سانتشيز!

وأنزل السلاح وعانقهما.

هوغو سانتشيز، المفتاح المكسيكي الذي فتح تلك الدروب

المستحيلة، كان قد استحوذ على الشهرة العالمية بفضل التلفزيون الذي عرض فنه فـي تسجيل الأهداف وشقلباته للاحتفال بها. فـي موسم 1990/1989، حين كان يرتدي قميص ريال مدريد، خرق الشبكة ثمان وثلاثين مرة. وكان هو أعظم هدّاف أجنبي فـي تاريخ كرة القدم الإسبانية.

الجدجد والنملة

فـي عام 1992 فاز الجدجد المغني 2/صفر على النملة العاملة النشيطة.

فـي المباراة النهائية لكأس الأمم الأوربية، تبارت ألمانيا والدنمرك. وكان الألمان آتين من الصيام، ومن الانقطاع عن النساء، ومن التدريب الشاق. أما الدنمركيون فكانوا آتين من البيرة والنساء والقيلولة تحت الشمس على الشاطئ. فقد كانت الدنمرك قد خسرت فـي تصفيات التصنيف، وكان لاعبوها فـي إجازة عندما جرى استدعاءهم على عجل ليحلوا محل يوغسلافيا التي غابت عن المنافسة بسبب الحرب. لم يكن لديهم وقت ولا رغبة فـي التمرين، ولم يستطع الفريق أن يضم إلى صفوفه شخصيته الأكثر تألقاً، ميشيل لادروب، اللاعب ذو القدم المرحة والصائبة الذي كان قد فاز للتو بالمنافسة الأوربية للأندية وهو بقميص نادي برشلونة. أما الفريق الألماني بالمقابل، فقد جاء إلى المباراة النهائية ومعه ماتهوس وكلينسمان وكل نجومه الآخرين. ألمانيا التي **يجب** عليها أن تربح، تعرضت للهزيمة على يد الدنمرك التي لم تكن مضطرة إلى أي شيء ولعبت كما لو أن الملعب هو استمرار للإجازة على شاطئ البحر.

غـولـيت

فـي عام 1993 كان مدّ العنصرية فـي ارتفاع. وكانت رائحة العفونة تفوح، مثل كابوس طائر فـي كل أنحاء أوربا، بينما كانت تقع بعض الجرائم وتصدر قوانين ضد المهاجرين من بلدان كانت مستعمرات فيما مضى. كثيرون من الشباب البيض كانوا لا يجدون عملاً، وبدأ ذوي البشرة القاتمة يدفعون الثمن.

فـي تلك السنة ربح فريق من فرنسا، لأول مرة، كأس أوربا. وكان هدف الفوز من صنع باسيل بولي، وهو أفريقي من ساحل العاج، سدد برأسه إلى زاوية المرمى ضربة ركنية كان قد أرسلها أفريقي آخر هو آبيدي بيلي المولود فـي غانا. وفـي ذلك الوقت لم يكن بإمكان أشد أنصار التفوق الأبيض أن ينكروا أن أفضل لاعبي هولندا هما رود غوليت وفرانك ريجكار، ابنا آباء قاتمي البشرة من سورينام، وأن الأفريقي إيزيبيو هو أفضل لاعب فـي البرتغال.

رود غوليت، الملقب بالزنبقة السوداء، كان على الدوام عدواً لدوداً للعنصرية. فبين مباراة وأخرى، كان يحمل الجيتار ويغني فـي حفلات عديدة تُنظم ضد الابارتيد فـي جنوبي أفريقيا، وفـي عام 1987، عندما جرى اختياره كأفضل لاعب فـي أوربا، أهدى جائزته، *الكرة الذهبية*، إلى نيلسون مانديلا الذي كان سجيناً منذ سنوات طويلة لاقترافه جريمة الإيمان بأن الزنوج هم بشر.

لقد أجروا لغوليت ثلاث عمليات جراحية فـي ركبته. وفـي المرات الثلاث كان المعلقون يعتبرونه قد انتهى. ولكنه كان ينبعث بقوة الرغبة وحدها:

- إنني بدون اللعب مثل طفل وليد دون مصاصة.

ساقاه السريعتان والهدافتان، وجسده المهيب المتوج بشعر طويل أجعد، أكسبته الحماسة الشعبية فـي أقوى الفرق فـي هولندا وإيطاليا. ولكن غوليت لم يكن مطلقاً على علاقة جيدة مع المديرين الفنيين ولا مع الإداريين، بسبب عادته فـي عصيان

الأوامر وهوسه الدائم فـي التنديد بثقافة المال التي تحول كرة القدم إلى مادة أخرى فـي بورصة الأسعار.

قتـل الأب

فـي أواخر شتاء عام 1993 لعب المنتخب الكولومبي فـي بوينس آيرس إحدى مباريات التأهيل للمونديال. وعندما دخل اللاعبون الكولومبيون إلى الملعب، جرى استقبالهم بالصفير والاستنكار والسباب. وعندما خرجوا ودعهم الجمهور واقفاً، وبتصفيق حار مازال دويه مسموعاً إلى الآن.

لقد خسرت الأرجنتين 5/صفر. وكالعادة، كان حارس المرمى هو الذي حمل صليب الهزيمة، ولكن انتصار الفريق الأجنبي قوبل باحتفالية لم يعرف لها مثيل من قبل. فقد شكر الأرجنتينيون بالإجماع لعب الكولومبيين العجيب، ذلك الترف للأقدام، والمتعة للعيون: إنها رقصة تبتدع موسيقاها الخاصة. فالمتأنق **بيبي** بالديراما، الخلاسي الشعبي، كان يثير حسد الأمراء، وكان اللاعبون الزنوج هم ملوك الحفلة: فلم يكن هناك من هو قادر على تجاوز بيرارا، ولا من هو قادر على وقف **الترين** فالينسيا، ولا من هو قادر على التعامل مع مجسات **الأخطبوط** آسبريلا، ولا من هو قادر على صدّ قذائف رينكون. وبسبب لون البشرة ولون البهجة، بدا ذلك الفريق وكأنه فريق البرازيل فـي أفضل أزمانه.

لقد أطلق الكولومبيون على مباراة الأهداف الكثيرة تلك اسم مباراة **قتل الأب**. فقبل نصف قرن من الزمان، كان الأرجنتينيون هم آباء كرة القدم فـي بوغوتا وميدلين وكالي. ولكن بيديرنيرا، وديستيفانو، وروسي، وريال، وبونتوني، ومورينو وغيرهم من اللاعبين الأرجنتينيين أنجبوا فـي كولومبيا ابناً أقرب إلى

البرازيلية .. إنها شؤون الحياة.

هـدف زيكـو

حدث ذلك فـي عام 1993. ففـي طوكيو، كان نادي كاشيما يتبارى على كأس الإمبراطور مع نادي توهوكو سينداي.

اللاعب البرازيلي زيكو، نجم نادي كاشيما، هو الذي حقق هدف الفوز وكان أجمل هدف فـي حياته. جاءت الكرة فـي الوسط متقاطعة من الجهة اليمنى. وزيكو الذي كان فـي قوس منطقة الجزاء، دخل بأقصى سرعة. ولكنه تجاوز الكرة، وعندما لاحظ أن الكرة تتخلف عنه، تشقلب فـي الهواء مثل خروف، وبينما هو طائر، ووجهه إلى الأرض، ركلها بكعبه. لقد كانت حركة دبل كيك، ولكن بالمقلوب.

وكان العميان يطلبون:

ـ صِفوا لنا هذا الهدف.

ريـاضـة هـروب

حين كانت إسبانيا ما تزال تعاني من دكتاتورية فرانكو، كان رئيس ريال مدريد يحدد مهمة كرة القدم كما يلي:

ـ إننا نقدم خدمة إلى الأمة. فما نريده هو إبقاء الناس سعداء.

وزميله رئيس الآتلتيكو مدريد، فيثنتي كالديرون، كان يمتدح كذلك فضائل هذا الفاليوم الجماعي:

ـ كرة القدم مناسبة لكي لا يفكر الناس بأشياء أخرى خطيرة.

فـي عامي 1993 و1994، تعرض عدد من مسؤولي كرة القدم للتنديد، بل وللمحاكمة أيضاً، بسبب احتيالات متنوعة. عندئذ تبين ـ مرة أخرى ـ بوضوح أن كرة القدم ليست وسيلة للهروب من التوترات الاجتماعية وحسب، وإنما هي تنفع كذلك لتهريب

رؤوس الأموال والتهرب من الضرائب.

لقد راح الزمن الذي كانت فيه أهم الأندية فـي العالم ملكاً للمشجعين واللاعبين الذين ينضمون إلى عضويتها. ففـي تلك الأزمنة النائية كان رئيس النادي يحمل سطلاً وفرشاة ليخط بالكلس حدود الملعب، وأكبر هدر كان يمارسه المسؤولين آنذاك يتلخص فـي إقامة مأدبة احتفالية فـي مقهى الحارة. أما اليوم، فصارت هذه الأندية شركات مغفلة تتصرف بثروات طائلة للتعاقد مع لاعبين وبيع الاستعراضات، وقد اعتادت على الاحتيال على الدولة وخداع الجمهور وخرق قوانين العمل وكل القوانين الأخرى. وقد اعتادت كذلك على الإفلات من العقاب. فليس هناك شركة متعددة الجنسيات أكثر بعداً عن العقاب من الفيفا التي تضمهم جميعاً. فلدى الفيفا عدالتها الخاصة. ومثلما فـي ***أليس فـي بلاد العجائب***، فإن هذه العدالة تصدر حكمها أولاً ثم تُجري المحاكمة فيما بعد، فهناك على الدوام متسع من الوقت.

إن كرة القدم تُسير على هامش القانون، فـي أرض مقدسة تملي فيها قوانينها الخاصة وتتجاهل جميع قوانين الآخرين. ولكن، لماذا يتصرف القانون على هامش كرة القدم؟ من النادر أن يتجرأ الحكام على سحب بطاقة حمراء ضد المسؤولين فـي الأندية الكبيرة بالرغم من أنهم يعرفون أن بهلوانات الحسابات هؤلاء يُدخلون أهدافاً ممنوعة فـي خزينة الجمهور ويتركون أنظمة اللعب النظيف مطروحة على الأرض. ما يحدث، ببساطة، هو أن الحكام يعرفون أيضاً أنهم يغامرون بصفارة ضارية إذا هم مارسوا الصرامة. فكرة القدم الاحترافية لا يمكن المس بها، لأنها شعبية. فالمشجعون يقولون ويؤمنون بأن مسؤولي كرة القدم «يسرقون من أجلنا».

والفضائح الأخيرة أثبتت أن هناك بعض الحكام المستعدين لتحدي هذه التقالد فـي الإفلات من العقاب، وقد ساهموا فـي الكشف، على الأقل، أمام الرأي العام عن البهلوانيات المالية وألعاب الأقنعة التي يمارسها بانتظام بعض أثرى الأندية فـي العالم.

فرئيس نادي بيروجيا الإيطالي الذي اتهم فـي عام 1993

بشراء الحكام، شن هجوماً معاكساً قال فيه منددا:
ـ ثمانون بالمئة من كرة القدم يعمه الفساد.

ويتفق الخبراء على أنه قلص النسبة. فكل الأندية الكبيرة فـي إيطاليا، من الشمال إلى الجنوب، ابتداء من ميلان وتورينو وحتى نابولي وكاجليري، متورطة بهذه الدرجة أو تلك فـي الاحتيال. وقد ثبت أن حساباتهم المزيفة تخفـي ديوناً أكبر من رأس المال بعدة مرات، وأن مسؤوليها يديرون صناديق سوداء، ومؤسسات وهمية وحسابات مصرفية سرية فـي سويسرا، وأنهم لا يدفعون ضرائب ولا تأمينات اجتماعية ولكنهم يدفعون بالمقابل مبالغ كبيرة مقابل خدمات لم يقدمها أحد، وأن اللاعبين يتلقون عادة نقوداً أقل بكثير من تلك التي تخرج بأسمائهم من الصندوق ثم تضيع فـي الطريق.

وهذه الحيل نفسها شائعة فـي أكبر الأندية الفرنسية. فقد رُفعت شكوى ضد بعض مسؤولي نادي بوردو بسبب استغلالهم الأرصدة لمنفعتهم الشخصية، وخضعت رئاسة نادي أوليمبيك مرسيليا للمحاكمة بتهمة رشوة الخصوم. وجرى إنزال الأولمبيك، أقوى الأندية الفرنسية، إلى الفئة الثانية وفقد ألقاب بطولة فرنسا وبطولة أوربا عندما ثبت فـي عام 1993 أن مسؤوليه قد قدموا رشوة إلى بعض لاعبي النادي البلنسي عشية مبارتهما. وقد قوضت هذه الحادثة المسيرة الرياضية والتطلعات السياسية لرجل الأعمال بيرنار تابيه، وانتهى إلى الإفلاس وحُكم عليه بالحبس مدة سنة.

وفـي الوقت نفسه خسر نادي ليغيا، بطل بولونيا، لقبه لأنه كان قد **رتب أمر** مباراتين. وشكا نادي توتينهام هوتسبور الإنكليزي بأنهم قد طالبوه بدفع عمولة سرية مقابل تحويل لاعب من نوتينغهام فورست. وفـي أثناء ذلك كان نادي لوتون الإنكليزي يخضع للتفتيش بسبب التهرب من الضرائب.

وقد انفجرت على التوالي عدة فضائح جرمية فـي كرة القدم فـي البرازيل. فرئيس نادي بوتافوغو استنكر إقدام مسؤولي كرة القدم فـي ريو دي جانييرو على احتكار سبع مباريات فـي عام 1993، فجنى بذلك أموالاً طائلة من المراهنات. وفـي ساو باولو

كانت هناك شكاو أخرى كشفت أن الآمر الأعلى فـي كرة القدم المحلية قد تحول إلى الثراء بين عشية وضحاها، ولدى تفحص بعض الحسابات الوهمية أمكن معرفة أن ثروته المفاجئة لم تأت من التفاني الرسولي النبيل فـي الرياضة. وإذا كان هذا كله قليلاً، فإن رئيس الاتحاد البرازيلي لكرة القدم، ريكاردو تيكسيرا، تعرض لشكوى أمام المحاكم رفعها عليه بيليه الذي اتهمه بالإثراء غير المشروع من خلال بيع حقوق بث المباريات فـي التلفزيون. ورداً على اتهام بيليه، قام هافيلانج بتعيين تيكسيرا، وهو صهره، فـي جهاز رئاسة الفيفا.

قبل ألفـي سنة تقريباً من كل هذا، أورد البطريرك الإنجيلي الذي كتب ***أعمال الرسل***، قصة اثنين من المسيحيين الأوائل، هما حانينا وامرأته سفيرة. كان حانينا وسفيرة قد باعا حقلاً وكذبا حول الثمن الذي تلقياه. وحين علم الرب بالاختلاس، صعقهما فـي الحال.

لو كان لدى الرب وقت ليهتم بشؤون كرة القدم، فكم من مسؤوليها سيبقون أحياء؟

مـونـديـال 1994

ينتفض هنود المايا انتفاضة مسلحة فـي منطقة تشيباس، إنها المكسيك العميقة تصفع وجه المكسيك الرسمية، ومعاون القائد ماركوس [من رجال حركة حرب العصابات] يذهل العالم بأسره بكلامه عن السخرية والحب.

يموت الكاتب خوان كارلوس أونيتي، روائي ظلال الروح. وفـي مضمار سباق أوربي غير آمن يُدق عنق البرازيلي آيرتون

سينا، بطل العالم في سباق السيارات. الصرب والكروات والمسلمون يقتتلون فيما بينهم في يوغسلافيا المجزأة. وفي رواندا يحدث شيء مشابه، ولكن التلفزيون لا يتحدث عن شعوب وإنما عن قبائل، ويعرض العنف كما لو أنه أمر من أمور الزنوج.

ورثة عمر توريخوس يكسبون الانتخابات في بنما، بعد أربع سنوات من الغزو الدامي والاحتلال غير المجدي الذي قامت به القوات الأمريكية. والقوات الأمريكية تنسحب من الصومال، حيث أرادت أن تقاتل الجوع بالرصاص. جنوب أفريقيا تصوت لمانديلا. الشيوعيون الذين صار اسمهم اشتراكيين، يفوزون بالانتخابات البرلمانية في ليتوانيا، وأوكرانيا، وبولونيا، وهنغاريا، التي اكتشفت أن للرأسمالية أيضاً عيوبها، ولكن دار التقدم في موسكو، التي كانت تنشر من قبل أعمال ماركس ولينين، تحولت إلى نشر المختار من ***ريدرز دايجست***. مصادر حسنة الإطلاع في ميامي تعلن أن سقوط فيدل كاسترو صار وشيكاً، وأن انهياره هو مسألة ساعات فقط.

فضائح الفساد تطحن الأحزاب السياسية الإيطالية، والسلطة الشاغرة يحتلها بيرلوسكوني، الثري المحدث الذي كان يمارس دكتاتورية التلفزيون باسم التنوع الديمقراطي. وقد توج بيرلوسكوني حملته الانتخابية الناجحة بشعار مسروق من ملاعب كرة القدم، بينما كانت البطولة العالمية الخامسة عشرة بكرة القدم تُفتتح في الولايات المتحدة، وطن البيسبول.

كان اهتمام الصحافة الأمريكية ضئيلاً بالمسألة، وقد علقت عليها بهذه الطريقة تقريباً: «كرة القدم هي رياضة المستقبل هنا، وستبقى كذلك على الدوام». ولكن الاستادات كانت مزدحمة على

الرغم من الشمس التي تُذيب الحجارة. فمن أجل إرضاء التلفزيونات الأوربية، جرت أهم المباريات فـي الظهيرة، مثلما كان قد جرى فـي مونديال 1986 فـي مكسيكو.

شارك فـي البطولة ثلاثة عشر منتخباً أوربياً، وستة منتخبات أمريكية، وثلاثة أفريقية، وكوريا الجنوبية والعربية السعودية. وقد مُنحت ثلاث نقاط عن كل فوز بدلاً من نقطتين، للتخفيف من التعادل؛ ومن أجل كبح العنف كان الحكام أشد صرامة، فأسرفوا فـي الإنذارات وفـي الطرد على امتداد البطولة. وللمرة الأولى ظهر الحكام بملابس ملونة، وسُمح للمرة الأولى أيضاً بإدخال لاعب احتياطي ثالث لكل فريق، ليحل محل حارس المرمى فـي حال إصابته.

لعب مارادونا مونديالـه الأخير، وكان احتفالاً فـي لعبه إلى أن سقط مهزوماً فـي المخبر الذي فحص بوله بعد مباراته الثانية. ولولا وجوده ووجود كانيغيا لكان المنتخب الأرجنتيني قد انتهى. نيجيريا قدمت كرة القدم الأكثر متعة فـي الكأس. وبلغاريا، فريق ستويشكوف، فازت بالموقع الرابع بعد أن أخرجت المنتخب الألماني المرهوب. والموقع الثالث احتلته السويد. أما إيطاليا فلعبت المباراة النهائية ضد البرازيل. وكانت مباراة مملة، ولكن ما بين تثاؤب وتثاؤب، قدّم روماريو وباجيو بعض الدروس الجيدة فـي كرة القدم. وقد انتهى التمديد دون أهداف. وعند الحسم بضربات الجزاء الترجيحية، فازت البرازيل 2/3 وتكرست بطلاً للعالم.

تاريخ باهر: البرازيل هي البلد الوحيد الذي شارك فـي كل بطولات كأس العالم، والبلد الوحيد الذي فاز بالبطولة أربع مرات، والبلد الذي فاز بأكبر عدد من المباريات، والذي سجل أكبر عدد من الأهداف.

فـي كأس 1994، تصدر قائمة الهدافين كل من البلغاري ستويشكوف والروسي سالينوك بستة أهداف لكل منهما، تلاهما البرازيلي روماريو، والإيطالي باجيو، والسويدي اندسون، والألماني كلينسمان، بخمسة أهداف لكل منهم.

رومــاريــو

من يدري من أي منطقة من الهواء هو آت، فالنمر يظهر، يوجه الضربة بمخلبه ويخفـي. ولا يكون لدى حارس المرمى المحبوس فـي قفصه متسع من الوقت ليرمش بعينيه. ففـي ومضة خاطفة يوجه روماريو ضرباته الجانبية أو الدبل كيك أو الطائرة أو بالكعب أو بمقدمة القدم أو بمشطها.

ولد روماريو فـي البؤس، فـي حي جاكاريزينهو، ولكنه منذ طفولته كان يتدرب على توقيع اسمه من أجل الاوتوغرافات الكثيرة التي سيوقع عليها فـي الحياة. تسلق الشهرة دون أن يدفع ضريبة النفاق الإجباري: فهذا الرجل الفقير جداً منح نفسه على الدوام ترف أن يفعل ما يشاءه، فكان هذا المحب للمتع الليلية والحفلات، يقول ما يفكر به دون أن يفكر بما يقول.

لديه الآن مجموعة من سيارات المرسيدس بنز ومئتين وخمسين زوجاً من الأحذية، ولكن أفضل أصدقائه مازالوا هم أولئك الباحثين عن لقمة العيش البائسين الذين علموه فـي طفولته أسرار الركلات الخاطفة.

بـاجيــو

فـي هذه السنوات الأخيرة لم يقدم أحد إلى الإيطاليين كرة قدم أفضل منه أو موضوع حديث أوسع. فكرة قدم روبيرتو باجيو تتضمن سحراً سرياً: الساقان تفكران وحدهما، والقدم تشوط من تلقاء نفسها، والعينان تريان الهدف قبل حدوثه.

باجيو كله هو ذيل حصان يتقدم مبعثراً الناس فـي ترنح أنيق. الخصوم يحاصرونه، يعضونه، يضربونه بقسوة. أما باجيو

فيحمل وصايا بوذية مكتوبة تحت عصابة الكابتن المعلقة على ذراعه. وبوذا لا يحمي من الركلات، ولكنه يساعد على تحملها. ومن سكونه اللانهائي أيضاً يساعد في اكتشاف الصمت فيما وراء صخب الهتاف والصفير.

أرقام صغيرة

ما بين عامي 1930 و1994، فازت أميركا بثمان بطولات عالمية وفازت أوربا بسبع بطولات. لقد أحرزت البرازيل اللقب أربع مرات، والأرجتين والارغواي مرتين لكل منهما. وكانت إيطاليا وألمانيا بطلين للعالم ثلاث مرات لكل منهما، وفازت بريطانيا بالكأس الذي جرت المنافسة عليه في ملاعبها فقط.

ومع ذلك، فقد كانت أوربا تتمتع بضعف الاحتمالات بسبب الحضور الساحق لأغلبية منتخباتها. وعلى امتداد الخمسة عشر مونديالاً، كان هناك 159 احتمال فوز للأوربيين مقابل 77 احتمالاً فقط للأمريكيين. أضف إلى ذلك أن الأغلبية الساحقة من الحكام كانت من الأوربيين.

وعلى العكس من البطولات العالمية، فإن كؤوس القارات للأندية قدمت فرصاً متماثلة لفرق أميركا وأوربا. وفي هذه البطولات، حيث تتنافس الأندية وليس المنتخبات الوطنية، فاز الأمريكيون عشرين مرة والأوربيون ثلاث عشرة مرة.

وضع بريطانيا العظمى هو الأكثر إثارة للاستغراب في عدم المساواة في بطولات كرة القدم العالمية. لقد أوضحوا لي في طفولتي أن الرب واحد ولكنه ثلاثة: أب وابن وروح قدس. ولم أستطع أن أفهم ذلك مطلقاً. وما زلت حتى الآن لا أفهم أيضاً لماذا تكون بريطانيا العظمى واحدة ولكنها أربع: إنكلترا واسكتلندا وأيرلندا الشمالية وبلاد الغال؛ بينما إسبانيا وسويسرا، على سبيل المثال، لا تعتبر كل منهما إلا واحدة على الرغم من تعدد القوميات فيهما.

لقد بدأ يتفتت على كل الحال الاحتكار التقليدي الأوربي الذي

تقاسمته القارة العجوز حتى الآن، وبصعوبة، مع أميركا. فحتى مونديال 1994، كانت الفيفا تقبل هذا البلد أو ذاك من مناطق العالم الأخرى، مثل من يدفع ضريبة لخريطة العالم. وابتداء من مونديال 1998 سيرتفع عدد البلدان المشاركة من 24 إلى 32. وستحافظ أوربا على نسبتها المجحفة بالمقارنة مع أميركا، ولكنها لن تجد مفراً من قبول فرص مشاركة أكثر لبلدان جنوب الصحراء، أفريقيا السوداء بكرتها السعيدة والسريعة في ذروة الانفجار، وكذلك للبلدان العربية والآسيوية التي كانت محكومة حتى الآن بالتفرج على كرة القدم من الخارج، مثل الصينيين الذين كانوا رواد اللعبة، واليابانيين ***أبناء امبراطورية الهدف المشرق***.

خطيئة الخسارة

كرة القدم ترفع آلهتها إلى الأعالي وتُعرّض معتنقيها للانتقام. فبالكرة بين قدميه، وألوان العلم الوطني على صدره، ينطلق اللاعب مجسداً الأمة لاقتحام الأمجاد في ميادين معارك بعيدة. وعندما يرجع المحارب مهزوماً فإنه ملاك ساقط. في عام 1958، ألقى الناس في مطار إيزايزا في بوينس آيرس قطعاً من النقود على لاعبي المنتخب الأرجنتيني الذين أدوا دوراً سيئاً في مونديال السويد. وفي مونديال 1982، أخطأ كازيلي في ضربة

جزاء، فجعل الناس عيشه مستحيلاً في تشيلي. وبعد عشر سنوات من ذلك طلب بعض اللاعبين الإثيوبيين من الأمم المتحدة منحهم حق اللجوء بعد خسارتهم 1/6 أمام مصر.

نحن موجودون لأننا نفوز. فإذا خسرنا لا يعود لنا وجود. لقد تحول قميص المنتخب الوطني إلى أهم رمز لا ريب فيه للهوية الجماعية، وليس ذلك في البلدان الفقيرة والصغيرة وحدها التي تعتمد على كرة القدم لكي تظهر على الخريطة. فعندما خرجت إنكلترا من تصفيات مونديال 1994، خرجت الديلي ميرور اللندنية بعنوان في صفحتها الأولى يجسد الكارثة: **إنها نهاية العالم**.

في كرة القدم، كما في كل شيء، الخسارة ممنوعة. ففي نهاية هذا القرن صار الإخفاق هو الخطيئة الوحيدة التي ليس لها علاج. خلال مونديال 1994، أحرقت حفنة من المتعصبين بيت جوزيف بيل، حارس مرمى الكاميرون المهزوم. واللاعب الكولومبي أندريس إسكوبار سقط صريعاً بالرصاص في ميدلين. فقد شاء سوء حظ إسكوبار أن يُدخل هدفاً ضد فريقه، فاقترف بذلك خيانة لا تغتفر بحق الوطن.

أهو ذنب كرة القدم أم ذنب ثقافة النجاح وكل نظام السلطة الذي تعكسه وتتضمنه كرة القدم الاحترافية؟ فكرة القدم كرياضة، محكوم عليها بأنها تولّد العنف، مع أن العنف يستخدمها أحياناً كصمام تنفيس. ليس صدفة أن اغتيال إسكوبار قد جرى في واحد من أكثر بلدان الكوكب عنفاً. العنف ليس موجوداً في

جينات الشعب الكولومبي، وهو شعب يحتفـي بالحياة، ومجنون بالمباهج الموسيقية والكروية، يعاني من العنف كداء، ولكنه ليس وسماً لا يمحى على جبهته. أما النظام بالمقابل، فهو عامل عنف بالفعل: فمظالمه وإذلاله، كما فـي كل أنحاء أميركا اللاتينية، تسمم روح الناس، وسُلّم قيمه يكافئ من ليس لديهم وازع من ضمير، وتسامحه التقليدي مع المجرمين يشجع الجريمة ويساعد على ترسيخها كعادة وطنية.

قبل شهور من بدء مونديال 1994، نُشر التقرير السنوي لمنظمة العفو الدولية. وحسب هذه المنظمة، جرى فـي كولومبيا «إعدام مئات الأشخاص بصورة غير رسمية على يد القوات المسلحة أو حلفائها فـي المنظمات شبه العسكرية فـي عام 1993. ومعظم ضحايا الاعدامات غير الرسمية هم أشخاص ليست لهم علاقات سياسية معروفة».

وقد أماط تقرير منظمة العفو الدولية كذلك اللثام عن مسؤولية الشرطة الكولومبية فـي عمليات **التطهير الاجتماعي،** وهي تسمية ملطفة لعمليات إبادة الشاذين جنسياً، والعاهرات، ومدمني المخدرات، والمتسولين، والمصابين بأمراض عقلية، وأطفال الشوارع. وكان المجتمع يطلق على هؤلاء تسمية «المنبوذين»، وهذا يعني: قمامة بشرية تستحق الموت.

وفـي هذا العالم الذي يعاقب على الإخفاق، يكون هؤلاء هم الخاسرون دائماً.

لعب، فاز، بال، خسر. كشف التحليل عن وجود إيفدرين وأنهى مارادونا مونديالـه فـي 1994 على أسوأ حال. الإيفدرين لا يعتبر عقاراً منشطاً فـي الرياضة الاحترافية فـي الولايات المتحدة وفـي بلدان أخرى كثيرة، ولكنه محظور فـي المنافسات الدولية.

كان هناك ذهول واستنكار. أصداء الإدانة الأخلاقية سببت الصمم للعالم بأسره، ولكن على الرغم من ذلك سُمعت بعض الأصوات المؤيدة للمعبود الذي سقط. ولم تكن تلك الأصوات من بلده الموجوع والمذهول الأرجنتين، وإنما من أماكن بعيدة جداً مثل بنغلادش، حيث جابت الشوارع مظاهرة واسعة تشجب الفيفا وتطالب بإعادة المطرود. لقد كان من السهل محاكمته على أي حال، ومن السهل أيضاً إدانته، إنما لم يكن من السهل أبداً نسيان أن مارادونا كان يقترف منذ سنوات خطيئة أن يكون الأفضل، وخطيئة أن يندد بأعلى صوته بالأشياء التي يأمر النظام بالصمت عنها، ويقترف جريمة اللعب الأعسر، وهو ما يسميه معجم لاروس الصغير المصور «الأيسر»، ولكنه يعني كذلك «عمل عكس ما يتوجب عمله».

لم يستخدم دييغو آرماندو مارادونا المنشطات مطلقاً عشية المباريات من أجل مضاعفة قدرته الجسدية. صحيح أنه كان قد تورط فـي تعاطي الكوكائين، ولكنه كان يتعاطاه فـي الحفلات الكئيبة، لكي ينسى ويُنسى، حين صار محاصراً بالشهرة التي لم تعد تسمح له بالعيش. وقد كان يلعب أفضل من الجميع رغماً عن الكوكائين وليس بفضله.

لقد كان مثقلاً بوزن شخصيته. وكانت لديه مشاكل فـي العمود الفقري منذ ذلك اليوم البعيد الذي هتفت فيه الحشود باسمه لأول مرة. وكان مارادونا يحمل شحنة ثقيلة اسمها مارادونا ينوء بها كاهله. لقد كان الجسد مثل تورية: ساقاه تؤلمانه، ولا يستطيع النوم دون حبوب. ولم يتأخر طويلاً فـي ملاحظة أن العمل كإله

فـي الاستادات هو مهمة لا تطاق، ولكنه عرف منذ البداية أنه من المستحيل التخلي عن ذلك. «إنني بحاجة إلى أن يحتاجوا إلي»، اعترف بذلك بعد أن أمضى سنوات وهو يحمل الهالة فوق رأسه، خاضعاً لطغيان المردود الذي يفوق طاقة البشر، متخماً بالكورتيزون والمُسكّنات والهتاف، محاصراً بمطالب مؤلهيه وأحقاد المسيئين إليه.

إن متعة تدمير الآلهة تتناسب بصورة مباشرة مع الحاجة إلى امتلاكهم. فعندما ضربه غويكوتشيا فـي إسبانيا من الخلف، ودون أن تكون الكرة معه، أبقاه خارج الملاعب لعدة شهور، ولم يعدم يومئذ متعصبون حملوا على الأكتاف مقترف ذلك القتل المشروع، وكان هناك فـي العالم بأسره أناس مستعدون للاحتفال بسقوط الجنوبي المتكبر الدخيل على القمم، هذا الثري الجديد الذي فر من الجوع ويتباهى بالغطرسة والسفاهة.

وبعد ذلك صار مارادونا فـي نابولي القديس مارادونا، وتحول القديس جينارو إلى القديس جينارماندو. وصارت تباع فـي الشوارع صور الإله ذي السروال القصير، مضاءة بتاج السيدة العذراء أو ملفوفة بعباءة القديس الذي ينزف كل ستة شهور، وكانت تباع كذلك توابيت لأندية الشمال الإيطالي، وقوارير مملوءة بدموع سيلفيو بيرلوسكوني. وكان الأطفال والكلاب يظهرون بشعور مستعارة مثل شعر مارادونا. وكانت هناك كرة عند قدمي تمثال دانتي، وأُلبس تمثال تريتون الذي فـي النافورة قميص نادي نابولي الأزرق. لقد مضى أكثر من نصف قرن دون أن يكسب فريق المدينة أي بطولة، وكانت مدينة محكوم عليها بغضب بركان فيزوس وبالهزيمة الأبدية فـي ملاعب كرة القدم، ولكن بفضل مارادونا تمكن الجنوب الإيطالي الأسمر أخيراً من إذلال الشمال الأبيض الذي يزدريه. وكأساً بعد كأس راح نادي نابولي ينتصر فـي البطولات الإيطالية والأوربية، وكل هدف كان يعتبر تدنيساً وانتهاكاً للنظام السائد وانقلاباً مضاداً لمسار التاريخ. وفـي ميلان كانوا يكرهون المذنب فـي هذه الإهانة التي يقترفها الفقراء الخارجين من مكانهم، فأطلقوا عليه لقب ***رول الجامبون***. ولم يقتصر الأمر على ميلان

وحدها: ففـي مونديال 1990، كانت غالبية الجمهور تعاقب مارادونا بالصفير الساخط كلما لمس الكرة، وقد احتُفل فـي إيطاليا بهزيمة الأرجنتين أمام ألمانيا وكأنها انتصار إيطالي.

وعندما قال مارادونا إنه يريد الذهاب من نابولي، كان هناك من ألقوا إليه من النافذة دمى من الشمع غرست فيها دبابيس. وبينما هو أسير المدينة التي تعبده، وأسير ***الكامورا***، المافيا التي تتحكم بالمدينة، صار يلعب بدون قلب، وبدون قدم؛ وعندئذ انفجرت فضيحة الكوكائين. وتحول مارادونا فجأة إلى ماراكوكا، وإلى جانح أوهم الناس بأنه بطل.

وفيما بعد، فـي بوينس آيرس، نقل التلفزيون تصفية الحسابات الثاني: الاعتقال فـي بث حي ومباشر، وكأنه مباراة، لإمتاع من يستمتعون بمشهد الملك العاري الذي تقتاده الشرطة معتقلاً.

قالوا: «إنه مريض»، وقالوا: «لقد انتهى». المسيح الذي استدعي لإنقاذ إيطاليي الجنوب كان هو نفسه أيضاً من ثأر لهزيمة الأرجنتين فـي حرب المالوين، بهدف مخادع وهدف آخر رائع، أبقى الإنكليز يلفون مثل الدوامة لعدة سنوات؛ ولكنه عندما سقط، لم يعد **الطفل الذهبي** سوى مهرج . فمارادونا خان الأطفال وألحق العار بالرياضة. فاعتبروه ميتاً.

ولكن الجثة نهضت قافزة. فبعد انتهاء عقوبة الكوكائين، كان مارادونا هو إطفائي المنتخب الأرجنتيني الذي كان يحرق آخر احتمالاته فـي الوصول إلى مونديال 1994. وبفضل مارادونا استطاع الوصول. وفـي المونديال كان مارادونا من جديد، مثلما فـي الأزمنة السابقة، هو الأفضل، عندما انفجرت فضيحة الإفيدرين.

كان قد ألحق الإهانة بآلية السلطة. فقد تمادى فـي الكلام، وهذا سلوك له ثمنه، والثمن يُدفع نقداً ودون حسم. وقد وفر لهم مارادونا نفسه الذريعة بميله الانتحاري لتقديم نفسه على طبق لأعدائه الكثيرين، وبتلك اللامسؤولية الطفولية التي تدفعه إلى الوقوع فـي أي فخ يُنصب فـي طريقه.

والصحفيون أنفسهم الذين كانوا يحاصرونه بالميكرفونات،

صاروا يلومونه لعجرفته ونزقه، ويتهمونه بكثرة الكلام. ولم تكن تنقصهم الأسباب؛ ولكن ليس هذا هو الذنب الذي لا يستطيعون غفرانه له: ففـي الواقع لم يكن يروقهم ما يقوله أحياناً. فهذا السفيه الذي يرد بتكبر وبحدة اعتاد أن يوجه الضربات كذلك إلى أعلى. ففـي مونديالي 1986 و1994 فـي المكسيك والولايات المتحدة ندد بسلطة التلفزيون الدكتاتورية التي تجبر اللاعبين على هدّ ظهورهم فـي منتصف النهار، والاحتراق تحت الشمس الساطعة، وكان مارادونا فـي ألف مناسبة ومناسبة أخرى على امتداد حياته الرياضية المتعثرة، قد قال أشياء حركت وكر الزنابير. صحيح أنه لم يكن اللاعب الوحيد المتمرد، ولكن صوته هو الذي أحدث أصداء عالمية للأسئلة التي لا تطاق: لماذا لا تسود فـي كرة القدم الأنظمة العالمية لقانون العمل؟ وإذا كان كل فنان يعرف ما هي أرباح **الاستعراض** الذي يقدمه، فلماذا لا يمكن للاعبين أن يعرفوا الحسابات السرية لشركة كرة القدم متعددة الجنسيات الضخمة؟ وكان هافيلانج يصمت، مشغولاً بأمور أخرى، وجوزيف بلاتير، بيروقراطي الفيفا الذي لم يركل كرة طوال حياته، ويركب سيارة ليموزين طولها ثمانية أمتار وفيها سائق زنجي، كان يكتفـي بالقول:

- ***آخر نجم أرجنتيني هو ديستيفانو.***

وعندما طُرد مارادونا أخيراً من مونديال 1994، فقدت ملاعب كرة القدم متمردها الأكثر صخباً. وفقدت كذلك لاعباً رائعاً. مارادونا هو شخص يفقد السيطرة على نفسه عندما يتكلم، ولكنه يفقد السيطرة على نفسه أكثر عندما يلعب: لا يمكن لأحد أن يتكهن مسبقاً بالشيطنات التي سيقدم عليها مبدع المفاجآت هذا الذي لا يكرر ألعابه مطلقاً ويستمتع بتشويش أجهزة الحاسوب. ليس باللاعب السريع هذا الثور الصغير قصير الساقين، ولكنه يخيط الكرة إلى قدمه، وله عيون فـي كل أنحاء جسده. وفنونه البهلوانية تشعل الحماس فـي الملاعب. إنه قادر على حسم مباراة بتوجيه رمية صاعقة وهو يدير ظهره إلى المرمى أو بتقديم تمريرة مستحيلة، من بعيد، حين يكون محاصراً بآلاف الإقدام المعادية؛ وليس هناك من يستطيع وقفه حين ينطلق لمراوغة

الخصوم.

فـي كرة قدم نهاية هذا القرن العاجزة، التي تطالب بالربح وتمنع المتعة، كان هذا الرجل هو أحد القلة الذين أثبتوا أنه يمكن للخيال أن يكون فعالاً أيضاً.

إنـهـم لا يوخـزون ولا يجـرحـون

فـي أواخر عام 1994 بدأ مارادونا وستويشكوف وبيبتو وفرانسيسكولي ولاودروب وساموانو وهوغو سانتشيز ولاعبون آخرون بالعمل من أجل تأسيس نقابة دولية للاعبي كرة القدم.

فحتى الآن كان أبطال الاستعراض يتألقون بغيابهم عن مؤسسات السلطة التي تُتخذ فيها القرارات. فليس لهم الحق فـي قول أي كلمة فـي مستويات إدارة كرة القدم المحلية، ولا يمكن لهم أن يُسمعوا صوتهم فـي مؤتمرات قمة الفيفا، حيث يتم تقاسم السمكة على الصعيد العالمي.

اللاعبون، ماهم؟ أهم قردة السيرك؟ ومع أنهم يلبسون الحرير، هل يبقون قردة؟ فهم لا يستشارون مطلقاً عند إقرار متى وأين وكيف سيجري اللعب. البيروقراطية الدولية تبدل قواعد اللعب على هواها، دون أن تكون للاعبين أية كلمة فـي ذلك. بل إنهم لا يستطيعون أن يعرفوا كم من الأموال تنتجها أقدامهم، وإلى أين تذهب تلك الثروات الهاربة.

وبعد سنوات طويلة من الإضرابات والتحركات النقابية المحلية، تمكن اللاعبون من تحسين ظروف عقودهم، ولكن تجار كرة القدم مازالوا يعاملونهم كما لو كانوا مجرد آلات تباع وتشترى وتعار.

ـ ***مارادونا استثمار رابح*** ـ هذا ما كان يقوله رئيس نادي نابولي.

لدى الأندية الأوربية، وبعض الأندية الأمريكية اللاتينية الآن أطباء نفسانيين، كما فـي المصانع: والمسؤولون لا يدفعون

لأولئك الأطباء من أجل تقديم العون للأرواح القلقة، وإنما من أجل تشحيم الآلات ورفع مردوديتها. أهناك مردودية رياضية؟ بل مردودية فـي الشغل: مع أن اليد العاملة فـي هذه الحالة تصبح القدم العاملة، إلا أن الحقيقة هي أن اللاعبين المحترفين يقدمون قوة عملهم لمصانع الاستعراضات، التي تطالبهم بالإنتاجية القصوى مقابل أجر. والمبادلة تعتمد على المردود؛ وكلما دفعوا أجراً أعلى، كانت مطالبهم أكبر. إنهم يتدربون من أجل أن يربحوا أو يربحوا، ويُعتصرون حتى آخر كالوري(حريرة)، ويطلب منهم أكثر مما يُطلب من أحصنة السباق. أنقول أحصنة السباق؟ ولكن اللاعب الإنكليزي بول غاسكوين يفضل مقارنة نفسه بفروج المداجن:

ـ نحن اللاعبون مثل فراريج المداجن: حركات مراقبة، أنظمة صارمة، تصرفات ثابتة يجب تكرارها على الدوام.

وبالمقابل، يمكن لنجوم كرة القدم أن يتقاضوا أجوراً جيدة جداً خلال فترة تألقهم العابر. والأندية تدفع لهم الآن أكثر بكثير مما كانت تدفعه قبل عشرين أو ثلاثين سنة، ويمكن لهم كذلك أن يبيعوا اسمهم أو رسمهم للإعلانات التجارية. ولكن مآثر معبودي كرة القدم على أي حال لا تكافأ بالكنوز الخرافية التي يتخيلها الناس. لقد نشرت مجلة ***فوربيس*** قائمة بأسماء أربعين رياضياً حققوا أعلى مكاسب مالية فـي عام 1994. ولم يكن بينهم سوى لاعب كرة قدم واحد هو الإيطالي روبرتو باجيو، وترتيبه فـي أحد المواقع الأخيرة فـي القائمة.

وماذا عن آلاف اللاعبين الذين ليسوا نجوما؟ ماذا عن أولئك الذين لا يتمكنون من دخول مملكة الشهرة ويستمرون بالدوران فـي البوابات الدوارة؟ من بين كل عشرة لاعبين فـي الأرجنتين، هناك ثلاثة فقط يستطيعون العيش من كرة القدم. الأجور ليست بالشيء العظيم، خصوصاً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار المدى الزمني القصير الذي يدومه نشاط اللاعب: فالحضارة الصناعية آكلة اللحم البشري تلتهمهم فـي برهة قصيرة.

صناعة للتصدير

فـي جنوبي العالم، هذا هو مسار اللاعب ذي القدمين الجيدتين والحظ الطيب: ينتقل من قريته إلى مدينة داخلية؛ ومن المدينة الداخلية إلى ناد صغير فـي عاصمة البلاد؛ وفـي العاصمة لا يجد النادي الصغير مفراً من بيعه إلى ناد كبير؛ والنادي الكبير المختنق بالديون، يبيعه إلى ناد آخر أكبر فـي بلد آخر أكبر؛ ويتوج اللاعب مسيرته أخيراً فـي أوربا.

فـي هذه السلسلة، تحتفظ الأندية والمقاولون والوسطاء بحصة الأسد. وكل حلقة منها تؤكد وتؤبد عدم المساواة بين الأقسام، ابتداء من خذلان أندية الأحياء فـي البلدان الفقيرة وحتى القوة العظمى للشركات المغفلة التي تتحكم بتجارة كرة القدم على أعلى المستويات فـي أوربا.

فكرة القدم فـي الارغواي مثلاً، هي صناعة تصديرية تحتقر السوق المحلي. والضخ المتواصل للاعبين يُفقد الرياضة الاحترافية مصداقيتها ويبعث اليأس فـي نفس الجمهور، وهو فـي كل يوم أقل عدداً وأفتر حماسة. الناس ينشقون عن الملاعب الارغوايية ويفضلون مشاهدة مباريات دولية فـي التلفزيون. عندما تأتي البطولات العالمية، يلتقي لاعبونا الموزعين مع الرياح الأربع، ويتعارفون فـي الطائرة، ثم يلعبون معاً لوقت قصير ويقولون لبعضهم البعض وداعاً دون أن يتوفر للفريق الوقت لكي يتحول إلى فريق حقيقي، أي إلى جسد واحد ذي أحد

عشر رأساً واثنتين وعشرين قدماً.

عندما فازت البرازيل ببطولتها العالمية الرابعة، احتفى الصحفيون بالإجماع، رغم أن بعضهم لم يخف حنينه إلى روائع الأزمنة الأخرى. لقد حقق فريق روماريو وبيبيتو كرة قدم عالية الفعالية، ولكنها بخيلة جداً بالشعر: إنها كرة قدم أقل برازيلية بكثير من كرة القدم تلك فـي أعوام 1958 و1962 و1970، حين كانت منتخبات غارينشا وديدي وبيليه تتوج وهي تلعب فـي اللحظة الحرجة. لقد تحدث أكثر من صحفـي عن أزمة مواهب، واتهم عدة معلقين أسلوب اللعب الذي يفرضه المدير الفني بأنه ناجح ولكنه خال من السحر: لقد باعت البرازيل روحها لكرة القدم الحديثة. ولكن هناك أمراً كاشفاً وذا مغزى، لم يكد يذكره أحد: فتلك المنتخبات فـي الماضي كانت مؤلفة من أحد عشر برازيلياً يلعبون فـي البرازيل. أما فـي فريق عام 1994، فهناك ثمانية لاعبون فـي أوربا. روماريو، اللاعب الأمريكي اللاتيني الأغلى أجراً كان يتلقى فـي إسبانيا أجراً أكبر من مجموع الأحد عشر أجراً، وهي متواضعة نسبياً، التي كان يتلقاها فـي البرازيل لاعبو عام 1958، وقد كان بينهم بعض أفضل الفنانين فـي تاريخ كرة القدم.

لقد كان نجوم الماضي مرتبطين بناد محلي. بيليه كان فـي سانتوس، وغارينشا فـي بوتافوغو، وديدي مثله على الرغم من تجربة عابرة فـي الخارج، ولم يكن بإمكان أحد تصورهم دون ألوان تلك الأندية أو لون المنتخب الوطني الأصفر. هكذا كان

الحال في البرازيل وفي كل مكان، حباً بالقميص أو بفعل عقود العبودية الإقطاعية التي كانت إلى ما قبل سنوات تكبل اللاعبين مدى الحياة. ففي فرنسا على سبيل المثال، كان للنادي الحق بامتلاك اللاعب حتى بلوغه الرابعة والثلاثين: ينال حريته عندما يكون قد انتهى. وللمطالبة بحريتهم، انضم اللاعبون الفرنسيون إلى حملات أيار عام 1968، عندما هزت متاريس باريس العالم بأسره. وكان يتصدرها لاعب كرة القدم ريمون كوبا.

نهاية المباراة

تدور الكرة، والعالم يدور. يُعتقد بأن الشمس هي كرة مشتعلة، تعمل خلال النهار وتتقافز في الليل هناك في السماء، بينما القمر يعمل، مع أن للعلم شكوكه في هذا الشأن. ولكن الأمر المؤكد بالمقابل، وبكل يقين، هو أن العالم يدور حول الكرة التي تدور: المباراة النهائية لعام 1994 شوهدت من قبل أكثر من ألف مليون شخص، وهو أكبر جمهور يجتمع على امتداد تاريخ هذا الكوكب. إنها الهوى الأوسع مشاركة في العالم: كثيرون من مقدسي الكرة يلعبون بها في الملاعب أو في المروج، وأكثر منهم بكثير يؤلفون جمهور التلفزيون الذي يقضم أظفاره وهو يشاهد الاستعراض الذي يقدمه اثنان وعشرون رجلاً يرتدون سراويل قصيرة ويلاحقون كرة ويركلونها معربين عن حبهم لها.

مع انتهاء مونديال 1994، أُطلق اسم روماريو على جميع

الأطفال الذين ولدوا في البرازيل، وعشب استاد لوس أنجلوس بيع مجزأ في قطع صغيرة مثل البيتزا، بعشرين دولاراً للقطعة. أهو جنون جدير بأفضل قضية؟ أهي تجارة مبتذلة وبدائية؟ أهي صناعة احتيال يديرها أسيادها؟ أنا ممن يعتقدون بأنه يمكن لكرة القدم أن تكون هذا كله، ولكنها أكثر من كل هذا أيضاً، فهي احتفال للعيون التي تنظر وسعادة للجسد الذي يلعب. لقد سأل أحد الصحفيين المنجمة الألمانية دوروثي سولل:

- كيف توضحين لطفل ما هي السعادة؟

فردت عليه:

- لا أوضح له. بل أعطيه كرة ليلعب.

كرة القدم الاحترافية تفعل كل ما هو ممكن لتخصي طاقة السعادة هذه، ولكنها تحافظ على حياتها رغم كل المحن. وربما كان هذا هو السبب في أن كرة القدم تبقى مدهشة. وهذا هو أفضل ما فيها مثلما يقول صديقي آنخل روكو: قدرتها العنيدة على الإدهاش. فمهما برمجها التكنوقراطيون حتى في أدق التفاصيل، ومهما احتكرها الأقوياء، ستبقى كرة القدم ترغب في أن تكون فن الارتجال. فالمستحيل يقفز إلى الواجهة حيث لا ينتظره أحد، فترى القزم يلقن المارد درساً، أو ترى زنجياً هزيلاً وأفكح يبعث الجنون في الرياضي الإغريقي ذي الجسد المنحوت.

فراغ مذهل: التاريخ الرسمي يتجاهل كرة القدم. نصوص التاريخ المعاصر لا تذكرها، ولو بصورة عابرة، في بلدان كانت

كرة القدم فيها وما زالت علامة رئيسية من علامات الهوية الجماعية. أنا ألعب، إذن أنا موجود: أسلوب اللعب هو طريقة في الحياة، يعكس الوجه الخاص لكل مجتمع ويؤكد حقه في التمييز. قل لي كيف تلعب أقول لك من أنت: منذ سنوات طويلة يجري لعب كرة القدم بطرق متنوعة، تعبيرات متنوعة عن شخصية كل شعب، وإنقاذ هذا التنوع اليوم هو، في رأيي، أشد أهمية من أي وقت مضى. فهذه أزمنة فرض التماثل الإجباري، في كرة القدم وفي كل شيء. فالعالم لم يكن في أي وقت آخر على مثل هذا الاختلاف في الفرص التي يقدمها ومثل هذا التماثل في العادات التي يفرضها: ففي نهاية هذا القرن، من لا يموت من الجوع، يموت من الملل.

منذ سنوات وأنا أحس بتحدي الموضوع، *ذاكرة وواقع كرة القدم*، وقد نويت أن أكتب شيئاً يكون جديراً بهذا القداس المدفوع الأجر، القادر على التكلم بكل هذه اللغات، وعلى إطلاق عواطف وأهواء كونية. وكنت أشعر أنني بكتابتي سأحقق بيدي ما لم أستطع أن أحققه مطلقاً بقدمي: فأنا مجرد أخرق لا خلاص له، ووصمة عار في الملاعب، ولهذا لم أجد وسيلة سوى أن طلب من الكلمات ما رغبت فيه كثيراً وأنكرته علي الكرة.

من ذلك التحدي، ومن ذلك التكفير عن الذنب، ولد هذا الكتاب. إنه تكريم لكرة القدم، واحتفاء بأضوائها، وتشهير بظلالها. لست أدري إذا كان هذا ما أراد أن يكونه الكتاب، ولكنني أعرف أنه نما في داخلي ووصل إلى صفحته الأخيرة

وهو الآن، بعد أن ولد، يقدم نفسه إليكم. وأبقى أنا مع تلك الكآبة التي نشعر بها جميعنا بعد الحب وعند انتهاء المباراة.

في مونتيفيديو، صيف 1995.